

١٣١

الحافظ أبو نعيم الأصفهانى

الفقيه المحدث الصوفى المؤرخ

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى


الهيئة المصرية العامة للكتاب

الحافظ
أبو نُعَيْم الأَصْفَهَانى

الفقيه المحدث الصوفى المؤرخ

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٧

الاخراج الفنى : مراد نسيم

((ربنـــا آتنا من لدنك رحمـــة وهيىء لنا من أمرنا رشـــدا)) .

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين • وبعد ••

فى أمسية من أمسيات رمضان المعظم ، وقعت يدى على كتاب بعنوان « أحاسن المحاسن » لمؤلفه الامام أبى اسحاق ابراهيم الرقى المتوفى سنة ٧٠٣ هـ ، فأخذت أتصفحه بعد قراءة مقدمته التى أشار فيها الأستاذ محقق الكتاب الى التعريف بمؤلفه ، وذكر بما يجب أن نقدمه لشبابنا فى هذه الأيام التى انتشر فيها الالحاد وشاع الفساد من مثل كريمة تتمثل فى رجال تاريخنا الأفاضل ، من علماء أجلاء وعاملين أتقياء وصالحين أوفياء ؛ كانوا خير سلف لهذا الخلف الذى اختلت معاييره ، وضاق ذرعا بأمجاده فخلط الجد بالهزل واستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، وجرى وراء كل ناعق ، لا يميز بين الغث والسمين ولا يفرق بين الحق والباطل ، لأنه لم يتخذ له زادا خيرا يقيه عثرات الطريق ويوضح له مواضع أقدامه فى مواطن الشبهات وظلمات الشكوك ، وهكذا قضى علينا أن نتخلف حين تخلى الشباب عن كفاحه النبيل لأنه لم يقرأ تاريخه كما يجب ،

فغفل عن مناهج القدوة ، علما بأن « الصفات الخلقية والنفسية والروحية هى رأس مال الشعوب ، وهى المدخرات العظمى التى تصنع الأمم وتدفع بالركب البشرى الى غاياته العليا ، والناظر فى سير السلف الصالحين والعارفين من أمتنا يرى كيف أن هذه المثل والمبادىء كانت سببا مباشرا لانتفاضات صريحة مشهودة ومشهورة فى التاريخ الاسلامى ، ولم يكن لهم من النفوذ والقوة الا ايمان هو من أعلى صور الايمان ، ايمان جاد متقد حى يرتكز على الشوق والمحبة ، انه ايمان يطلق فى قلوب أتباعه الشعلة المتوهجة المتطلعة دائما الى الله .. »

لقد كان ايمان أولئك المتقدمين ايمانا ايجابيا بصيرا ، عرف أصحابه أن جهاد النفوس يصل بأصحابه الى أقصى درجات الكمال الروحى ، وأن بناء الدول طريقه بناء الأفراد وتربيتهم تربية مثالية خلقية ، وهكذا فعل النبى - صلى الله عليه وسلم - فى بدء الدعوة ، فقد مكث فى مكة مبعوثا قبل الهجرة ثلاث عشرة سنة يعد النفوس ويوجه القلوب ويربى الارادة ويصقل الأرواح ، ثم انطلقت هذه الطاقات الايمانية والاشراقات الروحية فى كون الله الواسع ، تنشر اشعاعاتها التى أنارت الدنيا ، وقوضت الظلم وأزهقت الباطل وصنعت المعجزات وشيدت دولة الاسلام العظمى فى فترة من الزمن قياسية على هدى من الله وبصيرة .

لقد أخذ الكتاب يعرض علينا نماذج خلقية رفيعة ، تتجلى فى الشخصيات الكريمة التى وهبت نفسها لله ، ونذرت أرواحها للدفاع عن الحق والجهاد فى سبيله ، وقدست الحق ، وازدانت بالشمائل النبيلة والمثل الرفيعة والأخلاق الفاضلة والشجاعة النادرة التى نحتاج اليها اليوم وغدا فى نضالنا وجهادنا لاعادة بناء أمتنا واعدادها لدورها التاريخى الذى كانت قائمة به من قبل .

ولاشك أن تخلفنا الراهن وتأخرنا عن القيام بدورنا الذى نحن

أحق به وأهله ، كان من أسبابه الجهل برجال تاريخنا وسيرهم وأخبارهم ، مما أوجد جفوة بل فجوة بين الماضى والحاضر ، فانقطع ما بينهما من عطاء ومد وخير ٠

لقد مضى كتاب « أحاسن المحاسن » يقول لنا فى مقدمته : « يجب أن نحمى شبابنا ونزوده بالايمان ونحصنه بالأخلاق نحليه بكمال الروح والمثاليات والفضائل ، ونصل حاضره بماضيه ونربطه بسيرة أجداده ٠٠ حتى يولى الالحاد مدبرا منهزما ٠٠ يجب أن يشيع الروح المؤمن الطاهر القوى فى حياتنا ووجودنا وأن نجعله مادة فى معاهدنا ومدارسنا ونورا فى صحفنا وكتبنا واذاعاتنا مهذبا منقحا مصححا مصفى ، حينئذ نظفر برضوان الله وسيادة الحياة ، وتمتلىء أيدينا بقوة المؤمنين ، ويتحقق فينا قول ربنا سبحانه : ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين » ـ آل عمران ١٣٩ ٠

وربما يرد ذلك على تساؤل حول حقيقة التصوف ودوره ، فان التصوف الحقيقى ايجابية رائعة وجهاد متواصل ومثالية عظيمة ، نشهدها فى زهد العلماء وتواضع الكبراء ، ونشهدها فى صدق الأحوال واخلاص الرجال وتفانى الأبطال ، ونراها فى حق التقوى وحلاوة المعرفة وقوة اليقين وجلال المشاهدة ، ونلمسها فى حرارة الشوق الى الله والاقبال عليه ، وفى مواقف الخوف والرجاء والمراقبة والمحاسبة والتلذذ بالطاعة والمداومة عليها والصبر على مافيها من نصب وسهر ، وفى العزوف عن الشهوات والبعد عن مواطن الشبهات ، وفى غير ذلك مما تحفل به مقامات التصوف وأحواله ، وتتحدث به أخلاقه وآدابه ، مما نرى أمثلة منها فى هذا الكتاب الذى انتخب نماذجه الطيبة من كتاب « صفة الصفوة » لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ، وهو بدوره استمد كتابه من « حلية الأولياء » لأبى نعيم الأصفهانى ٠٠

لقد شوقنى ذلك الى التعرف على الأصل والتعريف بصاحبه ،

حيث انه كان منبعا فياضا لمن جاء بعده من العلماء الفضلاء ، وأنار الطريق ليسير الناس على هدى وبصيرة حسبما أشار الحق ـ سبحانه ـ لعاشقى طريق الحق على لسان سيد الخلق « قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين » ـ يوسف ١٠٨ ـ

ولقد أصاب الأستاذ المحقق الشيخ محمد علوى المالكى لكتاب « أحاسن المحاسن » كبد الحقيقة بمقدمته تلك ، فما أحوجنا الى ترسم خطا من جاهدوا فى الله حق جهاده وقدموا بمجهوداتهم المشكورة صورة صحيحة للاسلام ، وأسهموا بأعمالهم الباقية وسيرهم العاطرة فى تحقيق معنى قوله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ـ آل عمران ١١٠ ـ

ويبرز من بين هؤلاء أبو نعيم الأصفهانى الفقيه المحدث الصوفى المؤرخ وآثاره خير شاهد على ذلك ٠

وأبو نعيم نتاج طيب للبيئة الاسلامية الجديدة التى صهر أبناؤها فى بوتقة الاسلام ، فاتحدت عناصرها المختلفة وامتزجت دماؤها العربية وغير العربية ، فنشأ من خلال ذلك نشء جديد أثرى الاسلام بعقل خصيب وخلق قويم وايمان قوى ، زكاه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله حين أشاد بأبناء الاسلام الجدد الذين يحملون رايته فى فارس ، ويتفانون فى خدمته بقوله « لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من فارس » ٠

وقد نسى المسلمون فى ظل الاسلام اجناسهم وتركوا عصبيتهم وأوطانهم حين أصبح الاسلام وطن الجميع ، به يحيون وفى ظله يموتون ولأجله يعملون وبعلومه يشتغلون ، لقد شعروا فيه بالعزة الحقيقية ، وأدركوا قيمة الكرامة الانسانية ، وذاقوا به لذة المعرفة والشوق الى خالق الوجود ، وأصبحت الحياة فى نظرهم معبرا الى حياة أفضل وسعادة خالدة ونعيم لا ينفد ، وأن لوجود الانسان

فيها هدفا كريما وغاية سامية غير ما يتفانى فيه الناس ويتعادون ويشعلون فى سبيل تحقيقه الحروب الدامية المدمرة المرعبة ..

فى ظل الاسلام الوارف بالمثل كان أبو نعيم عالما من العلماء الأفاضل يرفع بجده واخلاصه لواء العلم والايمان ، وينشر فضل هذا الدين بما آتاه الله من نعمة الحكمة ونور المعرفة ، حتى قدم للمسلمين الكثير الطيب النافع الذى مازالت الأجيال الاسلامية المتعاقبة تنتفع بجناه وتعيش فى بركته .

قال الامام الراحل الدكتور عبد الحليم محمود فى بعض كتبه : « لابد ـ ونحن فى هذه اليقظة الاسلامية المستأنفة أن ننبه الى أئمتنا ، وأن نبحث عن آرائهم الفكرية التى تنهل من معين الكتاب والسنة ، والتى لها مكانتها فى الفكر التشريعى العالمى . وشىء آخر يدعونا الى العناية بهم ، ذلك هو سلوكهم الأخلاقى المثالى الذى يرتفع الى القمم العوالى من مكارم الأخلاق . انهم نماذج ممتازة للانسانية فى سموها وللشباب الذى يجب أن يجد القدوة وأن يسير على هدى من السلوك والذى يعمل بالحق ويجاهد فى سبيله .. وفى تراثنا الاسلامى الكثير من أئمة السلوك ـ وهم فى حاجة الى البحث عن آثارهم فى مختلف مظانه حتى نكون عنهم صورة كاملة الوضوح»(١) .

ان كثيرا من الناس يدخلون الحياة ويخرجون منها كما يدخلون ، ولكن القليل جدا منهم يخرجون منها وقد تركوا فيها آثارا باقية خالدة تشهد بأنهم قد فهموا معنى الحياة وأدركوا قيمة الزمن . تعلموا وانتفعوا بما علموا ، فأصبحوا كالأرض الجيدة الخصبة التى جادها المطر فأينع فيها الثمر . وقليل من هذا القليل الذى يعرف هدفه الذى خلق من أجله فيرمى بقصده اليه ولا يحيد قيد شعرة عنه ، يعمر أوقاته بالطيب الصالح الذى يزكو مع الأيام

---

(١) الليث بن سعد ص ٢٦ .

ويتضاعف ثمره على مرور الأوقات والأزمان . ومن هذا القليل كان الأصفهانى أبو نعيم ، الذى شغل نفسه بالعلم النافع واعتنى برجال نبه الأذهان اليهم وعطر الدنيا بتاريخهم وسيرهم وأرشد الى الاقتداء بهم والسير على منهاجهم ..

ولئن كان قد نبه الى غيره فهو أحرى أن ينبه اليه ، فقد دل على خير فليكن له منه أوفى نصيب ، والبار أحق بأن يبر ، وله فى الأخرة بعد ذلك من الله المثوبة وحسن الجزاء ان شاء الله .

وانى لأرجو أن يوفقنى الله تعالى فيما أكتب عنه راجيا من الله أن يجعل ما أسطره فى ميزان أعمالى حسنات يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

هذا وبالله التوفيق ،،

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى
غرة شعبان ١٤٠٦ هـ

عطـاء البيئـة

أصـــــبهان

جاء فى دائرة معارف الشعب : وأصبهان مدينة تقع فى العراق العجمى ، وهى على نهر « زندروز » من جهة الشمال على بعد مائتين وعشرة أميال من طهران جنوبا ٠

وكان أهلها عموما متعلمين ، وكان كل واحـــد منهم تقريبا يحسن القراءة والكتابة ، بل ان أصحاب الدكاكين والصناع كانوا يحسنون نظم الشعر ٠

وقال « ابن بطوطة » فى وصفهم : انهم حسان الصورة ، ألوانهم بيض زاهرة مشوبة بحمرة ، والغالب عليهم الشجاعة والنخوة ، وفيهم كرم وتنافس عظيم فى الأطعمة والضيافة ، وتؤثر عنهم فى ذلك أخبار غريبة ٠

وقال « القزوينى » : انهم أهل حذق فى العلوم والصناعة ٠

هذه مقدمة لابد منها لأن الانسان ابن بيئته كما يقولون ٠

ولنستزيد تعرفا على اصبهان نقرأ ما سطرته يد « ياقوت الحموى » فى معجم البلدان . قال . قال « مسعد بن مهلهل » : وأصبهان صحيحة الهواء نفيسة الجو ، خالية من جميع الهوام ، لا تبلى الموتى فى تربتها ، ولا تتغير فيها رائحة اللحم ولو بقيت القدر بعد أن تطبخ شهرا ، وربما حفر الانسان حفيرة فيهجم على قبر له ألوف سنين والميت فيه على حاله لم يتغير ، وتربتها أصح تراب الأرض ويبقى التفاح فيها غضا سبع سنين ، ولا تسوس بها الحنطة كما تسوس فى غيرها . قال « الحموى » : وسألت جماعة من عقلاء أهل أصبهان عما يحكى من بقاء جثة الميت فى مدفنها فذكروا أن ذلك بموضع مخصوص منها ، وهو مدفن المصلى لا فى جميع أرضها .

وعلى كل فهذه مزية يحق لأصفهان أن تفاخر بها .

ولقد وصف « الحجاج بن يوسف الثقفى » هذه المدينة فى عبارة موجزة ، ولكنها جامعة قال لبعض من ولاه أصبهان : قد وليتك بلدة حجرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها الزعفران »(١) .

وتقول دائرة المعارف الاسلامية فى ذلك : اصفهان أو اصبهان ، مدينة مشهورة بفارس ، كانت فيما سبق قصبة الصفويين ، وهى الآن أهم مدن ولاية العراق العجمى ، ويقول « حمزة الأصفهانى » : ان اسمها مشتق من الجندية . فتحها الاسلام سنة ١٩ هـ فى خلافة « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه ، بقيادة « عبد الله بن عتبان » فى رواية ، وفى رواية أخرى : ان قائد الفتح هو « أبو موسى الأشعرى » فتحها سنة ٢٣ هـ ، فتحها عقب فتحه نهاوند .

« وقد ازدهرت المدينة فيما بعد ، وأصبحت فى منتصف القرن الثالث الهجرى مدينة هامة وحاضرة اقليم كبير ومركز صناعة

---

(١) معجم البلدان لياقوت ، واخبار اصفهان لابى نعيم بتصرف .

وتجارة ، وأحصى «ابن رستة» الذى عاش هناك وألف كتابا حوالى عام ٢٩٠ هـ أبوابها الأربعة وأبراجها المائة · وقاس « ابن لدة » عالم الهندسة قطرها وكانت مستديرة الشكل ، فوجد أنه يبلغ ستة آلاف ذراع · وزاد « ركن الدولة ابن بويه » من رقعة المدينة ورمم أسوارها التى كانت ماتزال قائمة فى القرن الخامس الهجرى ، وكانت هذه المدينة غنية وبجوارها منـــاجم للفضـــة والنحاس والاثمد والخارصين وغيرها ، وماتزال المدينة تعتمد حتى الآن على الزراعة وبخاصة القطن ، وفى مطلع القرن الرابع الهجرى دخلت هذه المدينة فى حكم « السامانيين » ثم دخلت تحت حكم « محمود الغزنوى » فى أوائل القرن الخامس الهجرى ، ثم أصبحت مقرا مختارا للكشـــاه السلجوقى ، ولم تسلم المدينة من سطوة التتار ، الا أنها لم تدمر كما دمر غيرها من المدن التى استولوا عليها ، ولبثت تحت سيطرتهم حتى استردها « محمد بن المظفر » فى منتصف القرن الثامن الهجرى، ولكنها لم تنج من غضبة « تيمور » فى نهاية هذا القرن حين ثار أهلها عليه سنة ٧٩٠ هـ فنكل بهم وأعمل السيف فى رقابهم حتى كون أهراما من رءوسهم التى بلغت سبعين ألفا ، وخضعت المدينة للعثمانيين سنة ٩٥٥ هـ ، وظلت كذلك حتى حاصـــرها « محمود الأفغانى » عام ١١٣٤ هـ وتعرض أهلها لأهوال بسبب القحط الذى أصابها حتى حررها « نادر شاه » بعد ذلك بسبع سنوات ، وأصبحت قصبة للملك الشاه عباس ، فتحولت الى مدينة فسيحة جميلة مكتظة بالسكان ، ينطبق عليها المثل الفارسى الذى قيل قديما « اصفهان نصف جهان » أى اصفهان نصف العالم ·

ولم يشهد « أبو نعيم » الأحداث التى طرأت على المدينة بعد الثلث الأول من القرن الخامس الهجرى ، ولكنه استطراد دعا اليه التعرف على هذا الموطن الذى عاش فيه أبو نعيم زهاء مائة عام ·

واصفهان ـ كما تقدم ـ تقع على نهر « زندروز » وكان يسمى

قديما « زندة » ويمتاز هذا النهر بأنه غاية فى الطيب والصحة والعذوبة ، وقد وصفه الشعراء

فقال فيه بعضهم :

لست آسى من أصبهان على شىء سوى مائها الرحيق الزلال
ونسيم الصبا ومنخرق الريح وجو صاف على كل حال
ولها الزعفران والعسل الماذى والصافنات تحت الجلال(١) ٠

وقال آخر :

لست آسى من أصبهان على شىء فأبكى عليه عند رحيلى
غير ماء يكون بالمسجد الجامع صاف مروق مبذول

وهى عامرة بالبنايات الفخمة والمناظر الجميلة وبخاصة المساجد ، ومن أجملها مسجد الشاه الذى شيده الشاه « عباس الأول » فى أواخر القرن السادس عشر الميلادى ، ويعتبر من أجمل بنايات العالم ٠

ولئن كان نجم هذه المدينة قد أفل أخيرا بنقل العاصمة الى طهران الا أن آثارها الباقية بها ماتزال تشهد بعراقتها وتاريخها المجيد ٠

ولقد وصفها « ياقوت » فى معجمه بأنها من أعلام المدن وأعيانها وذكر فى سبب تسميتها بهذا الاسم فيما يرويه « ابن الكلبى » أنها سميت « باصبهان بن فلوح بن سام بن نوح » عليه السلام ، ويرى « ابن دريد » أن أصبهان اسم مركب ، لأن الأصب اسم البلد بلسان الفرس وهان اسم الفارس ، فكأنه يقال بلاد الفرسان ، أما « حمزة ابن الحسن » فيقول : ان اصبهان مشتق من الجندية ، وذلك أن لفظ

---

(١) معجم البلدان لياقوت ٠

أصبهان اذا رد الى اسمه بالفارسية كان « أسباهان » وهى جمع أسباه ، فأسباه اسم للجند والكلب ، واشتركا فى الاسم لاشتراكهما فى الحراسة ، وقال « ابن حمزة » فى اشتقاق اسم اصبهان حديثا يلهج به عوام الناس وخواصهم · قال : أصله أسباه آن أى جند الله ، قالوا : ولم يكن يحمل لواء ملوك الفرس من آل ساسان الا أهل اصفهان ·

فليس عجيبا أن يبزغ فى أفق هذه المدينة العـــريقة كثير من العلماء والأدباء والشعراء والصالحين ، حتى لقد اعتنت كتب التاريخ والتراجم بذكر العديد منهم والترجمة لهم ·

قال « **ياقوت** » : وقد خرج من أصبهان من العلماء والأئمة فى كل فن ما لم يخرج من مدينة من المدن ، وعلى الخصـــوص علو الاسناد ، فان أعمار هؤلاء تطول ، ولهم مع ذلك عناية وافرة بسماع الحديث ، وبها من الحفاظ خلق لا يحصون ، ولها عدة تواريخ ·

ولكن المدينة يحق لها أن تزهو بشخصيتين لهما أثرهما الذى لا ينكر ··

أما أحدهما فهو « أبو الفرج الأصفهانى » صـــاحب كتاب « الأغانى » ·

وأما الآخر فهو « أبو نعيم الأصفهانى » صاحب كتاب « حلية الأولياء » ·

وكأن المدينة تريد أن تشهد التاريخ على قدرتها فى تخريج كل فذ ونبوغها فى كل فن · فقدمت « أبا الفرج » الذى تحدث عن الدنيا من خلال بهجتها وأبان عن وجه السرور فيها وجانب المرح منها ، فى صورة مائة لحن أعجبته وأطربته ، ونفذ من بين ذلك الى اظهار علمه بالأخبار ومعرفته بالأنساب وروايته للأشعار والطرف والنوادر والأعلام حتى جاء كتابه موسوعة أدبية رائعة ، لا تستغنى عنها

مكتبة من المكتبات أو أديب من الأدباء ، ومازال كتاب « الأغانى منبعا ثرا لكل قارىء ، يشـــهد الدنيا على مقدرة مؤلفه فى فنه واستطالته فى أدبه وتمكنه فى علمه ، ويدل على ذلك كثرة تداوله ، وتكرر اعادة طبعه وتحقيقه ، وتضاعف التعليقات الجمة عليه ، ويكفى أن نقدم فى الشهادة له كلمة « الصاحب بن عباد » حين بلغه أن « سيف الدولة الحمدانى » بذل ألف دينار لأبى الفرج حين أهداه نسخته من الأغانى ، فقد قال « الصاحب » : لقد قصر « ســـيف الدولة » وانه ليستحق أضعافها ، اذ كان مشحونا بالمحاسن المنتخبة والفقر الغريبة ، فهو للزاهد فكاهة وللعالم مادة وزيادة وللكاتب والمتأدب بضاعة وتجارة وللبطل رجلة وشجاعة وللمتظرف رياضة وصناعة وللملك طيبة ولذاذة ، ولقد اشتملت خزانتى على مائة ألف وسبعة عشر ألف مجلد ما فيها سميرى غيره ، ولقد عنيت بامتحانه فى أخبار العرب وغيرهم فوجدت جميع ما يعزب عن أســـماع من قرفه(١) بذلك ، وقد أورده العلماء فى كتبهم ففاز بالسبق فى جمعه وحسن وضعه وتأليفه »(٢) •

هذا نتاج المدينة فى أحد وجهى الحياة ، أما الوجه الآخر منها فقد كان فى شخصية ذلك العالم الزاهد الورع المحدث أبى نعيم الأصفهانى الذى كان له حول وطول فى مختلف فنون العلم ، وتصرف جيد فى جد الحياة لا هزلها ، مما سنعرف ــ بتوفيق الله ــ طرفا منه فى سطور هذا البحث •

ولكن الاستشهاد بهذين العلمين على مكانة المدينة لا يعفى من الاشارة الى بعض أعلامها الذين تركوا آثارا طيبة فى أفق الحياة ،

---

(١) قرفــه : اتهمــه •

(٢) مقدمة كتاب الأغانى تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ط الهيئــة المصرية للكتاب •

بل من الاكرام لأبى نعيم الذى دون حلية الأولياء وأخبار أصفهان وغيرهما أن نشير على سبيل الايجاز الى بعض من أنجبتهم هذه المدينة الذائعة الصيت ٠

ولئن كانت بعض البلاد شهرت بالمنتسبين اليها ـ فان القرى والمدن والعواصـــم تنجب كما ينجب الناس وتعقم كما يعقمون ، وأحيانا تكون فى انجابها فلتة يعتز بها الزمن وتحنى لها الدنيا قامتها اجلالا واكبارا ويصبح هؤلاء الأبناء غرة فى جبين قراهم ومدنهم تضىء بهم وتشهد بفضلهم وتخلد بخلودهم وتذكر بذكرهم ، ولولا «المعرى » ما ذكرت « المعرة » ، و « بصفى الدين الحلى » أضاءت « الحلة » فى العراق ، وخلد « القلقشندى » قريته « قلقشندة » فى مصر ، كما خلد « ابن دراج القسطلى » « قسطلة » الأندلس ، وذاع صيت « مرسية » فى الأندلس أيضا حين نبغ منها « أبو العباس المرسى » رضى الله عنه ، وأشاد الامام « عبد الوهاب الشعرانى » بقريته « ساقية أبى شعره » من أعمال المنوفية حين ذكرت به ، وتحول النسب الى علم مشهور ، فكم من الناس من يتسمى «بمرسى» أو يتسمى « بشعراوى » وهكذا ، والأمثلة على ذلك كثير ٠

أعود فأقول : لئن كانت بعض البلاد تشهر بالمنتسبين اليها فقد كانت « أصبهان » كفئا لهذا النسب الذى زادها اشراقا على اشراق وأضـــاف الى محاســـنها حســـنا آخر هى جديرة به ، فلقد كانت كما سبق أن رأينا درة فى تاريخ فارس وجوهرة فى تاج العراق العجمى ، وآن الآن أن نستعرض بعض من لمعوا فى سمائها استجابة لنداء البيئة الأصيل ونتاجا للقاح المجد النبيل ٠

فمن هؤلاء « جمال الدين الجواد الأصفهانى الوزير » وقد ذكره « ابن خلكان » فى « وفيات الأعيان » وترجم له ترجمة ضافية نقتطف منها ما يأتى :

اسمه « محمد بن على بن أبى منصور » ولقبه جمال الدين ، وكنيته أبو جعفر ·

عنى أبوه الذى تولى عدة مناصب شريفة فى بلاط السـلطان «ملكشاه » السلجوقى بتربيته وتأديبه حتى ظهرت كفايته وحمدت طريقته وأوصله ذلك الى الوزارة فى عهد « سيف الدين غازى بن آتابك زنكى » ·

وقد ظهر جوده حتى لقب بالجواد وصار ذلك اللقب علما عليه، وقصده الشعراء ومدحوه ، وله آثار طيبة فى التعمير ، وبخاصـة فيما يتعلق بالأماكن المقدسة ، فقد أجـرى الماء الى عرفات أيام الموسم من مكان بعيد ، وعمل الدرج من أسفل الجبل الى أعلاه ، وبنى سور مدينة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ توفى سنة تسع وخمسين وخمسمائة فى العشر الأواخر من رمضان المعظم بالموصل ، وقيل ان جثمانه نقل الى مكة ثم الى المدينة ليدفن هناك فى احتفال مهيب ·

وقال بعض الشعراء فى ذلك :

يا كعبة الاسلام هذا الذى	جاءك يسعى كعبة الجود
قصدت فى العاموهذا الذى	لم يخل يوما غير مقصود

كما قال غيره :

سرى نعشـه فوق الرقاب وطالما
سـرى جـوده فوق الركاب ونائله
يمـر على الوادى فتثنى رمـاله
عليه وبالنـادى فتبكى أرامـله

ومنهم « عماد الدين الكاتب الأصفهانى » وهو كما ترجمت له « الوفيات » فى الجزء الثانى « أبو عبد الله محمد بن صفى الدين أبى الفرج بن نفيس الدين أبى الرجا حامد بن محمد » .

كان فقيها شافعيا تفقه بالمدرسة النظامية زمانا ، واتقن فنون الأدب وله من الشعر والرسائل ما يغنى عن الاطالة فى شرحه . نشأ بأصبهان وقدم « بغداد » فى حداثته ، وتلقى على يد شـــيوخها فى مختلف العلوم والفنون ، تعلق بالوزير « عون الدين يحيى بن هبيرة » ببغداد فولاه النظر بالبصرة ثم بواسط ، ثم انتقل الى « دمشق » سنة اثنتين وستين وخمسمائة فى عهد السلطان العادل « نور الدين محمود بن أتابك » فأحسن اليه وأكرمه وأهله لكتابة الانشاء ، ثم انتظم فى سلك جماعة « صلاح الدين الأيوبى » بعد ذلك حتى صار من جملة الصدور المعدودين يضاهى الوزراء ويجرى فى مضمارهم ، له مؤلفات ناجحة أشهرها كتاب « خريدة القصر وجريدة العصر » جعله ذيلا على « زينة دمية الدهر للخطيرى » وقد ذكر « العماد » فى خريدته الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة الى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وجمع شعراء العراق والعجم والشام والجزيرة ومصر والمغرب ، ولم يترك أحدا الا النادر الخامل ، وهى فى عشر مجلدات .

كما صنف كتاب « البرق الشامى » سبعة مجلدات فى التاريخ .

وصنف كتاب « الفتح القدسى فى الفتح القدسى » فى مجلدين يتضمن كيفية فتح بيت المقدس . الى غير ذلك من الكتب العديدة التى تشهد بفضله وسبقه .

وكانت بينه وبين القاضى الفاضل مكاتبات ومحاورات لطاف ، فمن ذلك ما يحكى عنه أنه لقيه يوما وهو راكب على فرس فقال له : سر فلا كبابك الفرس . فقال له القاضى الفاضل : دام علا العماد . وهذان التعبيران مما يقرأ مقلوبا وصحيحا سواء .

واجتمعا يوما فى موكب السلطان وقد انتشر الغبار حتى سد الفضاء فأنشد « العماد » فى الحال :

أمـــا الغبــــار فـــانه ممـــا أثارته السـنابك
والجـــو منـــه مظلم لكن أنارته السنابك
يا دهـــر لى عبد الرحـــيم فلســـت أخشـــى مس نابك

وهو من الجناس الذى كان شائعا فى ذلك الوقت ..

وبعد وفاة « صلاح الدين » اختلت الأحوال بالعماد فلزم بيته وعكف على الاشتغال بالتأليف . وكانت ولادته سنة ٥١٩ هـ ، وتوفى فى مستهل رمضان سنة ٥٩٧ هـ .

ومنهم « أبو عمران موسى بن عبد الملك الأصبهانى » صاحب ديوان الخراج وكان من جملة الرؤساء وفضلاء الكتاب ، كان فى أيام « المتوكل » وله شعر جيد منه :

لما وردنا القادســـية حيث مجتمع الرفـــاق
وشـــممت من أرض الحجاز نسيم أنفاس العراق
أيقنت لى ولمن أحب بجمـــع شـــمل واتفـــاق
وضـــحكت عن فرح اللقاء كما بكيت من الفراق
لم يبق لى الا تجشـــم هذه الســـبع البـــواقى
حتى يطول حـديثنا لصـــفات ما كنا نلاقى

وقد تغنى المغنون بهذه الأبيات لرقتها وجمالها ، وقد توفى سنة ٢٤٦ هـ فى شوال[١] .

وممن أوردهم « ابن خلكان » أيضا فى كتابه « وفيات الأعيان »

---

(١) وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٣٢ .

ابن منده ، وهو « أبو عبد الله محمد بن يحيى بن منده العبدى » الحافظ المشهور وصاحب كتاب « تاريخ اصبهان » وقد كان أحد الحفاظ الثقات ، وآل منده أهل بيت كبير تخرج فيه جماعة من العلماء الأجلاء ، وتوفى « ابن منده هذا سنة احدى وثلثمائة ، وله أحفاد من بينهم من كان بينه وبين « أبى نعيم » كلام علق عليه الرواة ، ومنهم « أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب » وكان من الحفاظ المشهورين وأحد أصحاب الحديث المبرزين ، وكان جليل القدر وافر الفضل واسع الدراية مكثرا صدوقا كثير التصانيف حسن السيرة بعيد التكلف ومن كلامه : كثرة الضحك أمارة الحمق ، والعجلة من ضعف العقل ، وضعف العقل من قلة الرأى ، وقلة الرأى من سوء الأدب ، وسوء الأدب يورث المهانة ، والمجون طرف من الجنون ، والحسد داء لا دواء له ، والنمائم تورث الضغائن ، وكثيرا ما كان ينشد :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى
وللمشترى دنياه بالدين أعجب

وأعجب من هذين من باع دينه
بدنيا سواه فهو من هذين أخيب

وقد ولد فى شوال سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ، بعد وفاة « أبى نعيم » بأربعة أعوام وتوفى يوم النحر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة بأصفهان(١) ومولده بها أيضا .

وممن أوردهم « ابن النجار » فى ذيل تاريخ بغداد » منسوبا الى « أصبهان « سهل بن عبيد بن سورة » الخراسانى الأصبهانى ، وهو أحد المحدثين ، وقد روى عنه هذا الحديث الذى أورده « الدميرى » فى كتابه . قال : أهدى الى النبى ـ صلى الله عليه

---

(١) تاريخ ابن خلكان حـ ٣ .

وسلم ــ طير يقال له النحام فأكله واستطابه ، وقال : اللهم أدخل الى أحب خلقك اليك ــ و « أنس » رضى الله تعالى عنه بالباب ــ فجاء « على » ــ رضى الله عنه ــ فقال : يا أنس استأذن لى على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : انه على حاجة ، فدفع صدره ودخل ، فقال ــ رضى الله عنه ــ يوشك أن يحال بيننا وبين رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلما رآه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : اللهم وال من والاه(١) ٠

وفى « معجم الأدباء لياقوت » عـدة أعـــلام ينتســـبون الى « اصبهان » منهم « على بن حمزة الأصبهانى » أحد أدباء « أصبهان » المشهورين بالعلم والشعر والفضل والتصنيف ، من مؤلفاته كتاب « الشعر » وكتاب « فقر البلغاء » يشتمل على الاختيار من شعر عامة الشعراء وكتاب « قلائد الشـــرف » فى مفاخر « اصبهان » وأخبارها ، وغير ذلك(٢) ٠

وقد ذكر « ابن النديم » فى كتاب « الفهرست » فيمن ذكر من المؤلفين « أبا على بن عبد الله الأصفهانى المولد ، دخل البصـــرة وأخذ عمن أخذ عنه « أبو حنيفة الدينورى » وله من الكتب كتاب « الرد على الشعراء » ، كتاب « المنطق » ، كتاب «علل النحو» ، كتاب « المختصر فى النحو » كتاب « الصفات » كتاب » الهشاسة والبشاشة» كتاب « التسمية » كتاب « شـــرح كتاب المعـانى للياهلى » كتاب « نقض علل النحو » ٠

كما ذكرت مجلة « المورد »(٣) العراقية أن فى قائمة المخطوطات

---

(١) حياة الحيوان جـ ٢ ص ٥٩٨ ٠

(٢) معجم الأدباء جـ ١٣ ص ٢٠٣ ٠

(٣) المجلد السابع ــ العدد الثانى ــ ١٣٩٨ هـ ٠

التاريخية المحفوظة فى مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب جامعة بغداد مخطوط بعنوان « تاريخ بغداد » الجـــزء الأول بخط مؤلفه العلامة « الفتح بن على بن محمد بن الفتح البندارى الأصفهانى » وقد ذيلت النسخة بالعبارة الآتية : تم المجلد الأول من الكتاب وفرغ منه جامعه العبد الضعيف « أبو ابراهيم الفتح بن على بن محمد بن الفتح البندارى الأصفهانى » غفر الله تعالى له ولوالديه ، فى الثامن من رجب المبارك سنة تسع وثلاثين وستمائة بدمشق المحروسة .

ولم تخل كتب الطبقات الصـــوفية من الاشـــادة ببعض من انتسبوا الى « أصفهان » من أمثال « محمد بن يوسف الأصفهانى » الذى يتحدث عنه « الشعرانى » فى طبقاته بقوله : كان « ابن المبارك » رضى الله عنه يسميه عروس العباد والزهاد ، وكان يقول لنفسه : هب أنك قاض فكان يكون ماذا ؟ هب أنك عالم فكان يكون ماذا ؟ هب أنك محدث فكان يكون ماذا ؟ الأمر من وراء ذلك .

وكان رضى الله عنه يقول : ذهب أصحابنا الى رحمة الله ودفنا نحن الى حشوش هذه الدنيا .

كان زاهدا ورعا تقيا مجاهدا فى سبيل الاسلام توفى وهو ابن نيف وثلاثين سنة فى سنة أربع وثمانين ومائة .

« ومحمد بن يوسف » هذا هو جد والد « أبى نعيم » لأمه وقد ترجم له فى كتابه « أخبار أصفهان » وفى « حلية الأولياء » وقال : قال عنه « يحيى بن سعيد » : ما رأيت أفضل منه ، ويظهر صدق هذا التقرير فى رده على أخيه الذى كتب اليه يشكو جور العمال ، فكتب اليه : انه ليس ينبغى لمن عمل بالمعصية أن ينكر العقوبة ، وما أرى ما أنتم فيه الا بشؤم الذنوب ، وهذا تصديق للأثر الذى يقول : كيفما تكونوا يول عليكم .

ومن قدماء مشايخ « أصفهان » « أبو الحسن على بن سهل الأصفهانى » كان يكاتب « الجنيد » ويراسله وكان من أقرانه ، صحب « ابن معدان » « ولقى » أبا تراب النخشبى » رضى الله عنهما ، وكان اذا بلغه عن أحد من المسلمين أن عليه دينا ، وفى عنه دينه دون علمه ، فيأتى صاحب الدين للمدين يقول له : قد وفى الله عنك ، ولم يعلم الناس بذلك الا بعد موته · ومن كلامه - رضى الله عنه - الذى يدل على قلب ذائق : من لم يصح فى مبادىء ارادته لا يسلم فى منتهى عاقبته · وكان يقول لأصحابه : تعوذوا بالله من غرور حسن الأعمال مع فساد بواطن الأسرار(١) ·

وذكر له « السلمى » فى طبقاته فقرات رائعة تشهد له بعمق الفكر ودقة النظر · فمن ذلك : الغافلون يعيشون فى حلم الله ، والذاكرون يعيشون فى رحمة الله ، والعارفون يعيشون فى لطف الله ، والصادقون يعيشون فى قرب الله ، والمحبون يعيشون فى الأنس بالله والشوق اليه · حرام على من عرف الله أن يسكن الى شىء غيره(٢) ·

وتضمن كتاب « أحاسن المحاسن » الذى أشرنا اليه آنفا - وقد استمد مدده من « حلية الأولياء » - أسماء رجال فضلاء من أهل « أصبهان » نذكر منهم « ابراهيم بن عيسى » الذى يقول عنه : ان عبادته كانت تشبه عبادة الملائكة ، فليله يقومه الى قرب الفجر · ثم يدعو فى آخر الليل لجميع الناس والحيوان والبهائم والوحش ، ويقول فى اليهود والنصارى : اللهم اهدهم ·

ومنهم « أحمد بن مهدى بن رسم » الذى كان حاله الستر على الناس ، وأخلاقه أخلاق الرحمة والمروءة ·

---

(١) الطبقات الكبرى للشعرانى حـ ١ ص ٨ ·

(٢)طبقات السلمى ص ٥٤ ط دار الشعب .

ويذكر « الدميرى » فى كتاب « حياة الحيوان » حـ ١ ص ١٨٣ فيمن يذكر من الشيوخ الذين يستشهد بحسن كلامهم الشيخ « أبا شجاع زاهر بن رستم الأصفهانى » امام مقام ابراهيم بمكة المكرمة ، ويسند اليه رواية تقول : سمعت الشيخ « أحمد » خادم الشـيخ « حماد » يقول : دخل الشيخ « عبد القادر » على الشيخ « حماد الدباس » يزوره فنظر اليه الشيخ وكان قد رآه اصـطاد بازيا ، فأثرت نظرة الشيخ فيه ، فخرج من عنده وتجرد عن أسبابه ، وكان من أكابر أصحابه ، ولهذا كان الشيخ « عبد القادر » يقول :

أنا بلبل الأفراح أملأ دوحها   طربا وفى العلياء باز أشهب

والشيخ « عبد القادر » هو الجيلانى المشهور رضى الله عنه ٠

وقد زار « ابن بطوطة » مدينة « أصفهان » ووصفها فى رحلته المشهورة التى ضمنها كتابه المعروف ، وألمحنا فيما سبق الى طرف من هذا الوصف ، وكان نزوله فى زيارته فى زاوية تنسب للشـيخ « على بن سهل » تلميذ « الجنيد » وتحدث عن شيخها وصـلاحه وتقواه وقال عنه : هو العابد الورع « قطب الدين حسين » وذكر طرفا من كراماته ، وقال عنه أيضا : أقمت عند الشيخ « قطب الدين » بهذه الزاوية أربعة عشر يوما ، فرأيت من اجتهاده فى العبادة وحبه الفقراء والمساكين وتواضعه لهم ما قضيت منه العجب ، وبالغ فى اكرامى وحسن ضيافتى وكسانى كسوة حسنة ٠

ولعله مما يذكر بالفضل لأصبهان أن يكون منتسبا اليها فى أحد أصوله أو أصول مواليه الامام الثبت الحجة « الليث بن سعد » نزيل مصر وفقيهها الذى قال عنه الامام « الشافعى » رضى الله عنه : « الليث بن سعد » أفقه من « مالك » الا أن أصحابه لم يقوموا به ٠

ومما يحكيه عنه « ابن خلكان » فى سيرته أن « ابن وهب » كان يقرأ على « الشافعى » مسائل « الليث » فمرت به مسألة فقال رجل

من الغرباء : أحسن والله « الليث » كان كأنه يسمع « مالكا » فيجيب هو ، فقال « ابن وهب » للرجل : بل كان « مالك » يسمع « الليث » يجيب فيجيب هو ، والله الذى لا اله الا هو ما رأينا أحدا قط أفقه من « الليث » ، وكان الى جانب علمه الوافر سخيا جوادا ، ويقال ان دخله كان فى كل سنة خمسة آلاف دينار وكان يفرقها فى الصلات وغيرها ، وتوفى « الليث » رضى الله عنه - يوم الخميس منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ، وقبره أحد المزارات المشهورة بمصر .

وفى كتاب « أخبار أصفهان » لأبى نعيم مئات الرجال الأعلام الذينترجم لهم ، وقد برزوا فى مختلف العلوم والفنون والتصوف .

هذه مقدمة بين يدى « أبى نعيم » الأصفهانى نتعرف من خلالها على البيئة التى صـــنعت صنيعها فى أبنائها فخرجت منهم علماء وحكماء وفقهاء وشعراء وأصفياء .

ولا يجهل أحد أثر البيئة فى الانســـان ، فهو يتنفس هواءها ويشرب ماءها ويأكل طعامها فيتلون بلونها فى أغلب الأحيان ، ولئن كانت هناك فلتات شذت عن نظام البيئة فلأمر أراده القدر والشـــاذ لا يقاس عليه .

والأمر الذى يمكن أن يلاحظ أن بيئة العراق كانت صالحة لانجاب كثير من المتصوفة ، ربما كان ذلك لأن العراق غصت بالشيعة أنصار « على » رضى الله عنه ، الذى يعده بعض الصوفية امامهم فى التصوف ، وهناك علاقة من وجه بين الصوفية والشيعة ، ذلك الوجه هو الانعطاف حول أهل البيت ومبعث الانعطاف يختلف فهو عند الصوفية دينى وعند الشيعة سياسى . وربما يأتى تفصيل لذلك فيما بعد ان شاء الله . وعلى عاتق الفرس قامت الدولة العباسية من خراسان بقيادة « أبى مسلم » الذى أخلص النصح لبنى العباس

عم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعم « على » ـ رضى الله عنه ـ والدعوة العباسية فى أصلها علوية ، فمحمد بن على بن عبد الله بن عباس مؤسس الدولة العباسية كان قد أوصى له « أبو هاشم بن محمد بن على بن أبى طالب » بالأمر من بعده حين حضرته الوفاة ٠ وكان « محمد » ذكيا بعيد النظر حين ألقى بثقله على العراق العجمى وولى وجهه شطر خراسان ، وله كلمة مأثورة فى ذلك توجه بها الى دعاته فى الأمصار حين قال لهم : « أما الكوفة وسوادها فشيعة على وولده ، وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف وتقول : كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ، وأما الجزيرة فحرورية (خوارج) مارقة وأعراب كأعلاج ومسلمون فى أخلاق النصارى ، وأما الشام فليس يعرفون الا آل « أبى سفيان » وطاعة بنى « مروان » عداوة راسخة وجهل متراكم ، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما « أبو بكر » و « عمر » ، ولكن عليكم بخراسان ، فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء ولم يتوزعها الدغل ، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى ٠٠ وبعد فانى أتفاءل الى المشرق والى مطلع سراج الدنيا »(١) ٠

ندرك من هذه الكلمة أين كان نشاط دعاة العباسيين ورثة العلويين ، وامامهم « على » رضى الله عنه الذى أثر عنه الزهد والاشارة الى الحقائق التى تطور اليها العلم الصوفى فيما بعد ٠

جاء فى كتاب « نشأة التصوف » : لقد أنشىء أول رباط صوفى فى « عبادان » حوالى سنة ١٥٠ هـ بفضل « عبد الواحد بن زيد » ، ونال هذا الرباط شهرة واسعة ولابد أن تكون قواعد الذكر ولو فى صورة أولية قد صيغت وتطورت فيه ، ولابد أن « أبا العتاهية » قد تأثر بقصاد هذا الرباط من التقاة والعباد حين قال :

---

(١) الأدب العربى وتاريخه فى العصر العباسى ـ محمود مصطفى ـ ص ٥ ٠

سقى الله عبادان غيثا مجــللا	فان لها فضـــــلا جليلا وأولا
وثبت من فيها مقيما مرابطـا	فما ان أرى عنها له متحـولا
اذا جئتهـــا لم تلق الا مكبرا	تخلى عن الدنيا والا مهـــللا
فأكرم بمن فيها على الله نازلا	وأكرم بعبادان دارا ومنزلا(١)

ثم يقول : حتى اذا أقبل القرن الثالث الهجرى كانت اللفظة قد انتشرت فى العراق ، وصارت « بغداد » فى منتصـــف هذا القرن قصبة الحركة الصوفية وماجت بالشيوخ وظهرت مدارس ذات مناهج متميزة ·· وفى النصف الثانى من هذا القرن كان فى « خراسان » لفظة الملامتية قد اشتهرت لأهل الطريق ، ولكن ما أنتهى هذا القرن الا وكانت كلمة الصوفية عامة فى جميع الأصقاع الاسلامية(٢) ·

ولا أدل على أن « أصبهان » كانت مهدا طيبا للصلاح والتقوى من سيرة الشيوخ الذين نشأوا وعاشوا فيها ، ومن بينهم الامام داود الظاهرى ـ رحمه الله ـ وهو « أبو سليمان داود بن على بن خلف الأصبهانى » الامام المشهور ··

ويحكى عنه « ابن خلكان » قائلا : كان زاهدا متقـــللا كثير الورع ، أخذ العلم عن « اسحاق بن راهويه » و «أبى ثور » وغيرهما ، وكان من أكثر الناس تعصبا للامام الشافعى ، وصنف فى فضائله والثناء عليه كتابين ، ومما يحكى فى زهده مايرويه « أبو عبد الله المحاملى » قال : صليت عيد الفطر فى جامع المدينة ، وقلت أدخل على « داود بن على » فأهنئه ، فجئته ، واذا بين يديه طبق فيه أوراق هندبا وعصارة فيها نخالة ، وهو يأكل فهنأته وعجبت من حاله ، ورأيت أن جميع ما فى الدنيا ليس بشىء ، فخرجت من عنده

---

(١) نشأة التصوف د. ابراهيم بسيونى ص ١١٤ ·
(٢) ص ١١٥ ·

ودخلت على رجل من محبى الصنيعة يقال له « الجرجانى » ، فخرج الى حاسر الرأس حافى القدمين ، وقال لى : ماعنى القاضى ؟ قلت : مهم . قال : ماهو ؟ قلت : فى جوارك .. داود بن على » ومكانه من العلم ما تعلمه ، وأنت كثير الصلة والرغبة فى الخير تغفل عنه ؟ وحدثته بما رأيت . فقال : « داود » شرس الخلق ، وجهت اليه البارحة بألف درهم ليستعين بها فردها على وقال للغلام : قل له بأى عين رأيتنى ؟وما الذى بلغك من حاجتى وخلتى حتى بعثت الى بهذا ؟ فعجبت وقلت : هات الدراهم فانى أحملها اليه ، فدفعها الى وقال للغلام : أئتنى بكيس آخر ، فوزن ألفا أخرى وقال : تلك لنا وهذه لعناية القاضى ، وأخذت له الألفين وجئت اليه فقرعت الباب ودخلت ، وجلست ساعة ثم أخرجت الدراهم وجعلتها بين يديه ، فقال : هذا جزاء من أئتمنك على سره ، انا بأمانة العلم أدخلتك ، ارجع فلا حاجة لى فيما معك . قال « المحاملى » : فرجعت وقد صغرت الدنيا فى عينى ، وأخبرت « الجرجانى » فقال : انى قد أخرجت هذه الدراهم لله تعالى فلا ترجع فى مالى ، فليتول القاضى اخراجها فى أهل البروالعفاف . وداود الظاهرى أصله من أصبهان وان كان قد ولد بالكوفة وتوفى فى بغداد سنة سبعين ومائتين(١) .

وكما ازدهر التصوف فى العراقين ازدهرت العلوم الأخرى ، ولا يجهل أحد أثر الدولة العباسية وما بلغته من تقدم علمى وازدهار فكرى ، ولقد بلغت العلوم فى العصر العباسى أكثر من ثلثمائة علم والذى حدا بالعرب ــ كما يقول المرحوم « محمود مصطفى » فى كتاب الأدب العربى وتاريخه فى العصر العباسى ــ الى العناية بهذه العلوم هى الضرورة الحافزة ، اذ لا يعقل أن أمة يتعاظم عمرانها وتتسع رقعة ملكها ، كما حدث للأمة العربية ثم تبقى مستغنية عن العلم ، غير محسة بالحاجة اليه ، فهذه الضرورة المدنية تدفعهم الى طلب

---

(١) وفيات الأعيان حـ ١ .

الطب للعلاج ، والحساب للضبط ، والهندسة للتعمير ، وهكذا ، ثم علوم الدين وغيرها من النفسيات تدعو اليها ضرورة الاجتماع حتى تضمن الســـعادة لأمم تزدحم بها مواطنها وتكثر مطالبها وتتعدد علاقاتها ٠٠ »[1] ٠

فليس غريبا أن يكون رجل لديه الاستعداد والقدرة والذكاء وله حظ وافر فى طلب العلم فى فروعه المختلفة وينبغ نبوغا ظاهرا فى فنون من العلم ٠ ليس غريبا أن يترك آثارا بازرة تدل على مقدرة وفضل وسبق ٠

كان الامام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله لا يعتد فى تراجمه عن العارفين بالبيئة التى نشأوا فيها ، لأنه يعتبرهم قد بلغوا حدا من الأصالة يرفعهم فوق مستوى الخضوع لعصرهم ، انهم يغيرون وجه الحياة فى جانب من جوانبها ، فهم ليسوا ثمار عصورهم تقليدا وتأثرا ٠ وقد ظهر رأيه هذا واضحا فيما كتبه عن « سفيان الثورى » و « أبى الحسن الشاذلى » رضى الله عنهما ، وغيرهما ٠

ولكن اذا صح هذا فى بعض الشخصيات فان الغالب ـ كما سبقت الاشارة ـ أن البيئة لها أثرها الواضح الذى لا ينكر فى أغلب الشخصيات ، ولا يقلل التأثر بالبيئة من شأن صاحب الترجمة ، ولا سيما اذا كانت ظروف البيئة المحيطة صالحة لاثمار شخصية سوية تساعدها هذه الظروف على الظهور والمضى قدما فى طريق الكمال المنشود ، كما هو الشأن فى شخصية « أبى نعيم الأصفهانى » رحمه الله ٠

---

(١) ص ١٧٣ ٠

حيــاته ونشــأته

نســـــبه :

ذكره « ابن خلكان » فى « وفيات الأعيان » فقال : هو الحافظ « أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق بن موسى بن مهران الأصبهانى » .

وكذلك ذكرته « دائرة المعارف الاسلامية » ولكنها أسقطت جده « أحمد » فقالت : هو « أحمد بن عبد الله بن اسحاق بن موسى بن مهران الشافعى » .

واقتصر « النبهانى » فى كتابه « جامع كرامات الأولياء » على أنه « الحافظ أبو نعيم الأصبهانى » وكذلك فعل كتاب « الأعلام » لمؤلفه « خير الدين الزركلى » .

وأضافت بعض المصادر اليه لقبا آخر هو « الأحول » .

و « نعيم » ينطق مكبرا ومصغرا على اختلاف فيه . هكذا قال

« العاملى » فى كتابه « أعيان الشيعة »(١) وأضاف : « وتطلق كنية « أبى نعيم » على حافظ آخر هو « أبو نعيم الفضل بن دكين(٢) وهو بضم النون بلا خلاف • وعلى آخرين غيره •

ولد فى « اصفهان » فى رجب سنة ٣٣٦ هـ التى توافق يناير أو فبراير سنة ٩٤٨ م وهذا على أرجح الأقوال •

وقيل ولد فى : سنة ٣٣٤ هـ ــ كما يقول « ابن خلكان » وقال بعضهم ولد فى سنة ٣٥٣ هـ •• ولكنه قول ضعيف كما يقول « العاملى » ••

وأسرته اشتهرت بالعلم والتقى ، فقد كان أبوه عالما جليلا ، روى عنه « أبو نعيم » أحاديث عدة ، وكان جده « محمد بن يوسف » عالما عاملا زاهدا راويا وكذلك كان أخو جده هذا • وابن جده « أحمد بن محمد » كان عالما أيضا وهو جد أبيه من قبل أمه • أما جده « مهران » فهو أول من أسلم من أجداده •

وقد كان هذا الجد مولى لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ــ رضى الله عنه •

وكان « عبد الله بن معاوية » هذا قد غلب على « أصفهان » فى

---

(١) أعيان الشيعة حـ ٩ ص ٥ •

(٢) هو حافظ ثبت كوفى ، سمع الأعمش وزكريا بن أبى زائدة وعمر بن ذر وشعبة وغيرهم ، وعنه روى أحمد واسحاق ويحيى بن معين والذهلى والبخارى والدارمى ، وقد روى عنه ابن المبارك مع تقدمه . قال « أحمد بن صالح » : ما رأيت محدثا أصدق من « أبى نعيم » وقال « يعقوب الفسوى » أجمع أصحابنا أن « أبا نعيم » كان غاية فى الاتقان ، وقال « أبو حاتم » : « أبو نعيم » حافظ متقن ، وقال « محمد بن عبد الوهاب الفراء » : كنا نهاب « أبا نعيم » أشد من هيبة الأمير ، ولد سنة ١٣٠ هـ وتوفى شهيدا سنة ٢١٩ هـ ــ تذكرة الحفاظ للذهبى حـ ١ ص ٣٧٢ •

ثورة له ضد الأمويين ، وقصة هذه الثورة قمينة بالتسجيل لأنها تدل على جرأة ومقدرة واعتداد بالرأى ، جاء فى « الأغانى »(١) الذى الذى هذبه « ابن واصل الحموى » : قيل ان « عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب » قدم الكوفة زائرا لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز – وهو اذ ذاك أمير العراق – ومستميحا له ، فتزوج بالكوفة بنت « الشرقى بن عبد المؤمن بن شبث بن ربعى الرياحى » ، فلما وقعت العصبية أخرجه أهل « الكوفة » على بنى أمية ، وقالوا له : اخرج فأنت أحق بهذا الأمر من بنى أمية . فاجتمعت اليه جماعة ، فلم يشعر « عبد الله بن عمر بن عبد العزيز » الا وقد خرج عليه ، فدعا الناس الى بيعته على الرضا من آل « محمد » – صلى الله عليه وسلم – فبايعوه .

وقد ذكر أن ظهور « عبد الله » كان فى أيام « يزيد بن الوليد » المعروف بالناقص وأنه خرج الى ظهر « الكوفة » مما يلى « الحيرة » فقاتل قتالا شديدا .. ثم بعد جولات غلب على ماه الكوفة وماه البصرة وهمدان وقم وقومس والرى وأصبهان وفارس وأقام بأصبهان .

وكتب « عبد الله بن معاوية » كتبا الى الأمصار يدعو الناس الى نفسه ، وقصدته بنو العباس جميعا ومنهم « السفاح » و « المنصور » و « عيسى بن على بن عبد الله بن العباس » وقصدته وجوه قريش من بنى أمية وغيرهم ، فلم يزل مقيما فى هذه النواحى التى غلب عليها حتى ولى « مروان بن محمد » الذى يقال له الحمار، فوجه اليه « عامر بن ضبارة » فى عسكر كثيف فسار اليه ، فلما قرب من « أصبهان » ندب « عبد الله بن معاوية » أصحابه للخروج اليه والى قتاله فلم يفعلوا ولا أجابوه .. فخرج على دهش هو

(١) جـ٣ ص ١٣٦٥ ط دار التحرير .

واخوته قاصدين « خراسان » وقد ظهر بها « أبو مسلم » صاحب دعوة بنى العباس ، فاعتقله « أبو مسلم » فمات فى حبسه ..

وكان « عبد الله » أديبا ظريفا شاعرا وله أبيات من الشعر سارت مسرى الأمثال **منها هذا البيت المشهور :**

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

ومما ذكر عنه « الحصرى » فى كتابه « زهر الآداب » أنه كان عالما ناسبا وكان خطيبا مفوها وشاعرا مجيدا ، **ومن شعره الذى سار مسرى المثل قوله :**

لسنا وان أحسابنا كرمت يوما على الأحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا تبنى ونفعل مثل ما فعلوا (١)

واذا كان « عبد الله بن معاوية .. خرج أيام « يزيد بن الوليد » الذى لقب بالناقص لأنه نقص بعض الجند أرزاقهم ، فقد كانت خلافة « يزيد » فيما يرويه « المسعودى » فى كتابه «مروج الذهب» و«الذهبى» فى كتابه« دول الاسلام » سنة ست وعشرين ومائة ، ولم تدم خلافته أكثر من خمسة أشهر وليلتين(٢) .

وفى هذه الضوء يمكن تحديد زمن اسلام جد « أبى نعيم » .

على أن ذلك لا يضيف الى شخصية الرجل جديدا ، كما أن عدم عراقة الأسرة فى الاسلام الذى لم تعتنقه الأسرة الا بعد مرور أكثر من مائة عام من بدئه لا ينال من شخصية « أبى نعيم » أيضا ، وموقف الاسلام صريح فى أن الانسان بعمله ، والاسلام يجب ما قبله، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، ولقد كان أصحاب رسول الله — صلى

---

(١) زهر الآداب حـ ١ ص ١٢٤ .

(٢) مروج الذهب حـ ٢ ص ١٧٣ ط التحرير ، ودول الاسلام ص ٨٦ ط هيئة الكتاب .

الله عليه وسلم – على قرب الوثنية يقاتل الرجل أباه وأخاه فى دين الله ، ويتبرأ من أبيه وأمه ابتغاء رضوان الله ، ومع ذلك فلم يغض من قدر أحدهم أنه مسلم وأبوه كافر ، بل صاغ الاسلام شخصية هؤلاء الصحابة الأجلاء صياغة جديدة ، وجعل منهم جواهر فريدة ، تزين جبهة الزمن ، من أمثال « عمر » و « خالد » و « أبى عبيدة » و « عكرمة » وغيرهم – رضوان الله عليهم أجمعين ، وقد كان هؤلاء وأمثالهم لهم آباءيكنون ويظهرون للاسلام أشد العداء ٠

والذى لا ينكره أحـــد أن أبناء البلاد المفتوحة أقبلوا على الاسلام بأرواحهم وعقولهم ، وأقبلوا على علوم الاســلام يتقنونها ويبرزون فيها حتى ملكوا ناصيتها ، وأصبح كثير من الموالى أئمة يهتدى بهم ويتتلمذ الناس عليهم ، ويكفى فى اثبات ذلك ما تشير اليه هذه القصة التى أوردها « الدميرى » فى كتابه نقلا عن «ابن الصلاح» فى رحلته ٠ **قال :**

روينا عن « الزهرى » **أنه قال :** قدمت على « عبد الملك بن مروان » فقال : من أين قدمت يازهرى ؟ **قلت :** من « مكة » ٠ قال : قال : فمن خلفت بها يسود أهلها ؟ **قلت :** « عطاء بن أبى رباح » قال : فمن العــرب أم من الموالى ؟ **قلت :** من الموالى ٠ **قال :** فبم سادهم ؟ قلت : بالديانة والرواية ٠ فقال : ان أهل الديانة والرواية ينبغى أن يسودوا الناس ٠

قال : فمن يسود أهل اليمن ؟ قلت : « طاووس بن كيسان » ٠ قال : فمن العرب أم من الموالى ؟ قلت : من الموالى ٠ قال : فبم سادهم ؟ قلت : بما سادهم به عطاء ٠ قال : من كان كذلك ينبغى أن يسود الناس ٠

قال : فمن يسود أهل مصر ؟ قلت : « يزيد بن أبى حبيب » ٠

قال : فمن العرب أم من الموالى ؟ قلت : من الموالى · فقال كما قال فى الأولين ·

ثم قال : فمن يسود أهل الشام ؟ قلت : « مكحول الدمشقى » · قال : فمن العرب أم من الموالى ؟ قلت : من الموالى ، عبد نوبى أعتقته امرأة من هذيل · فقال كما قال فيما سبق ·

ثم قال : فمن يسود أهل الجزيرة ؟ قلت : « ميمون بن مهران » ·· قال : فمن العرب أم من الموالى ؟ قلت : من الموالى · فقال كما قال ·

ثم قال : فمن يسود أهل « خراسان » ؟ قلت : « الضحاك بن مزاحم » **قال :** فمن العرب أم من الموالى ؟ قلت : من الموالى ، فقال كما قال ·

ثم قال : فمن يسود أهل « البصرة » ؟ قلت : « الحسن بن أبى الحسن البصرى » **قال :** فمن العرب أم من الموالى ؟ قلت : من الموالى · قال : ويلك فمن يسود أهل « الكوفة » قلت : « ابراهيم النخعى » قال : فمن العرب أم من الموالى ؟ **قلت :** من العرب · قال : ويلك يا زهرى ، فرجت عنى ، والله لتسودن الموالى على العرب حتى يخطب لها على المنابر وان العرب تحتها · قال : قلت يا أمير المؤمنين انما هو أمر الله ودينه ، فمن حفظه ساد ومن ضيعه سقط(١) ·

هذا والعصر الأموى ـ كما نعلم ـ كان عصر عصبية يحتقر الموالى ، وقد بلغ فيه الموالى ما ترى ، فما ظنك بالعصر العباسى

---

(١) حياة الحيوان حـ ٢ ص ١٥٦ ط دار التحرير ·

وقد قام على عواتق هؤلاء الموالى ؟ حتى لقد اقصى العباسيون كثيرا من العرب عن مراكزهم وحاربوهم واضطروهم الى العودة الى جزيرتهم لئلا يفســـدوا عليهم أمرهم ـ على حد تعبير المرحوم « محمود مصطفى » ـ فى كتابه الأدب العربى وتاريخه فى العصـــر العباسى ، واستشهد على ذلك بكلمة « ابراهيم بن محمد » صاحب الأمر فى الدعوة ، فى وصاته لأبى مسلم الخراسانى : ان استطعت الا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل ، وبكلمة « المنصور » فى وصاته لابنه « المهدى » وانظر مواليك فأحسن اليهم وقربهم واستكثر منهم فانهم مادتك لشدتك ان نزلت بك ٠

وقد ظهر أثر ذلك واضحا فى كثرة الاختلاط الذى أدى الى الجديد من الآثار فى البنى والأجســـام واللغة والعادات والأخلاق والعقول ، كما كان له أثره أيضا فى نضج العلوم وازدهار الفنون ٠

ولقد عرف عن أسرة « أبى نعيم » بعد أن عرفت الاسلام الجد فيه والحرص عليه ، مما ظهر أثره واضحا فى سليلها « أبى نعيم » رحمه الله ٠

ولم يكتف بعض أفراد هذه الأسرة باحياء شـــعائر الدين ، ولكنهم اعتنوا بجوهره حين أقبلوا على الزهادة والنسك والتصوف فجد أبيه لأمه « محمد بن يوسف » كان ـ كما مر بنا ـ من أئمة التصوف وكذلك كان أبوه ٠ وكذلك كان خال أبيه ٠

تعـــــلمه :

ولاشك فى أن « أبا نعيم » قد تلقى دروسه فى المسجد كما كان الناس يتلقون العلم آنذاك ، والقرآن الكريم هو المادة الأولى فى منهج هذه المدرسة ٠

ولا يجهل أحد رسالة المسجد فى الاسلام ، فقد كان الى جانب كونه مركزا للعبـــادة مكانا للعلم والقيادة ، بل وميدانا للتدريب العسكرى ، ولعلنا لا ننسى أن « أبا بكر » رضى الله عنه جعل من المسجد النبوى ثكنة عسكرية تتوجه منها الجنود للدفاع والامداد والجهاد ٠

ولقد مر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذات يوم على حلقتين فى المسجد ، احداهما للذكر والثانية للعلم ، فأثنى على كلتيهما ، وجلس فى حلقة العلم وقال : انما بعثت معلما ٠

ومن هنا كان المسجد هو المدرسة الأولى فى الاسلام ، وأقدم المساجد فى العالم الاسلامى كان يقام للغرض العلمى الى جانب الغرض الأساسى من اقامة الصلاة وعبادة الله ٠ وشـــهد جامع « عمرو بن العاص » فى مصر جانبا مشرقا من جوانب العلم والمعرفة ومازال « الجامع الأزهر » أقدم جامعة علمية فى العالم الآن يقوم بدوره العلمى ، ومازالت حلقات دروسه حتى وقتنا هذا قائمة يتخرج فيها العلماء الذين يضـربون فى الأرض ينشـــرون الهدى والنور ويدعون الى الله ٠

وقد اتسعت الرسالة العلمية التى ولدت فى المسجد حتى شملت التفسير والحديث والفقه والأصول والعقائد والنحو والبلاغة والنقد والأدب وغير ذلك ، « فكان الداخل الى المسجد يرى فى طرفه جماعة يصلون ، وآخرون يقرءون القرآن ، وفى ركن آخر جماعة من العلماء أو الأدباء يعلمون ويتعلمون ويروون الشعر ويناقشون اللغة ، كما ترى فى ركن ثالث عالما جلس حوله تلاميذه وهو يشرح لهم بعض أصول الحديث أو يفسر لهم آيات القرآن الكريم »(١) ٠

---

(١) حضارة العالم الاسلامى فى العصر العربى د٠ على حسنى الخربوطلى ص ٢٣٢.

ومع مرور الوقت وحرص الناس على العلم تحولت رحبات البيوت وقصـــور الملوك وميادين الأســـواق ودور الكتب العامة ودكاكين الوراقين الى أماكن للتعليم ، حتى بنيت المدارس المنتظمة ورتب لها المدرسون ، ووقفت عليها الحبوس التى تضمن لطلابها ومدرسيها الأرزاق الشهرية والجرايات اليومية ·· على أن ذلك لم يكن الا بعد منتصف القرن الخامس الهجرى ـ أى قبل وفاة « أبى نعيم » ـ

ويقال : ان أول من سن هذه السنة الحسنة هو « نظام الملك » « وزير السلطان « الب ارسلان » ثم وزير ابنه « ملكشاه » حيث بنى مدرسته الكبرى ببغداد سنة ٤٥٧ هـ التى استقبلت الطلاب بعد ذلك بعامين ·

ويقال : ان أول من فكر فى ذلك « البيهقى » صاحب المدرسة البيهقية ، و « البيهقى » توفى سنة ٤٥٠ هـ · وقد أنشأها قبل أن يولد « نظام الملك » ·

ويقال : ان أول مدرسة أنشئت هى المدرسة السعيدية بنيسابور، بناها الأمير « نصر بن سبكتكين » أخو السلطان « محمود » حين كان واليا بها(١) ·

ولكن تأخر ظهور المدارس لا يعنى تأخر العلم ، فقد نهض العلم منذ نشأة الاسلام نهضة كبرى ، وساعد على نهوضه عناية الخلفاء الأمويين والعباسيين ـ استجابة لدعوة الاسلام فى ذلك ـ بأمره واهتمامهم به واثابتهم العلماء وتكريمهم واغداق العطاء لهم ،

---

(١) راجـع فى ذلك : الأدب العـربى وتاريخـه فى العصر العبـاسى لمحمود مصطفى ص ٣١٢ ·

حتى أصبح العلم ـ كما يقول المرحوم « محمود مصطفى » ـ وقد سمقت غروسه وطالت أغصانه وامتدت ظلاله وأينعت ثماره ٠

واذن فقد كان المعهد الذى كان « أبو نعيم » يقصده ليتلقى فيه العلم هو مسجد المدينة الجامع ٠

ولابد له ـ اذن ـ أن يتلقى علوم عصره ، يدل على ذلك تقدمه فى كثير منها حتى أصبح ـ كما سنعرف بعد ـ فى الحديث ثقة من ثقاته ، وفى الفقه علما من أعلامه ، وفى التاريخ راوية من رواته ، وفى التصوف رجلا من رجالاته ٠

ومن المشاهد أنه لا ينبغ أحد فى هذه العلوم الا اذا كان نابغا فى غيرها من الفروع ، ذلك لشدة الارتباط بين العلوم ، ولم يكن للتخصص الذى ساد بعد ذلك مكان ٠ ولنا أن نعرف أن أغلب العلوم التى ظهرت فى الاسلام لم تظهر الا لغرض واحد هو خدمة القرآن الكريم والاسلام ٠

كان القرآن الكريم ـ كما يقول الدكتور الخربوطلى ـ محور الدراسات الدينية خاصة والدراسات الاسلامية المنوعة عامة ، فقد أصبح هم الناس تلاوته وتفهم أحكامه ، ومن هنا نشأ علم الأحكام وعلم التفسير ، واستدعى ذلك العلم بالحديث ومصطلحه والفقه وأصوله ، والنحو والاعراب والبلاغة والنقد ، بل استدعى ذلك ظهور علمين توأمين هما فقه اللغة « الفيلولوجيا » وكتابة المعاجم « اللكسيكوجرافيا » وليس من شك فى أن الاسلام « صاحب الفضل الأول على الدراسات العقلية والأدبية والعلمية فى الدولة العربية الاسلامية ٠٠ وقد رفع مستوى العرب العقلى ونشر بينهم كثيرا من أحوال الأمم الأخرى وتاريخها ٠٠ فهيج النفوس الى الاستزادة ، وتعرف على ما عند الأمم منها ، فكان فى ذلك نوع من الثقافة أفاد

المسلمين ووسع مداركهم ، وأدى ذلك الى ظهور علم التاريخ وما يتصل به من قصص وأخبار وتراجم »(١) .

وكان الجو الذى يتنفس فيه « أبو نعيم » مشبعا بالعلم منذ ولادته ، فقد ولد فى خلافة « ركن الدولة بن بويه » الذى كان حاكما على « أصبهان » و « الرى » و ، همذان » وجميع مدن العراق العجمى ، وكان ملكا جليلا مهيبا تمكن من ضـبط البلاد وتقرير قواعدها ، كما كان له شأن مذكور فى تقريب العلماء وتكريمهم والحث على العلم ونشره .

ذكر « ابن خلكان » فى ترجمته أنه استوزر « ابن العميد » وناهيك بابن العميد فضلا وعلما ومقدرة ، وبه يضرب المثل فى الأدب وجودة التعبير ، فيقال : بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد ، وكان يسمى « الجاحظ » الثانى . توفى « ركن الدولة بن بويه » سنة ٣٦٦ هـ بالرى ، بعد ملك دام أربعا وأربعين سنة ، وتولى بعده ولده « مؤيد الدولة أبو منصور » البويهى الذى استوزر أيضا علما من أعلام الأدب هو « الصاحب بن عباد » .

وقد نضجت العلوم على اختلاف أنواعها فى أيام بنى بويه ، وهى مدة تزيد على قرن من الزمان ، وظهـرت فى عهدهم الكتب الوافية خصـوصا فى اللغـة وعلومهـا والتاريخ والأدب والطب والفلسفة . ويعد عصر بنى بويه العصر الذهبى للعلوم والتأليف ، وكانت بين دولتهم وبين غيرها من الدول التى استقلت عن الدولة الأم منافسـات فى اكرام العلماء وترغيبهم فى التأليف خدمة للدين واعزاز شأنه ، فكان هؤلاء يؤلفون برسم الأمراء ، وكثرت المكتبات التى تحوى مئات الألوف من الكتب ومنها ما كان عاما لطلاب العلم كمكتبة « سابور بن أزدشير » وزير « بهاء الدولة بن بويه » وكان

---

(١) حضارة العالم الاسلامى ص ٢٥٦ .

فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد كلها مخطوط بخط الأئمة ، وكان المؤلفون يقفون عليها نسخا من مؤلفاتهم ، ومما يؤسف له أن هذه المكتبة احترقت ضمن ما احترق من محال الكرخ ببغداد عند دخول أول ملوك السلاجقة « طغرل بك » الى بغداد سنة ٤٤٧ هـ[1] ٠ ومنها ما كان خاصا كمكتبة « الصاحب بن عباد » التى سبقت الاشارة اليها ٠

كان عصر البويهيين هذا الذى نشأ فى ظله « أبو نعيم » عصرا ذهبيا فى التقدم العلمى ، وترك طابعه فى مئات العلماء الذين عاشوا فيه ، وقد تنوعت معارفهم وتعددت مواهبهم ، وبرز الكثيرون منهم فى علوم جمة ، فلم يكن طابع التخصص الذى عرف فيما بعد قد ظهر، بل الطابع الموسوعى هو الذى كان سائدا ٠ ويجلس التلميذ بين يدى العالم فاذا به يجد عنده التفسير والحديث والنحو والفقه واللغة وغيرها من المعارف ، ولو حاولنا استقصاء العلماء الذين نبغوا فى المدة التى عاشها « أبو نعيم » ــ وهى تقدر بقرن من الزمان يبدأ من الثلث الأول فى القرن الرابع حتى نهاية الثلث الأول من القرن الخامس ــ لطال بنا الاستقصاء ، وحسبنا أن نذكر أمثلة مما أورده مؤرخ الاسلام الحافظ « شمس الدين الذهبى » فى كتابه « دول الاسلام » عن العلماء الذين عمرت بهم البلاد الاسلامية منذ ولد « أبو نعيم الأصفهانى » فى سنة ٣٣٤ هـ حتى توفى فى سنة ٤٣٠ هـ ٠

فمن هؤلاء : الصوفى الكبير « دلف بن جحدر » المعروف بأبى بكر الشبلى الزاهد وهو تلميذ الجنيد وتوفى سنة ٣٣٤ هـ فى العام الذى ولد فيه « أبو نعيم » ٠

والأديب المشهور « أبو بكر محمد بن يحيى الصولى » المتوفى سنة ٣٣٥

---

(١) الأدب العربى وتاريخه لمحمود مصطفى حـ ٢ ص ١٧ ٠

والحافظ « الهيثم بن كليب » صاحب المسند المتوفى سنة ٣٣٥ هـ

والفيلسوف « محمد بن محمد الفارابى » المتوفى سنة ٣٣٩ هـ

وشـــيخ الحنفية ببخارى « عبد الله بن محمد بن يعقوب » المعروف بالأستاذ المتوفى سنة ٣٤٠ هـ .

وشيخ الشافعية بخراسان « أبو بكر بن اسحاق الصبغى » المتوفى سنة ٣٤٢ هـ ، وقد أفتى نيفا وخمسين سنة ، وله تصانيف عدة ، وكان كثير العبادة قواما ذا أخلاق حسنة .

و « أبو عمرو عثمان بن أحمد الدقاق » المعروف بابن السماك، محدث بغداد وواعظها المتوفى سنة ٣٤٤ هـ .

وشيخ الشافعية بمصر « أبو بكر محمد بن أحمد بن الحداد » المتوفى سنة ٣٤٤ هـ وكان صواما متعبدا .

ومفتى خراسان « أبو النضر محمد بن محمد بن يوســـف الطوسى الشافعى » وكان كبير الشأن توفى سنة ٣٤٤ هـ .

وشـيخ الشـافعية ببغداد « أبو على بن أبى هريرة » تلميذ « ابن سريج » توفى سنة ٣٤٥ هـ .

والمسعودى « على بن حسين » صاحب كتاب « مروج الذهب » توفى سنة ٣٤٥ هـ .

ومحدث خراسان « أبو العباس الأصم محمد بن يعقوب بن يوسف النيسابورى » المتوفى سنة ٣٤٦ هـ فى ربيع الآخر وقد أخذ عن أصحاب « سفيان بن عيينة » و « ابن وهب » وهو من شيوخ « أبى نعيم » .

وشيخ الحنابلة « ابو بكر أحمد بن سليمان » الفقيه النجاد ببغداد المتوفى سنة ٣٤٨ هـ ٠

وشيخ الشافعية بنيسابور « ابو الوليد حسان بن محمد » الفقيه ، قال عنه الحاكم : هو امام المحدثين وأزهد من رأيت وأعبد ، وخرج كتابا على صحيح مسلم توفى سنة ٣٤٩ هـ ٠

ومحدث العصر الحافظ « ابو على الحسين بن على » النيسابورى المتوفى سنة ٣٤٩ هـ ٠

و « خالد بن سعد ابو القاسم » الحافظ احد أركان الحديث بالأندلس توفى سنة ٣٥٢ هـ وكان يحفظ الشىء من قراءته مرة واحدة ٠

وحافظ اصبهان « ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن حمزة » الذى يقول عنه « ابن منده » : ما رأيت أحفظ منه توفى سنة ٣٥٣ هـ ٠

وحافظ وقته « ابو بكر محمد بن عمر التميمى الجعابى » كان يحفظ أربعمائة الف حديث توفى سنة ٣٥٥ هـ ٠

والأديب العالم المشهور علامة أصبهان « ابو الفرج على بن الحسين الأموى » الأصبهانى صاحب كتاب « الأغانى » توفى سنة ٣٥٦ هـ ٠

ومسند الدنيا الحافظ «ابو القاسم سليمان بن احمد الطبرانى» الأصبهانى توفى سنة ٣٦٠ هـ ٠

والحافظ « أبو بكر بن السنى » صاحب « النسائى » توفى بالدينور سنة ٣٦٤ هـ ٠

وحافظ خراسان « الحسن بن محمد الماسرجسى » صاحب المسند الكبير المعلل توفى سنة ٣٦٥ هـ ٠

وشـيخ الزهاد المشـــهور « أبو القاسـم ابراهيم بن محمد النصر اباذى » النيسابورى توفى سنة ٣٦٧ هـ ٠

ومحدث أصبهان « أبو الشيخ الحافظ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان » توفى سنة ٣٦٩ هـ ٠

والمفسر شيخ الشافعية بخراسان «أبو سهل محمد بن سليمان» الصعلوكى وكان اماما عديم النظير توفى سنة ٣٦٩ هـ ٠

وشيخ العلماء « أبوزيد المروزى » الشافعى الزاهد « محمد بن أحمد » شيخ « أبى بكر القفال » توفى سنة ٣٧١ هـ ٠

وخطيب الخطباء المشـــهور المعروف بابن نباته الفارقى توفى سنة ٣٧٤ هـ ٠

والعلامة « أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكرى » الأديب المصنف توفى سنة ٣٨٢ هـ ٠

و « أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد النسائى » الشافعى توفى سنة ٣٨٢ هـ ٠

و « أبو الحسن الرمانى » النحوى المشهور صـــاحب المائة مصنف توفى سنة ٣٨٤ هـ ٠

وحافظ العصر « أبو الحسن على بن عمر الدار قطنى » المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ٠

والحافظ « أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين البغدادى الواعظ المفسر ومن كتبه التفسير ـ ألف جزء ـ والمســـند ـ ألف وثلاثمائة جزء ـ توفى سنة ٣٨٦ هـ ٠

والصوفى المشهور العالم « أبو طالب المكى » صاحب « قوت القلوب » توفى سنة ٣٨٦ هـ ٠

و « أبو سليمان الخطابى » صاحب معالم السنن ، واسـمه « أحمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب البسـتى » توفى سـنة ٣٨٨ هـ ٠

وامام العربية « أبو الفتح عثمان بن جنى » الموصلى توفى سنة ٣٩٢ هـ ٠

وامام اللغة صاحب الصحاح « أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى » توفى سنة ٣٩٣ هـ ٠

وحافظ « اصبهان » « أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن منده العبدى » الذى سمع من ألف وسبعمائة شيخ توفى سنة ٣٩٥ هـ ٠

وزاهد العراق الشيخ « عثمان الباقلانى » توفى سنة ٤٠٢ هـ ٠

وعالم العراق القاضى « أبو بكر محمد بن الطيب بن الباقلانى» المالكى الأصولى ، كان ورده عشرين ترويحة ، فاذا فرغ كتب من تصنيفه خمسا وثلاثين ورقة ، وكانت له حلقة بجامع « المنصور » عظيمة ، توفى سنة ٤٠٣ هـ ٠

وحافظ العصـر « أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم » المعروف بابن البيع النيسابورى توفى سنة ٤٠٦ هـ ٠

والحـافظ « أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك الأصبهانى » توفى سنة ٤١٠ هـ ٠

ومحدث العراق « أبو الحسن محمد بن أحمد بن رزقويه » توفى سنة ٤١٢ هـ ٠

وشيخ الصوفية بخراسان « أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين ابن محمد بن موسى السلمى » صاحب طبقات الصوفية وغيرها ٠ توفى سنة ٤١٢ هـ ٠

ومحدث الشام « أبو القاسم تمام بن محمد الرازى » توفى سنة ٤١٤ هـ ٠

ومحدث اصبهان « أبو سعيد محمد بن على النقاش » الحنبلى الحافظ توفى سنة ٤١٤ هـ ٠

وشيخ الشافعية بخراسان « أبو بكر عبد الله بن احمد القفال » المروزى صاحب التصانيف ، وكان بارعا فى عمل الأقفال توفى سنة ٤١٧ هـ ٠

و « أبو اسحاق الاسفراييني » الأصولى توفى سنة ٤١٨ هـ ٠

وعالم الأندلس ومفتيها وحافظها « أبو عبد الله محمد بن عمر ابن الفخار القرطبى » كان يحفظ « المدونة » و « النوادر » لابن أبى زيد ، وكان مجاب الدعوة ، ورعا متألها عارفا بمذاهب الأئمة ٠ توفى سنة ٤١٩ هـ ٠

ومحدثا خراسان القاضى « أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى » و « أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى » توفيا سنة ٤٢١ هـ ٠

و « أبو بكر أحمد بن محمد البرقانى الشافعى » قال «الخلال» عنه : كان نسيج وحده ٠ توفى سنة ٤٢٥ هـ ٠

و « أبو اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابورى الثعلبى » المفسر ٠ توفى سنة ٤٢٧ هـ ٠

والحافظ « أبو بكر أحمد بن على الأصبهانى اليزدى » محدث نيسابور صاحب التصانيف توفى سنة ٤٢٨ هـ ٠

وشيخ الحنفية « أبو الحين أحمد بن محمد القدورى البغدادى » توفى سنة ٤٢٨ هـ ٠

والرئيس « ابن سينا » توفى أيضا سنة ٤٢٨ هـ ٠

هذه طائفة من العلماء والزهاد والمحققين الذين اظلهم العصر الذى نبت فيه « أبو نعيم » ·

وعلى الرغم من كثرة من ذكرناه الا أننا لم نستقص عددهم ، لأنهم أكثر من أن يحصوا ، وفى ذلك دلالة على ازدهار العلم وكثرته وانتشاره وتنوع فروعه ، ومن هؤلاء الذين ذكرناهم كثير من اقليم اصبهان موطن « أبى نعيم » ، وقد وجد فى المتقدمين منهم طلبته وفى ظلهم رغبته ··

ولا يستكثر القارئ ما قدمناه من أسماء هؤلاء العلماء الأعلام ففى ذلك حفز للهمم واثارة للنفوس نحو الهدف العلمى الشريف · وان أعظم ما يحرص عليه الانسان لبقاء الذكر وخلود الأثر انما هو الحرص على طلب العلم والجد فيه ·

والمثل الأعلى رائد الطالب النابه ، وقد وجد « أبو نعيم » فى نجوم عصره مثله الأعلى ، كما وجد فى جده « محمد بن يوسف البنا » مثلا أعلى كذلك جاء فى « طبقات الشافعية » : « كان جده الشيخ الزاهد « محمد بن يوسف البنا » أحد مشايخ الصوفية وأحد الأعلام الذين جمع الله لهم بين العلو فى الرواية والنهاية فى الدراية ·· »[1] وقد ترك ذلك طابعه من غير شك فيه ، كما وجد فى أبيه العالم العامل صورة المثل الأعلى أيضا ، فغرست فى قلبه تطلعات مشرقة الى الكمال الروحى والصفاء النفسى والنبوغ العلمى ، فكان طلب العلم مقرونا بالعمل عنده ، بل أصبح غاية العلم فى نظره الجزاء الأسمى من الله والتقرب اليه · وهذا المفهوم الأسمى للعلم منحه الله لبعض العلماء العاملين ومنهم « الحسن بن الهيثم » المعاصر لأبى نعيم ، وقد أقام « ابن الهيثم » فلسفته على أساس أن

---

(١) طبقات الشافعية للسبكى حـ ٤ ص ١٨ ·

التقرب الى الله تعالى لا يكون بشـــىء أقوى من النظــر والتفكير والبحث ، وقد ولد « ابن الهيثيم » سنة ٣٥٤ هـ وتوفى سنة ٤٢٠ هـ ٠

شــــيوخه فى طلب العـــلم :

دفع به أبوه فى سن مبكرة الى يد المعلمين ، بل كان أبوه أول معلم له ، فقد كان عالما جليلا له روايات عدة فى الحديث الشريف ، وترجم « أبو نعيم » لأبيه فى كتابه « أخبار أصفهان » ترجمة تدل على استفادته منه قال فيها : « عبد الله بن أحمد بن اسحاق بن موسى بن مهران » وأسلم « مهران » مولى « عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب » ٠

و « عبد الله بن أحمد » هذا أبى وكنيته « أبو محمد » وتوفى فى رجب سنة ٣٦٥ هـ ودفن عند جده من قبل أمه « محمد بن يوسف البناء » الصوفى بمقبرة « روشاباذ » ٠

كان مولده سنة ٢٣١ هـ ـ ومعنى هذا أنه كان من المعمرين فقد امتدت حياته قرنا وثلث قرن ـ

روى عن « أبى خليفة » و « عبدان » و « عبد الله بن ناجية » و « الجندى » و « اسحاق الخزاعى » و « ابراهيم بن متويه » و « محمد بن يحيى بن منده » و « ابن رسته » ٠

ثم أورد بعض مروياته عن أبيه منها :

ـ حدثنا أبى ـ رحمه الله ـ ثنا « أبو خليفة الفضـــل بن الحباب » املاء سنة ثلاثمائة ، ثنا « أبو الوليد الطيالسى » ، ثنا « زهير بن معاوية » ، ثنا « على بن عبد الأعلى » عن « أبى سهل » عن « مسه » عن « أم سلمة » قالت : كانت النفساء على عهد رسول

الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ تقعد بعد نفاسها أربعين يوما ، قالت : وكانت احدانا تطلى الورس على وجهها من الكلف ٠

ــ حدثنا أبى ، ثنا « عبدان » من لفظه ، ثنا « أبو كامل » ، ثنا أبو معشر البراء » عن « عبد الرحمن بن اسحاق » عن « عبد الله ابن دينار » عن « ابن عمر » أن النبى ــ صلى عليه وسلم ــ كان يتختم فى يمينه ٠

ــ حدثنا أبى ، ثنا « عبد الله بن محمد بن ناجية » ثنا ، « محمد بن يحيى بن أبى عمر » ثنا « عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى رواد » عن « بلهط بن عباد » عن « محمد بن المنكدر » عن « جابر » قال : شكونا الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حر الرمضاء فلم يشكنا ، وقال : استعينوا بلا حول ولا قوة الا بالله ، فانها تذهب سبعين بابا من الضر أدناها الهم ٠

ــ حدثنا أبى ، ثنا محمد بن ابراهيم بن أبان السراج » ببغداد، ثنا « يحيى بن عبد الحميد » نا « فضيل بن عياض » عن « الأعمش » عن « حبيب » عن « ثعلبة » عن « يزيد الحمانى » عن « على » قال . قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ٠

كانت سنه لا تجاوز السادسة حين أخذ يختلف الى حلقات الدروس ، ولابد أن يكون أول شىء بدأ به هو القرآن الكريم كما هو المتبع حينذاك ٠

وفى الثامنة من عمره ــ كما يقول « السبكى » فى « طبقات الشافعية » أخذ يتلقى دروس العلم على شيوخ لهم مكانتهم المرموقة، وعن طريق هؤلاء الشيوخ يمكن معرفة أى تلميذ هذا الذى يقدر له الانتظام فى حلقاتهم ٠٠

كان شيوخه فى هذه المرحلة من حياته هم :

١ ــ « عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس بن الفرج » ولد سنة ٢٤٨ هـ ، وتوفى سنة ٣٤٦ هـ · روى عن « أبى مسعود أحمد بن الفرات » و « هارون بن سليمان الخزار » و « وأحمد بن عصام » كان رجلا صالحا برا · قال « أبو نعيم » عنه فى « أخبار أصفهان » : سمعت : ابن حيان » يقول : سمعت « أبا عمر القطان » يقول عن « عبد الله بن جعفر » : رأيت « عبد الله بن جعفر » فى المنام ــ بعد موته ــ فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر ذنبى وأنزلنى منازل الأنبياء · قال « أبو محمد » : وحكى لنا « أبو جعفر الحناط » قال : حضرت موت « عبد الله بن جعفر » فكنا جلوسا عنده ، فقال : هذا ملك الموت قد جاء ، فقال له بالفارسية : اقبض روحى كما تقبض روح رجل يقول تسعين سنة : أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ·

وهذه شهادة صريحة بصلاح الرجل وتقواه واقباله على ربه بقلب مطمئن ، فهو لم تفزعه رهبة الموت ولم يخفه هول المطلع ·

وقد روى « أبو نعيم » عن شيخه « عبد الله بن جعفر » كثيرا من الأحاديث منها :

حدثنا « عبد الله بن جعفر » ، نا « اسماعيل بن جعفر » ثنا « عبد الملك بن مسلمة المصرى أبو مروان » ثنا « ابراهيم بن أبى بكر بن المنكدر » سمعت عمى « محمد بن المنكدر » يقول : سمعت « جابر بن عبد الله » يقول : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : قال « جبريل » قال الله تعالى : هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق ، فأكرموه بهما ما صحبتموه ·

ـ أخبار اصفهان ـ ترجمة عبد الله بن جعفر .

٢ ـ القاضى « أبو أحمد بن أحمد الغسال » وقد ترجم فى كتابه « أخبار اصفهان » لمن اسمه « أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم العسال » قال وكنيته : أبو جعفر ولقبه « المعدل » وتوفى فى شعبان سنة ٣٧٤ هـ .

واعتبره من شيوخه وروى عنه أحاديث منها :

حدثنا « أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد » ثنا « عبد الله بن محمد بن عبد الكريم » ثنا « محمد بن غالب » ثنا « عمار بن هارون الثقفى » ثنا « اسماعيل بن الحسن » شيخ من أهل الشام ، ثنا « ابن عجلان » عن « أبى الزبير » عن « جابر » قال : أتى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ شاب ، فقال : يارسول الله أشكو اليك الوحدة والوحشة فانه لا زوجة لى ولا ولد وأنى فى البيت أستوحش فيه وحدى ، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : فاتخذ زوجا من حمامك يؤنسانك ويوحدان الله عز وجل[1] .

فلعله هو المقصود ، والمعروف أن الرجل قد تكون له أكثر من كنية .

٣ ـ « احمد بن معبد السمسار » واسمه بالكامل : « احمد بن جعفر بن أحمد بن معبد أبو جعفر السمسار » توفى سنة ٣٤٦ هـ .

روى عن « أحمد بن عصام » و « أحمد بن مهدى » و « أبى بكر بن النعمان » و « عبيد الغزال » و « يعقوب بن أبى يعقوب » .

وقد روى « أبو نعيم » عن شيخه هذا أحاديث كثيرة منها :

---

(١) أخبار أصفهان جـ ١ ص ١٥٧ .

ـ حدثنا « أبو جعفر أحمد بن جعفر بن أحمد بن معبد » ثنا « أحمد بن عصام » ، ثنا « وهب بن جرير » ، ثنا « عبيد الله بن عمر » عن « نافع » عن « ابن عمر » أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى عن آطام المدينة أن تهدم ٠

ـ حدثنا « أحمد بن جعفر » ثنا « أحمد بن عصـــام » ، ثنا « أبو بكر الحنفى عبد الكبير بن عبد المجيد » ، ثنا « مالك بن انس » عن « الزهرى » عن « انس بن مالك » أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر ، فلما نزعه جاءه رجل فقال : ان « ابن خطل »[1] متعلق بأســـتار الكعبة ٠ قال : اقتلوه ٠

ـ حدثنا « احمد بن جعفر » ثنا « احمد بن مهدى » ، ثنا « يحيى بن صالح الوحاظى » ثنا « سليمان بن بلال » ، ثنا « العلاء ابن عبد الرحمن » عن أبيه عن « أبى هريرة » أن رجلا جاء الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يارسول الله ، أرأيت ان جاء لى رجل يريد أخذ مالى ؟ قال : لا تعطه مالك ٠ قال : أرأيت ان قاتلنى ؟ قال : فقاتله ٠ قال : أفرأيت ان قتلنى ؟ قال : فأنت شهيد ٠ قال : أفرأيت ان قتلته ؟ قال : هو فى النار[2] ٠

٤ ـ « أحمد بن محمد بن احمد بن جعفر القصار » الفقيه ، وكنيته « أبو بكر » توفى ســـنة ٣٩٩ هـ ٠ تفقه على مذهب الامام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ وروى عن « أبى على بن عاصم » و « عبد الله بن خالد الرازى » و « عبد الله بن جعفر » و « محمد بن اسحاق بن عباد البصرى »[3] ٠

---

(١) عبد الله بن خطل اكثر من هجاء المسلمين وايذائهم فأهدر النبى دمه ٠

(٢) أخبار اصفهان جـ ١ ص ١٤٩ ٠

(٣) أخبار اصفهان جـ ١ ص ١٦٩ ٠

واقتصر فى ترجمته له فى أخبار اصفهان على ما ذكر ٠

٥ ـ « أحمد بن بندار بن اسحاق أبو عبد الله الشعار » توفى سنة ٣٥٩ هـ ثقة ، **قال عنه :** وحين وفاته كنت غائبا عن البلد ، كان ظاهرى المذهب ، يروى عن « ابراهيم بن سعدان » و « عبيد الغزال » و « عمر بن مرداس » و « محمد بن زكرياء » و « الخزاعى » ٠

قال : وروى أيضا عن جدى « محمد بن يوسف » و « ابن أبى عاصم » و « محمد بن أيوب الرازى » سمع كتب « أبن أبى عاصم » منه ، ودرس عليه المذهب وبمذهبه تمذهب ٠

ومن مرويات « أبى نعيم » عنه :

ـ حدثنا« أحمد بن بندار » ثنا « محمد بن زكرياء » ، ثنا « سليمان بن كراز » ، ثنا « عمر بن صهبان الأسلمى » عن « محمد ابن المنكدر » عن « جابر » قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اطلبوا الخير عند حسان الوجوه ٠

ـ حدثنا « أحمد بن بندار » ثنا « الحسن بن ادريس » ثنا « ابراهيم بن سلم الرملى » ، ثنا « عبد الرحمن بن قيس الضبى » عن « عوف الأعرابى » عن « الحسن » عن « أبى هريرة » عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : لا تنقضى الدنيا حتى تخرج الشياطين من البحر يعلمون الناس القرآن ٠

ـ حدثنا « أحمد بن اسحاق » ثنا « محمد بن زكرياء » ثنا « القعبنى » ثنا « حسين بن ضميرة » عن أبيه عن جده عن « قيس ابن سعد » قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : رب الدابة أحق بصدرها ٠

ـ حدثنا «أحمد بن بندار» ثنا «الحسن بن ادريس العسكرى» ثنا ابراهيم بن سهل الرملى ، ثنا « داود بن المحبر » عن « صخر بن

جويرية » عن « نافع » عن « ابن عمر » قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله(١) ٠

٦ ـ «عبد الله بن الحسن بن بندار بن ناجية بن سدوس المدينى» توفى فى ربيع الآخر سنة ٣٥٣ هـ ٠ حدث عن « محمد بن اسماعيل بن الصائغ » وعن « أسيد بن عاصم » و « أحمد بن مهدى » وغيرهم ٠

روى « أبو نعيم » عنه أحاديث عدة ٠ **منها :**

ـ حدثنا « عبد الله بن الحسن بن بندار » ، ثنا « محمد بن اسماعيل أبو جعفر الصائغ » سنة احدى وسبعين ومائتين ، ثنا « يعلى بن عبد الله » ، ثنا « محمد بن اسحاق » عن « أيوب السختيانى » عن « أبى قلابة » عن « أنس » قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : للبكر سبعا وللثيب ثلاثا ٠

ـ حدثنا « عبد الله بن الحسن بن بندار » ، ثنا « على بن محمد بن سعيد الثقفى » ثنا « منجاب » ثنا « ابن الأجلح » ، ثنا « أبان بن تغلب » عن « عطية » عن « أبى سعيد الخدرى » أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال حين مزق كسرى كتاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يهلك كسرى ثم لا يكون كسرى بعده أبدا ، ويهلك قيصر ثم لا يكون قيصر بعده أبدا ، وتنفق كنوزهما فى سبيل الله عزل وجل »(٢) ٠

٧ ـ « سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمى أبو القاسم الطبرانى » قدم اصبهان سنة تسعين ومائتين ، وخرج منها ثم قدمها ثانية فأقام بها محدثا ستين سنة « ولد سنة ٢٦٠ هـ وتوفى سنة

---

(١) اخبار اصفهان حـ ١ ص ١٣٨ ٠

(٢) اخبار أصفهان حـ ٢ ٠

٣٦٠ هـ ودفن بباب مدينة « جى » قال « أبو نعيم » : وحضـــرت الصلاة عليه .

روى عنه « عبد الله بن أحمـــد » و « أبو خليفة الجمحى » و « أبو العبـــاس بن عقدة » والمتقدمون ، وروى عن النجـــوم والأكابر .

ومن مرويات « أبى نعيم » عنه :

ـ حدثنا « سليمان بن أحمد بن أيوب » ثنا « يحيى بن عثمان ابن صالح » نا « محمد بن على بن غراب الكوفى » ، ثنا « قيس بن الربيع عن النضـــر بن محارب بن دثار » عن أبيه عن « جابر بن عبد الله » عن النبى ـ صلى الله عليه ـ وسلم ـ قال نعم الادام الخل .

ـ حدثنا « سليمان بن أحمد » ، ثنا « يحيى بن عثمان بن صالح » ، ثنا « سعيد بن أبى مريم » ، ثنا « عبد الله بن فروخ » عن « ابن جريج » عن « عطاء بن أبى رباح » عن « أنس بن مالك » قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أكرموا بيوتكم ببعض صلاتكم .

ـ حدثنا «سليمان بن أحمد » ثنا « أحمد بن يحيى الحلوانى»، ثنا « يحيى بن أيوب المقابرى » ، ثنا « عامر بن صالح » عن «هشام ابن عروة » عن أبيه عن « عائشة » قالت : كنت آكل مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجاء سائل ، فقلت : بورك فيك . فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا وضع الطعام فلا عذر (١) .

٨ ـ « عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان » وكنيته « أبو

---

(١) أخبار اصفهان جـ ١ ص ٣٣٥ .

محمد » توفى فى سلخ المحرم سنة ٣٦٩ هـ · يعرف بأبى الشيخ · أحد الثقات الأعلام صنف فى الأحكام والتفسير والشيوخ · وحدث عن « ابراهيم بن سعدان » و « محمد بن أسد » صاحب « أبى داود» وتوفى وله ست وتسعون سنة ، كان يقيد عن الشيوخ ويصنف لهم ستين سنة ·

ومن مرويات « أبى نعيم » عنه :

ـ حدثنا « عبد الله بن محمد بن جعفر » ، ثنا « عبد الله بن زكريا » ، ثنا « اسماعيل بن عمرو البجلى » ، ثنا « مسعر بن كدام » عن « عبد الكريم » عن « طاووس » عن « ابن عباس » قال : سئل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أحسن الناس قراءة ؟ قال : من اذا قرأ رأيت أنه يخشى الله عز وجل ·

ـ حدثنا « عبد الله بن محمد » ، ثنا « ابراهيم بن سعدان » ثنا « بكر بن بكار » ثنا « الجراح بن المنوال » ، ثنا « أبو الزبير » عن « جابر » قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : التسبيح للرجال والتصفيق للنساء ·

ـ حدثنا « عبد الله بن محمد » ثنا عمر بن أحمد بن اسحاق الأهوازى » ، ثنا « عبد الله بن معاذ » ، ثنا أبى عن « محمد بن طلحة » عن « زبيد بن مرة » عن « عبد الله بن مسعود » قال : خطب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذا المسجد ، مسجد الخيف فقال : نضر الله امرءا سمع مقالتى هذه فحفظها حتى يبلغ غيره ، فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه غير فقيه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىء مسلم : اخلاص العمل لله والنصيحة لولاة الأمر ولزوم جماعتهم ، فان دعوتهم تحيط من ورائهم[1] ·

---

(١) تاريخ اصفهان حـ ٢ ·

٩ ــ الجعــابى وهو حافظ وقته « محمد بن عمر التميمى الجعابى » وكنيته « أبو بكر » قال « أبو عمر الهاشمى » : **سمعته يقول** : احفظ أربعمائة ألف حديث ، توفى سنة ٣٥٥ هـ (١) · قال عنه « أبو نعيم » انه قدم علينا سنة تســـع وأربعين وثلاثمائة · ولم يزد(٢) ·

هؤلاء بعض شيوخه فى « أصفهان » مكث يتلقى العلم على أيديهم فترة تقدر بحوالى عشرين سنة ، وفى خلال هذه الفترة لابد أن يكون قد أتقن علوما جمة ، ولكن التعطش للعلم يحمله على أن يترك مسقط رأسه ، فيطوف فى البلاد ويرحل الى أماكن عدة ويلتقى بشيوخ كثيرين وينهل من علوم النجوم فى كل مكان يحل فيه ·

وحط رحاله فى بغداد سنة ٣٥٦ هـ ·

وبغداد اذ ذاك حاضرة البلاد وكعبة القصاد ، وفى أرجائها ازدهر العلم وآزر شطأه واستوى على سوقه ، فأقبل « أبو نعيم » على علماء بغداد يقطف من جناهم أطيب الثمار وأشهى الأكل ··

· التقى هناك بأبى بحر البربهارى وهو « محمد بن الحسن بن كوثر » وكنيته « أبو بحر » ، حدث عن « محمد بن الفرج الأزرق » و « محمد بن غالب التمتام » و « اسماعيل بن اسحاق القاضى » وغيرهم · ولد سنة ٢٦٦ هـ ، وتوفى سنة ٣٦٢ هـ(٣) ·

والتقى بعيسى بن محمد بن أحمد بن عمر · المعروف بالطومارى وكنيته أبو على ولد سنة ٢٦٢ وتوفى سنة ٣٦٠ هـ ، وقد حدث عن

(١) دول الاسلام حـ ١ ص ٢٢٠ .
(٢) اخبار اصفهان حـ ٢ .
(٣) تاريخ بغـداد .

« أبى الحارث بن أسامة و « الحسين بن فهم » و « محمد بن أحمد بن البراء » و « ابراهيم الحربى » وغيرهم(١) ٠

وبعبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا المعروف بعبد الرحمن والد المخلص ٠ والمخلص هو « محمد بن عبد الرحمن » أبو طاهر الحافظ البغدادى الذهبى المتوفى سنة ٣٩٣ هـ(٢) ٠

وبحبيب القزاز ، وهو « حبيب بن الحسن بن داود بن محمد أبو القاسم القزاز » سمع « أبا مسلم الكجى » و « عمر بن حفص السدوسى » و « محمد بن يحيى المروزى » وغيرهم من الثقات ٠ وكان يؤثر عنه الصلاح ٠ قال عنه « أبو نعيم » ـ فيما يرويه عنه « الخطيب البغدادى » : ثقة حسن المذهب مستور الحال ٠ توفى سنة ٣٥٩ هـ(٣) ٠

كما التقى بكثير غير هؤلاء من أمثال : «أبى على بن الصواف» و « أبى بكر بن الهيثم الأنبارى » و « ابن خلاد النصيبى » و «أبى سهل بن زياد » و « أبى بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادى » وغيرهم ٠

وظل فى بغداد زمنا ثم ولى وجهه شطر البيت الحرام فى مكة ، حيث عكف مجاورا بها ، يسمع من علمائها ما عسى أن يروى ظمأه وينقع غلته ، والتقى هناك بعالم مكة المشهور : « أبى بكر الآجرى »٠

وهو « أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجرى » الفقيه الشافعى المحدث صاحب كتاب « الأربعين حديثا » وهو مشهور به ،

---

(١) تاريخ بغداد
(٢) دول الاسلام حـ ١ ص ٢٣٧ ٠
(٣) تاريخ بغداد ٠

وكان صالحا عابدا ، روى عن « أبى مسلم الكجى » و « أبى شعيب الحرانى »و « أحمد بن يحيى الحلوانى » و « المفضـــل بن محمد الجندى » كان ثقة صدوقا دينا ، وله تصانيف كثيرة ، توفى بمكة سنة ٣٦٠ هـ ٠ وروى عنه كثير من الحفاظ منهم « أبو نعيم » ٠

وقد ترجم له « ابن خلكان » فى تاريخه ، وقال فيما يدل على صلاحه أنه حينما توجه الى مكة قال : اللهم ارزقنى الاقامة فيها سنة ، فسمع النداء يقول : بل ثلاثين سنة ، وقد كان(١) ٠

والتقى كذلك بغيره من العلماء ، وما أكثر علماء مكة اذ ذاك ٠

ثم رحل الى البصـــرة ، والتقى هناك بعلمائها من أمثال « فاروق بن عبد الكريم الخطابى » و « محمد بن مسلم العامرى » ٠

ثم ولى وجهه نحو الكوفة فالتقى هناك بعالمها الجليل « أبى بكر عبد الله بن يحيى الطلحى » وجماعة من علمائها ٠

وتوجه بعد ذلك الى نيسابور ، وفيها التقى بأبى أحمد الحاكم وهو « محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى المعروف بابن البيع » امام أهل الحديث فى عصره والمؤلف فيه الكتب التى لم يسبق الى مثلها ٠٠ قال عنه « ابن خلكان » : كان عالما عارفا واسع العلم ، تفقه على المذهب الشافعى وقرأ على « أبى على بن أبى هريرة » الفقيه ، ثم طلب الحديث ، وغلب عليه واشتهر به ، ومعجم شيوخه يقرب من ألفى رجل ، وصنف فى علوم الحديث ما يبلغ ألفا وخمسمائة جزء ، منها الصحيحان ، والعلل ، والأمالى توفى سنة ٤٠٥ هـ(١) ٠

---

(١) طبقات الشافعية حـ ٣ ص ٢٧٥ ٠

والتقى كذلك بحسينك التميمى ، وهو « الحسين بن على بن محمد بن يحيى أبو أحمد التميمى النيسابورى ٠ يقال له حسينك بفتح النون وسكون الكاف ، ويعرف أيضا بابن منينه ، تربى فى حجر الامام « أبى بكر بن خزيمة » وكان يقدمه على أولاده ، سمع من ثقات عصره وأئمتهم ، وروى عنه « البرقانى » و « الحاكم » وجماعة ٠ قال « الخطيب البغدادى » عنه : كان ثقة حجة ٠ توفى فى ربيع الآخر سنة ٣٧٥ هـ[1] ٠

والتقى بأصحاب « السراج » فمن بعدهم ٠٠

ثم قفل راجعا الى « اصبهان » بعد رحلة استمرت أربعة عشر عاما فى سبيل العلم ٠ بدأت بعام ٣٥٦هـ وانتهت بعام ٣٧٠ هـ

كان العلماء الذين التقى بهم « أبو نعيم » فى رحلته من جملة العلماء الذين اتسعت معارفهم وتعددت مواهبهم ٠

وكان قد سلخ من عمره حين عاد الى مسقط رأسه أربعة وثلاثين عاما أو ستة وثلاثين عاما ، وهى فترة كافية لأن تجعله من المشهورين الذين يقصدهم الناس ليفيدوا من علمهم وتجاربهم ٠

وهكذا أصبح « أبو نعيم » مقصد الطلاب والمتعلمين من كل قطر ، وأصبح مرحولا اليه بعد أن كان راحلا ٠ قال « الذهبى » فى تذكرة الحفاظ : رحلت الحفاظ اليه لعلمه وحفظه وعلو أسانيده ، وروى عنه كثيرون من كبار الأئمة المذكورين منهم :

« كوشيار بن لياليزور الجيلى » ومات قبله ببضع وثلاثين سنة ٠

و « أبو بكر بن أبى على الذكوانى » ٠

(١) طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٧٥ ٠

و « أبو سعيد المالينى » ·

ومن الحفاظ « الخطيب البغدادى » ·

و « أبو صالح المؤذن » ·

و « أبو على الوخشى » ·

و « أبو بكر محمد بن ابراهيم العطار » ·

و « سليمان بن ابراهيم » ·

و « هبة الله بن محمد الشيرازى » ·

و « محمد بن الحسن البكرى » بآمل

و « بنجير بن عبد الغفار » بهمذان ·

و « أبو بكر محم دبن سباسى » القاضى وجماعة بالرى ·

و « أبو بكر الأرموى » بتنيس ·

و « أبو بكر السمنطارى » بصقلية

و « أبو عمرو بن الضابط » بالأندلس ·

و « نوح بن نصر الفرغانى » ·

و « يوسف بن الحسن التفكرى » ·

و « أبو الفضل حمد الحداد » وأخوه « أبو على المقرىء » ·

و « عبد السلام بن أحمد » القاضى المفسر ·

و « محمد بن بيا » ·

و « أبو سعيد المطرز » ·

و « غانم البرجى » ·

و « أبو منصور محمد بن عبد الله الشروطى » ، وخلق كثير سمع من هؤلاء منهم « السلفى » الحافظ المشهور ، وقد ذكرت المصادر

المختلفة أسماء أولئك الذين ذكرناهم ،ومن هذه المصادر « تذكرة الحفاظ » للذهبى ، و « طبقات الشافعية » للسبكى ·

ومن بين هؤلاء أعلام يشار اليهم بالبنان ، من أمثال « المالينى » وهو « أحمد بن محمد بن أحمد » أحد الحفاظ المكثرين فى الحديث ، والرحالة المكثرين من التجوال فى الآفاق طلبا للعلم · روى عن « أبى نعيم » وعن « ابن عدى » توفى سنة ٤١٢ هـ (١) ·

ومن أمثال « الخطيب البغدادى » وهو الحافظ « أبو بكر أحمد ابن على بن ثابت البغدادى » صاحب كتاب « تاريخ بغداد » المشهور وكان أحد الحفاظ المتقنين ، وعلى كثرة روايته عن « أبى نعيم » الا أنه لم يترجم له فى تاريخه ، وقد عد هذا من المآخذ عليه · توفى الخطيب سنة ٤٦٣ هـ (٢) ·

« أما الحافظ « السلفى » فقد أخذ عمن أخذوا عن « أبى نعيم » وهذا من أمارات النجابة · والسلفى هو « الحافظ أبو طاهر عماد الدين أحمد بن محمد أحمد الأصفهانى » كان اماما حافظا متقنا ناقدا ثبتا دينا خيرا ، انتهى اليه علو الاسناد ، وروى عنه الحفاظ فى حياته ، وله تصانيف عدة ، وكان أوحد زمانه فى علم الحديث · توفى سنة ٥٧٦ هـ بالاسكندرية · أما ولادته فكانت سنة ٤٧٢ هـ باصبهان(٣) ·

شـــــهادة العـــلماء له :

قال « الخطيب البغدادى » لم أر أحدا أطلق عليه اسم الحافظ غير « أبى نعيم » و ، أبى حازم العبدوى » · وقول «الخطيب» هذا

---

(١) حسن المحاضرة للسيوطى ص ١٤٨ ·
(٢) الوفيات حـ ١ ص ٤٦ ·
(٢) الوفيات حـ ١ ص ٥٣ ·

له معناه ، ويقصد بالحفظ شدة الضبط والتحقيق والاحاطة والاتقان ـ وسيأتى تحديد مفهوم هذا اللفظ عند علماء مصطلح الحديث ـ ولا يمنع أن يكون هناك من أطلق عليه لقب الحافظ على وجه التكريم أو المجاملة . ومع ذلك لم يسلم « أبو نعيم » من نقد « الخطيب » الذى وجد من يرد عليه .

وقال « على بن المفضل » الحافظ ـ فيما يرويه « الذهبى » فى « تذكرة الحفاظ » : قد جمع شيخنا « السلفى » أخبار « أبى نعيم » فسمى نحوا من ثمانين نفسا حدثوه عنه .

ويكفى أن يكون للعالم المتقن هذا العدد من التلاميذ النجباء الذين أخذوا عنه ، مع تعدد بلادهم واختلاف أقطارهم ومشاربهم ، وفى هذا دلالة على علو منزلته وعظيم شهرته التى طبقت الآفاق ، فسمع به القاصى والدانى ، ونهل من علمه القريب والبعيد .

وقال الحافظ « أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك الأصبهانى » المتوفى فى رمضان سنة ٤١٠ هـ قبل وفاة « أبى نعيم » بعشرين عاما ، وكان « ابن مردويه » من أئمة اصبهان .قال عن « أبى نعيم » :

كان « أبو نعيم » فى وقته مرحولا اليه ، ولم يكن فى افق من الآفاق أسند ولا أحفظ منه ، وكان حفاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده ، فكان كل يوم نوبة واحد منهم ، يقرأ ما يريده الى قرب الظهر ، فاذا قام الى داره ربما كان يقرأ عليه فى الطريق جزء ، وكان لا يضجر ، ولم يكن له غذاء سوى التصنيف أو التسميع . روى ذلك « السبكى » فى طبقات الشافعية ، ورواه أيضا « الذهبى » فى تذكرة الحفاظ .

وهذا التقرير من هذين العلمين الجليلين يفيد صبر « أبى

نعيم » على العلم ونهمه فى طلبه ، والعلم كما يقول « الامام على » كرم الله وجهه يزكو على الانفاق ، وحقا ذلك فاحياء العلم مذاكرته ومدارسته ، وما أقبل العالم على علم باخلاص وحب الا أدناه من ناصيته وذلل له صعبه وأسلم له قياده ، وتفجرت أمامه ينابيع من الفهم والاستنباط والحكمة فيغرف من ذلك ما يشاء ٠

وهكذا كان « أبو نعيم » لا يدانيه أحد فى عصره فى علمه ، حتى قال « حمزة بن العباس العلوى » عنه : كان أصحاب الحديث يقولون : بقى « أبو نعيم » أربع عشرة سنة بلا نظير ، لا يوجد شرقا ولا غربا أعلى اسنادا منه ولا أحفظ منه ٠

وقال عنه « « ابن النجار » : هو تاج المحدثين وأحد أعلام الدين ٠

اجـــــازة العـــــلماء له :

وقد ظفر « أبو نعيم » باجازة العلماء الأجلاء المحدثين ٠

والاجازة عند علماء مصطلح الحديث هى أن يأذن ثقة من الثقات لغيره بأن يروى عنه حديثا أو كتابا ، سواء أكان هذا الكتاب من تصنيفه أم كان يرويه عن شيوخه بالاسناد الى مؤلفه ٠ وتكون هذه الرواية بالاذن معتبرة وموثوقا بها ، وليس من شرط الاجازة أن يتصل هذا الشخص بمن أذن له اتصالا مباشرا(١) ٠

وأصبحت الاجازة هواية يبحث عنها العلماء بجهودهم ، أو يبحث لهم عنها من توسم فيهم الخير والنجابة ، وقد كان الآباء يحرصون على طلب الاجازة لأبنائهم من كبار الشيوخ فى عصرهم ،

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ــ مادة اجازة ٠

ويعتبرون هذا شـــرفا يعدون أبناءهم له ، وهدفا يدفعونهم نحو تحقيقه واستئهاله ٠

وقد توسم والد « أبى نعيم » فى ابنه خيرا ، فاستجاز له طائفة من شيوخ العصر فى أقطار مختلفة منهم :

ـ « أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير الخواص الخلدى » المشهور بجعفر الخلدى ٠ بغدادى المولد والمنشأ ، صحب « الجنيد ابن محمد » وعرف بصحبته كما صحب « أبا الحســـين النورى » و « رويما » و « سمنون » و « أبا محمد الحريرى » وغيرهم من مشايخ الوقت ، وكان المرجع اليه فى علوم الصوفية وكتبهم وحكاياتهم وسيرهم ٠ قال : عندى مائة ونيف وثلاثون ديوانا من دواوين الصوفية ، وكان من أفتى المشايخ وأجلهم وأحســـنهم قولا ، حج قريبا من ستين حجة ، وتوفى ببغداد سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ٠

وكانت له روايات فى الحديث وسند متصـــل بالرواة ، ومن كلامه الذى يدل على بصيرة وذوق قوله : لا يجد العبد لذة المعاملة مع لذة النفس ، لأن أهل الحقائق قطعوا العلائق التى تقطعهم عن الحق قبل أن تقطعهم العلائق ٠ **وقال :** الفرق بين الرياء والاخلاص أن المرائى يعمل ليرى والمخلص يعمل ليصل ٠ ومما يدل على فتوته قوله : سعى الأحرار لاخوانهم لا لأنفسهم(١) ٠

والاجازة التى ظفر بها « أبو نعيم » من « الخلدى » هنا لابد أن تكون متصلة بما قاله أو رواه فى علوم التصوف وكلام القوم فيه ٠

ـ ومنهم « خيثمة بن سليمان الأطرابلسى » محدث الشـــام

---

(١) طبقات الصوفية للسلمى ط الشعب ٠

وعالمها الذى لايكاد يدانى ، وقد بارك الله فى عمره ، وانتفع بعلمه خلق كثير ، وقد توفى سنة ٣٤٣ هـ عن ثلاث وتسعين سنة ، وقيل : بل تجـــاوز المـــائة كما حـــدث بذلك « الذهبى » فى كتابه « دول الاسلام »(١) ٠

ـ ومنهم محدث خراسان « أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف الأصم » النيسابورى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ عن مائة سنة ، وقد حمل عن أصـــحاب « سفيان بن عيينة » و « عبد الله بن وهب » وغيرهما ٠٠(٢) ٠

وغيرهم من نجوم عصورهم من أمثال : « عبد الله بن شوذب » فى واسط و «أبى سهل بن زياد » فى بغداد ٠

لقد حرص الأب على أن يضمن لابنه مستقبله العلمى ، فظفر له باجازة هؤلاء الذين توفوا قبل أن ينضج التلميذ ، ولكنه تفاؤل وتوسم للخير وفراسة صادقة حالفها التأييد ٠

ولم يقدر لأبيه أيضا أن يرى نبوغ ابنه فى اصبهان بعد رجوعه اليها فقد مات الأب سنة ٣٦٥ هـ فى أثناء غيبة الأبن مجاهدا فى سبيل العلم والتفوق فيه ٠٠

---

(١) حـ ١ ص ٢١٣ ٠
(٢) دول الاسلام حـ ١ ص ٢١٤ ٠

مذهبـــــه

تفقه « أبو نعيم » على مذهب الامام « الشافعى » ـ رضى الله عنه ـ وكان هذا المذهب قد انتشر فى أقطار الأرض من مصر التى اختارها « الشافعى » مقرا لها حتى وصل الى فارس ، وكان مذهب الامام « أحمد بن حنبل » فيها ·

وقد درس « أبو نعيم » المذهب الشافعى على كثير من أئمته الذين عاصرهم وسبقت الاشارة الى بعضهم ·

وكان الامام « الشافعى » قد رحل اليه العلماء من مختلف الأقطار ونقلوا عنه ، وعنهم انتشر مذهبه فى الآفاق · جاء فى «وفيات الأعيان » وفى « حسن المحاضرة » للسيوطى قال « ابن عبد الحكم » : لما حملت أم الشافعى به رأت كأن « المشترى » خرج منها حتى انقض بمصر ثم وقع فى كل بلدة منه شظية ، فتأول أصحاب الرؤيا أنه يخرج عالم يخص أهل مصر ثم يتفرق فى سائر البلدان · ويقال ان الأثر الذى يقول : عالم قريش يملأ طباق الأرض علما يعنى به « الشافعى » ·

جاء فى « طبقات الشافعية » حـ ١ : « واعلم أن أصحابنا تفرقوا بتفرق البلاد فمنهم أصحابنا بالعراق ، ومنهم أهل فارس · قال الأستاذ « أبو منصور البغدادى » : ولم يبرحوا شافعية أو ظاهرية على مذهب « داود » والغالب عليهم الشافعية ، وهى مدائن كثيرة ، قاعدتها « شيراز » ، ونحو مائة منبر - يعنى مائة مدينة - فى بلاد « أذربيجان » وما وراءها يختص بالشافعية ، لا يستطيع أحد أن يذكر فيها غير مذهب « الشافعى » ، ومنهم خلائق من بلاد أخر ، من بلاد الشرق على اختلاف أقاليمه واتساع مدنه ، كسمرقند وبخارى وشيراز وجرجان والرى وأصبهان وطوس وساوة وهمذان ·· وغير ذلك من المدن الداخلة فى أقاليم ما وراء النهر ·· وكل هذه كانت تحتوى على مدائن تقر العين وتسر القلب الى حين قدر الله تعالى ، وله الحمد على ما قضاه من خروج جنكيز خان .فأهلك البلاد والعباد ·· » ··

وقال « السيوطى » فى « حسن المحاضرة » : قال الامام « أحمد » : ان الله تعالى يقيض للناس فى كل رأس مائة سنة من يعلمهم السنة وينفى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الكذب، فنظرنا فاذا فى رأس المائة « عمر بن عبد العزيز » وفى رأس المائتين الشافعى »(١) ·

ولم يكن علم « الشافعى » قاصرا على الفقه ، ولكنه تناول غير ذلك من الحديث والتفسير وأصول الفقه والكلام وغير ذلك من العلوم اللسانية العقلية ، وله كتب فى مختلف فروع العلم · قال « ابن خلكان » فى « وفيات الأعيان » : كان « الشافعى » كثير المناقب جم المفاخر منقطع القرين اجتمعت فيه العلوم بكتاب الله وسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكلام الصحابة - رضى الله

---

(١) حسن المحاضرة حـ ١ ص ١٢٢ ·

عنهم ـ وآثارهم واختلاف أقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة العربية والشعر ـ حتى ان « الأصمعى » مع جلالة قدره فى هذا الشأن قرأ عليه أشعار الهذليين وأخذ عنه شعر « الشنفرى » ـ ما لم يجتمع فى غيره • وقال « أحمد بن حنبل » : ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالست « الشافعى » : وقال « عبد الله بن أحمد بن حنبل » : قلت لأبى : أى رجل كان « الشافعى » فانى سمعتك تكثر من الدعاء له ؟ فقال : يا بنى ، كان الشافعى » كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن ، وهل لهذين من خلف أو عنهما من عوض ؟

وقال « الكرابيسى ت ٢٠٤ » : ما كنا ندرى ما الكتاب ولا السنة ولا الاجماع حتى سمعنا « الشافعى » يقول ذلك(١) •

وللشافعى مؤلفات جمة فى مختلف فروع العلم ـ كما قدمنا ـ منها « الرسالة » و « الأم » و « أحكام القرآن » و « اختلاف الأحاديث » « وابطال الاستحسان» و « القياس » و « الحجة » وغير ذلك ، وله كتاب صغير الحجم كبير الفائدة اسمه « الفقه الأكبر » قال فى مقدمته : هذا كتاب ذكرنا فيه ظواهر المسائل فى أصول الدين التى لابد للمكلف من الوقوف عليها ، وقد تناول مختلف جوانب العقيدة والشريعة ، وتحدث فيه عن الالهيات والنبوات والسمعيات • كما تحدث فيه عن الامامة والأئمة بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وان الخلفاء الراشدين اختيروا باجماع المسلمين ولا تجتمع الأمة على ضلالة •

والمتفقه من عامة الناس على مذهب من المذاهب يكفيه ما يعرفه من معالم المذهب الفقهية ليصحح بذلك عبادته ويقيم شعائر الدين •

---

(١) مقدمة ديوان الشافعى تحقيق د• محمد عبد المنعم خفاجى ص ١٩ •

أما اذا كان المتفقه فى مثل « أبى نعيم » فلابد من أن يحيط بآراء صاحب المذهب وأفكار مذهبه وأسراره ودقائقه وتفصيلاته حتى يصبح حجة فيه . وكذلك كان « أبو نعيم » .

لقد تمكن من مذهب الامام « الشافعى » وتمرس به فكرا وعملا وسلوكا .

ولقد أرخت له كتب الطبقات التى تعنى برجال المذاهب ، وأفرد له « السبكى » ـ كما سبق ـ فى « طبقات الشافعية » صفحات طوالا ، ويدل ذلك على أنه وصل الى غاية بعيدة فيه .

وعقيدة « أبى نعيم » نابعة من مذهبه « الشافعى » فهو امام من أئمة أهل السنة ، وأعجب برأى الأشاعرة فاعتنقه ، وبسبب هذه العقيدة الأشعرية كانت هناك خصومة بين « أبى نعيم » و « ابن منده » .

وجدير بالقول أن عقيدة الأشاعرة هى العقيدة الوسطى بين التعطيل والتشبيه ، وهى منسوبة الى الامام «أبى الحسن الأشعرى» المتوفى سنة ٣٣٢ هـ .

وقد قال بعض الشعراء فى هذه العقيدة والمنتسبين اليها :

الأشعرية قوم — قد وفقوا للصواب

لم يخرجوا فى اعتقاد — عن سنة وكتاب

وقال المرحوم « عبد المتعال الصعيدى » فى كتابه « الوسيط فى تاريخ الفلسفة الاسلامية » فى تعليل ظهور الأشاعرة :

« كان المسلمون فى حاجة الى مذهب وسط بين المذهبين ـ يعنى مذهب المعتزلة الذين كانوا يرون أن مذهبهم هو الدين الصحيح الذى يجمع بين العقل والنقل ومذهب أهل السنة الذى يقف عند النقل

ولا يعترف للعقل الا بسلطة ضيقة لا تتجاوز تسويغ الاستدلال به فى العقائد بعد دليل النقل ، لأن دليل النقل هو الأصل فى الدين ـ فجاء الأشعرى بهذا المذهب الذى لا يغلو فى سلطة العقل كما غلا المعتزلة ، ولا يتهيب الاستعانة بالعقل فى تأويل بعض أدلة النقل ، اذا لم يكن ظاهرها مقبولا كما تهيب أهل السنة ، ولا يتحرج مثلهم من الاستعانة بالنظريات العلمية فى حدودها المقبولة ، ولا من الجدال فى الدين والعقائد ٠٠ جاء هذا المذهب خاليا من افراط المعتزلة ومن تفريط أهل السنة »(١) ٠

كان الحنابلة يحملون لواء السنة ويتعصبون لها حتى وقفوا وقفة جامدة أمام بعض النصوص التى تحتاج الى تأويل ٠

الخلاف بين أبى نعيم وابن منده :

وقد عاصر « أبو نعيم » كلا من « أبى عبد الله محمد بن اسحاق محمد بن يحيى بن منده وابنيه عبد الوهاب وعبد الرحمن » ، وقد توفى الأب سنة ٣٩٥ هـ أما ولده « عبد الوهاب » فقد ولد سنة ٣٨٦ هـ وامتد به العمر حتى سنة ٤٧٥ هـ ، وتوفى عبد الرحمن سنة ٤٧٠ هـ ٠

وقد ترجم القاضى « أبو الحسن بن أبى يعلى » فى كتابه « طبقات الحنابلة » « لأبى عبد الله محمد بن منده » الذى امتدت معاصرته لأبى نعيم حيث عاشا معا فترة واحدة تقدر بستين عاما تقريبا ٠ وقرأ « ابن منده » على بعض العلماء الذين قرأ عليهم « أبو نعيم » وكان « ابن منده » كصنوه « أبى نعيم » فى كثرة الرحلات فى طلب العلم حتى قال : كتبت عن ألف وسبعمائة شيخ(٢) ٠

---

(١) الوسيط ص ٨١

(٢) طبقات الحنابلة حـ ٥ ص ١٦٧ ٠

وكان آل منده حنابلة ، وكان « أبو نعيم » شافعى المذهب وعقيدته أشعرية ·

وربما نشأت خصومة بين الأشاعرة والحنابلة امتد أثرها الى التلاميذ والعلماء حتى قدح كل من هؤلاء فى هؤلاء · وقد تصل الخصومة أحيانا الى حب الانتصار للرأى · وهذه من آفات الهوى ··

ولا نغالى اذا قلنا : ان الخلاف بين العلماء عامة كان قد اشتعل منذ حين ، حتى حمل بعض الخلفاء لواء التعصب لبعض الآراء ، وأرادوا حمل العلماء عليها ، والتاريخ يذكر لنا كيف تعرض الامام « أحمد بن حنبل » وبعض العلماء معه لمحنة قاسية حين أراد « المأمون » أن يكرههم على القول بخلق القرآن ، وسيق الامام « أحمد » مقيدا ووضع فى السجن ولقى من التعذيب والتنكيل شيئا كثيرا ، ولكنه لم يستجب الى ما أرادوا حمله عليه · قال الدكتور « محمد مصطفى هدارة » : « نراه — أى المأمون — يبعث الى عامله على بغداد « اسحاق بن ابراهيم الخزاعى » كتابا يطالب فيه بامتحان القضاة والمحدثين فى موضوع خلق القرآن ، اذ أنه يرى من واجبه تصحيح عقائد الناس الفاسدة الذين يرون أن القرآن قديم »(١) ·

وهكذا يتبنى الخليفة رأى المعتزلة ويريد حمل الناس عليه بالقوة ، ولم تنته هذه الفتنة بوفاة « المأمون » ولكنها استمرت بعده ، فقد حمل لواءها « المعتصم » ثم « الواثق بالله » الذى قتل فى ذلك « أحمد بن نصر الخزاعى » الشهيد من أهل السنة لكونه أغلظ للواثق ، وقال له : مه ياصبى ، وكان الخزاعى اماما قوالا بالحق أمارا بالمعروف ، وقام معه خلق من المطوعة ، وصار لهم قوة ومنعة

---

(١) المأمون الخليفة العالم ص ١٣٨ — أعلام العرب ·

فخاف « الواثق » من غائلة ذلك »(١) .

وقيل : ان الواثق « هو الذى ترك المحنة بخلق القرآن(٢) .
وقيل ان الذى أبطلها « المتوكل »(٣) .

ولم يكن الخلاف بين العلماء قاصرا على ذلك ، ولكن هناك خلافات أنشأتها المذاهب السياسية ، وقد ذكر « الذهبى » فى كتابه « دول الاسلام » فى حوادث سنة ٤٠٧ هـ أن هناك فتنة ثارت بين السنة والشيعة بواسط نهبت فيها دور الرافضة وأحرقت ، وفى حوادث سنة ٤٠٨ هـ حدثت فتنة كبرى ببغداد بين أهل السنة والرافضة وقتل عدد منهما، وأطلقت النار فى سوق الدجاج، ثم استتاب « القادر بالله » جماعة من أهل الرفض والاعتزال ، وأخذ خطوطهم بالتوبة ، وبعث الى السلطان « محمود بن سبكتكين » صاحب « خراسان » يأمره بنشر السنة فبادر وفعل ، وقتل جماعة ونفى خلقا من الاسماعيلية والرافضة والمعتزلة والمجسمة ، وأمر بلعنهم على المنابر ، فظفروا بالدرزى الذى ادعى الهية « الحاكم » وقتلوه .

وهاجت هذه الفتنة مرة أخرى سنة ٤٢٢ هـ بين السنة والشيعة ببغداد وقتل عدة نفر ، وأشرف أهل الكرخ على التلف ، فركب الوزير والجند فوقعت بصدر الوزير آجرة وسقطت عمامته .

هذه الأحداث التى حكاها « الذهبى » شهدتها الفترة التى عاش فيها « أبو نعيم » فليس غريبا أن تثور خصومة بينه وبين « ابن منده » وكلاهما يميل الى مذهب يخالف الآخر . فالحنابلة ـ وهم

---

(١) دول الاسلام حـ ١ ص ١٣٩ .
(٢) دول الاسلام حـ ١ ص ١٤٠ .
(٣) دول الاسلام حـ ١ ص ١٤٩ .

يمثلون السنة ـ لا يقبلون بحال آراء المعتزلة ، وربما كان هناك تقارب بين المعتزلة والشيعة الذين أطلق عليهم « الذهبى » لقب الرافضة ، وأدى ذلك الى التنافر بين أهل السنة والشيعة ، ولم يقبل أهل السنة نظرية التوفيق التى دعا اليها « الأشعرى » لقد عارضها أهل السنة تماما فظلوا على موقفهم الذى أطلقوا عليه المنهج السلفى · مع أن الأشاعرة لم يخرجوا على هذا المنهج ، وكل ما هناك ـ كما سبقت الاشارة ـ أنهم حاولوا التوفيق بين العقل والنقل ··

وربما كان هناك سبب آخر وراء هذه الخصومة ، هو ذلك السبب الذى من أجله حدث الخلاف بين الفقهاء والصوفية · و «أبو نعيم » يميل الى التصوف ·

وقد نشأ هذا الخلاف باقبال القرن الثالث الذى ازدهرت فيه الحركة الصــــوفية ، وانتقلت من طور العبادة والزهد الى طور التصوف النظرى وما أثمره من أذواق وأحوال ، وظهرت مدارس متعددة ومناهج متميزة ، ولكل مدرسة مريدون وشيوخ ، هنالك ـ كما يقال الدكتور ابراهيم بسيونى فى كتابه نشأة التصوف ص ١١٥ ـ « بدأت الخلافات تظهر بين أهل التصوف والفقهاء وظهرت حلقات الدروس والتناظر ، واتخذ التصوف طابع الحب ، الحب القائم بين العبد وربه بعد تقلص الارادة الانسانية وذوبانها فى الارادة الالهية ، وأجاب الحب عن كل الأسئلة الخطيرة التى تتردد فى بيئات المتكلمين والفقهاء عن الجبر والاختيار ، والقضاء والقدر ، وعمل الله وعمل الانسان ، فاذا الحب قادر على حل كل هذه المشاكل ، مذيب لما ران على القـــلوب من يأس حـــاث للوجـــدان على مداومة التطلع واستمرار المسير حتى تفيض المعارف وتنال السعادة » ··

كانت قضية الحب الالهى مثار خلاف بين الفقهاء والصوفية ، فقد قال الفقهاء : ان الشرع برىء من هذا الحب الذى يجاهر به

الصوفية ، لأن الحب لا يكون الا بين ند وند ، وليس هناك مساواة بين الخالق والمخلوق ، وحب الله انما يكون فى اتباع نبيه – صلى الله عليه وسلم(١) – مصداقا لقوله تعالى « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله »(٢) .

أما الصوفية فيقولون : ان الله دعا الى حبه صراحة فى قوله تعالى « يحبهم ويحبونه »(٣) وقوله « والذين آمنوا أشد حبا لله »(٤) .

ويدعوهم الى اثبات هذا الحب عن طريق اتباع النبى – صلى الله عليه وسلم – فليس معنى الحب ترك العمل ، وقد نعى الامام « الشافعى » على مدعى الحب دون عمل حين قال :

تعصى الاله وأنت تظهر حبه
هذا محال فى القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته
ان المحب لمن يحب مطيع(٥)

وهناك قضية أخرى أثارت الاختلاف هى قضية الظاهر والباطن أو الحقيقة والشريعة ، فالفقهاء – ويمثلون علم الظاهر – يقولون : ليس غير الشريعة ، والصوفية ومن أدرك علومهم يقولون : ان هناك شيئا وراء الظاهر يسمى الباطن ، وأن للشريعة لبا هو الحقيقة ،

---

(١) الأدب الصوفى فى مصر فى القرن السابع . د. على صافى حسين ص ٩٥ .
(٢) آل عمران ٣١ .
(٣) المائدة ٥٤ .
(٤) البقرة ١٦٥ .
(٥) الديوان ص ٩١ .

وقالوا : ان علم الباطن سر من أسرار الله تعالى يقذفه الله فى قلب من يشاء من عباده » ٠

ولم يكن الفقهاء يرفعون لواء الخصومة ضد من غالى فى حبه لله أو تفوه من الصوفية بألفاظ شاطحة فحسب ، بل رفعوه فى وجه الجميع حتى من اشتهر من الصوفية بالاعتدال والتمسك بالسنة ـ وما من صوفى الا ووجد من الفقهاء من يناوئه ٠

فلا يبعد أن تكون الخصومة بين « أبى نعيم » و « ابن منده » من هذا القبيل ، على اعتبار أن « ابن منده » فقيه يمثل مذهب امام السنة « ابن حنبل » و « أبا نعيم » فقيه يميل الى رأى الصوفية ويحتضنه ويدافع عنه ٠

واذن فهناك دوافع متعددة للخصومة : الأشعرية ـ التشيع ـ التصوف ٠٠

وربما كان من التجنى على الامام « أحمد » وهو رأس المذهب الحنبلى وصفه بالتزمت فى موقفه من التصوف والصوفية ولكنه ـ والحق يقال ـ كان مرنا معهم ، يسألهم أحيانا ، ويقبل منهم ، ويثنى عليهم ، وينصح أبناءه بالجلوس معهم ٠ حكى « الشعرانى » فى مقدمة « الطبقات الكبرى » :

قائلا : « أذعن الامام « الشافعى » رضى الله عنه لشيبان الراعى ، حين طلب الامام « أحمد بن حنبل » أن يسأله عمن نسى صلاة لا يدرى أى صلاة هى ، واذعان الامام « أحمد » لشيبان كذلك حين قال « شيبان » : هذا رجل غفل عن الله ـ عز وجل ـ فجزاؤه أن يؤدب ، وكذلك يكفينا اذعان « الامام أحمد بن حنبل » رضى الله عنه لأبى حمزة البغدادى الصوفى رضى الله عنه واعتقاده فيه حين كان يرسل له دقائق المسائل، ويقول : ماتقول فى هذا ياصوفى ؟ وحكى الشيخ « قطب الدين بن أيمن » رضى الله عنه أن الامام « أحمد بن

حنبل » رضى الله عنه كان يحث ولده على الاجتماع بصوفية زمانه ويقول : انهم بلغوا فى الاخلاص مقاما لم نبلغه » .

وتذكر « دائرة معارف الشعب » فى مادة التصوف التى كتبها المرحوم الدكتور « أحمد الشرباصى » : قيل لأحمد بن حنبل رضى الله عنه ، ان «الحارث المحاسبى» يتكلم فى علوم الصوفية ويحتج لها بالآى والحديث ، فهل لك أن تسمع كلامه من حيث لا يشعر ؟ فقال : نعم . فحضر معه ليلة الى الصباح ، ولم ينكر من أحواله ولا من أحوال أصحابه شيئا . وقال : لأننى رأيتهم لما أذن بالمغرب تقدم فصلى ثم حضر الطعام ، فجعل يحدث أصحابه وهو يأكل ، وهذا من السنة ، فلما فرغوا من الطعام وغسلوا أيديهم جلس وجلس أصحابه بين يديه ، وقال : من أراد منكم أن يسأل عن شىء فليسأل ، فسألوه عن الرياء والاخلاص وعن مسائل كثيرة ، فأجاب عنها واستشهد عليها بالآى والحديث ، فلما مر جانب من الليل أمر « الحارث » قارئا يقرأ فقرأ فبكوا وصاحوا وانتحبوا ، ثم سكت القارىء ، فدعا « الحارث » بدعوات خفاف ، ثم قام الى الصلاة ، فلما أصبحوا اعترف الامام « أحمد » رضى الله عنه بفضله وقال كنت أسمع عن الصوفية خلاف هذا ، أستغفر الله العظيم .

وفى « طبقات الحنابلة » فى ترجمة « يحيى بن منده » جـ ٣ ص ١٣٢ جاء : حدثنا « أبو حامد الخلفانى » قال : قلت لأحمد بن حنبل : ما تقول فى القصائد ؟ ــ أى السماع الذى يتواجد عليه الصوفية ــ فقال : فى مثل ماذا ؟ **قلت : مثل ما تقول** .

اذا ما قال لى ربى أما استحييت تعصينى
وتخفى الذنب من غيرى وبالعصيان تأتينى
(فما قولى له لما يعاتبنى ويقصينى)(١)

(١) البيت الأخير ليس فى طبقات الحنابلة وهو من الحلية ، وذكرته لانه يتضمن جواب الشرط .

قال : فرد الباب ، **وجعل يقول :**

اذا مـــــا قـــــال لى ربى أما استحييت تعصيـنى
وتخفى الـذنب من غـيرى وبالعصيان تأتينى

فخرجت وتركته ٠

فترديد الامام « أحمد بن حنبل » هذا الشعر اقرار منه بفعل الصوفية حين يسمعون ما يحرك خواطرهم الى الله ٠

قالوا : وكان للامام « أحمد » صحبة خاصة ببشر بن الحارث الصوفى المشهور المعروف ببشر الحافى المتوفى سنة ٢٢٧ هـ ٠(١) ٠

والحقيقة أنه لا فرق بين الشريعة والحقيقة الا كما يكون الفرق بين اللفظ ومعناه كلاهما متمم للآخر أو كما يقول المتصوفة : الشريعة هى الشجرة والحقيقة ثمارها(٢) ٠

فالمنصف على ذلك لا يخاصم الصـوفية الذين يحترمون الشريعة ويعرفون لها حقها ولا يفرطون فيها قيد شعرة، وما أثر عنهم فى التعبير عن هذا المعنى يفوق الحصر ٠

وهذا الاستطراد الذى ذكرناه انما هو عرض لاحتمالات أسباب الخلاف غير ما صرح به المؤرخون من أن الخلاف كان ناجما بين الحنابلة والأشاعرة بسبب المذهب ٠

ويبدو أن أتباع أى مذهب كانوا لا يطيقون ظهور أى مذهب سوى مذهبهم فى أصبهان حتى ان« ياقوت الحموى » فى معجمه أشار

---

(١) نفيسة العلم والمعرفة لصلاح عزام ص ٣٦ ، والطبقات الكبرى للشعرانى حـ ١ ص ٥٧ ٠

(٢) اعلام التصوف الاسلامى ــ طه عبد الباقى سرور حـ ٢ ص ٤٤ ٠

الى كثرة الخلافات التى كانت تنشب فى أصبهان فقال : وقد نشأ الخراب فى نواحيها لكثرة الفتن والتعصب ٠

على أن الخصومة بين « ابن منده » و « أبى نعيم » لم تتخذ طابع العنف ، ولم تتعد التفوه ببعض الألفاظ ، وكل ما قاله « أبو نعيم » فى حق « ابن منده » ما حكاه فى ترجمته له فى كتاب أخبار أصفهان ٠ وقد وصفه بأنه حافظ من أولاد المحدثين وأنه كتب ـ أى الحديث ـ بالشام ومصر وخراسان ، وقال عنه : اختلط فى آخر عمره فحدث عن « أبى أسيد » و « ابن أخى أبى زرعة » و « ابن الجارود » بعد أن سمع منه أن له عندهم اجازة ، وتخبط أيضا فى أماليه ونسب الى جماعة أقوالا فى المعتقد أن لم يعرفوا بها ، نسأل الله جميل الستر والصيانة برحمته ٠

هذا نقد « أبى نعيم » لابن منده فى كتابه ، وهو كلام يبين به وجهة نظره فى معاصر له ، ولا يعدم من يلتمس العذر وجها للاعتذار عن « ابن منده » ان صح ما يقوله « أبو نعيم » فليس غريبا على رجل سمع من ألف وسبعمائة شيخ أن يخلط بين بعض الأقوال أحيانا ، ولكن هذا الخلط الذى يأتى عفوا لا يقدح فى أهلية الرجل للفضل واستحقاقه لكل ثناء ، وشهادة الفحول خير دليل على ذلك ٠

ولا يبعد أن يكون كلام « ابن منده » فى « أبى نعيم » شبيها بذلك وان كان قد وصفه بعضهم بأنه فظيع لا يحب أن يحكيه ٠٠

هى خصومة لسانية مبعثها اختلاف الرأى أو المذهب على أى حال ، ولم تصل الى ما وصلت اليه الخصومة التى لقيها « النسائى » ـ مثلا ـ من معارضيه فقد ذهب ـ كما يقول « ابن خلكان » ـ الى دمشق ، وكان يتشيع فسئل عن « معاوية » فأجاب اجابة لم ترض السائلين ، فآذوه وأخرجوه من المسجد وضربوه وداسوه حتى كان ذلك سببا فى موته سنة ثلاث وثلثمائة ٠

و . النسائى » لا يجحد أحد فضله ، فهو « أبو عبد الرحمن أحمد بن على بن شعيب الحافظ المشهور وأحد أئمة الحديث ، وله كتاب « الخصائص » فى فضل « على بن أبى طالب » رضى الله عنه ـ وأهل البيت ، وأكثر رواياته فيه عن « أحمد بن حنبل » وقد ألفه فى دمشق لأنه وجد المنحرفين عن « على » كثيرين فأراد أن يهديهم الله تعالى بهذا الكتاب ، ولكنه كان سبب حتفه ٠

ولعل النسائى « رحمه الله اراد أن يتأسى فى ذلك بسلفين كريمين ، أحدهما « الليث بن سعد » رضى الله عنه حين رأى أهل مصر يتنقصون « عثمان » رضى الله عنه فحدثهم بفضائله فكفوا عن ذلك ٠

والثانى « اسماعيل بن عياش العنسى » حافظ الشام ومفتى حمص المتوفى سنة ١٨١ هـ ٠ كان يحفظ عشرين ألف حديث ٠ وجد « اسماعيل » أهل حمص يتنقصون « عليا » كرم الله وجهه فحدثهم بفضائله ، فكفوا عن ذلك ٠

لقد رزق الله هذين العلمين رجالا أحسنوا الاستماع والاقتناع ولكن النسائى رزقه الله الشهادة ، وهذا حسبه ٠

الا أن « النبهانى » فى كتابه « جامع كرامات الأولياء)[1] يذكر أن الخصومة عنفت بأبى نعيم الى درجة أن خصومه أثاروا الناس عليه ، ومنعوه من الجلوس فى المسجد لاملاء الحديث والوعظ ثم أخرجوه من البلد ، وقد أحنقه ذلك ، فدعا عليهم فانهدم عليهم المسجد يوم الجمعة ، فمات تحت الردم جميع من قام عليه ، فخرجوا اليه وردوه الى البلد ، فرجع ، ثم قاموا عليه ثانيا فقامت

---

(١) جـ ١ ص ٢٩٣

فتنة فقتل ثلث البلد : ويحكى « البستانى »(١) هذا الحديث بصورة أخرى، فيقول « كان لأبى نعيم » كرامات وأن أهل أصبهان تعصبوا عليه ومنعوه دخول الجـامع ، فاتفق أن السـلطان « محمود بن سبكتكين » بعث عليهم واليا فقتلوه ، فمضى السلطان بنفسه وطمأنهم حتى اطمأنوا وسكتوا ، ففى يوم الجمعة ــ وهم بالجامع ــ أمسك أبواب الجامع وأمر بهم فقتلوا كلهم الا « أبانعيم » لكونه لم يكن بالجامع ٠

وهذه القصة التى ذكرها « البستانى » لا تتفق وروح المروءة التى عرف بها السلطان « محمود » وليس فيها دلالة على كرامة « لأبى نعيم » لأن عدم وجوده بالجامع لا يمثل خرقا للعادة كما هو شأن الكرامة عادة ٠ وهو أسلوب للتشـكيك جرى عليه الكتاب المستشرقون ومن نسج على منوالهم ٠

ومما يدل على العنف فى الخصومة ما يحكيه « الذهبى » فى تذكرة الحفاظ عن بعضهم قال : حضرت مجلس « أبى بكر بن أبى على المعدل » فى صغرى مع أبى ، فلما فرغ من املائه قال انسان : من أراد أن يحضر مجلس « أبى نعيم » فليقم ــ وكان مهجورا ــ فى ذلك الوقت بسبب المذهب ، وكان بين الحنابلة والأشعرية تعصب زائد يؤدى الى فتنة وقال وقيل وصداع ، فقام الى ذلك الرجل أصحاب الحديث بسكاكين الأقلام وكاد أن يقتل(٢) ٠

وعلق « العاملى » فى كتابه « أعيان الشيعة »(٣) على ذلك بقوله : هذا حال التعصب بين الحنابلة والأشاعرة ، فكيف تعصبهم

---

(١) دائرة المعـارف البستانى حـ ٢ ص ٢٦٥ ٠

(٢) تذكرة الحفاظ حـ ٣ ص ١٠٩٢ ٠

(٣) حـ ٩ ص ٥ ٠

على الشيعة ؟ وكيف تقبل أحاديث هؤلاء وهم يحملون على من يدعو الى مجلس علم عظيم بسكاكين الأقلام لأنه يخالفهم فى بعض الأمور الاجتهادية ؟ والى أى درجة بلغ حال الاسلام بحيث يكون حملة أحاديثه بهذه الصفة ؟ أ هـ

ولم يعش « العاملى » رحمه الله حتى رأى ما يحدث الآن من قتال دموى رهيب بين الشيعة أنفسهم حتى سالت الدماء أنهارا وعدد القتلى بالألوف واستعملت بين المتقاتلين أضرى الأسلحة وأفتكها ، وما حال المسلمين فى خلافاتهم الضارية اليوم بشىء يسر ولكنه شىء يفطر القلوب ويذهل العقول ويوجه المخلصين الى دعاء حار الى الله أن يكشف عنهم هذا الكرب الذى لن يفيد منه الا العدو ولن يخسر فيه الا المسلمون ·

ان التعصب ممقوت أيا كان منشؤه ، ولا أفضل من مقارعة الحجة بالحجة والرأى بالرأى · وفى أمر الدين يقول الحق جلا وعلا « لا اكراه فى الدين » البقرة ٢٥٧ ·

وما أروع الامام الشافعى الذى يقول : « وددت أنى اذا ناظرت أحدا أن يظهر الله تعالى الحق على يديه » ـ الطبقات الكبرى للشعرانى حـ ١ ص ٤٣ ·

هل هو شيعى ؟

نسب قوم الى « أبى نعيم » أنه شيعى ، وربما استندوا فى ذلك الى أن جده الأعلى « مهران » كان من موالى « عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب » ومولى القوم منهم كما يقولون · واستندوا فى ذلك أيضا الى ترجمة كتب الشيعة له ، فقد جاءت

ترجمة له فى كتاب « أعيان الشيعة » للعاملى وفى كتاب « روضات الجنات » للميرزا محمد باقر الموسوى ٠

ولكن « العاملى » صاحب « أعيان الشيعة » ينفى تشيع « أبى نعيم » ويقول : هو من علماء السنة الأشاعرة ، ولكنه ألف فى فضائل أهل البيت وأكثر من ذكر ذلك فى كتبه ، فاحتمل بعض العلماء تشيعه ولا يخفى عدم دلالته على ذلك ٠ ونص « ابن شهراسوب » فى كتابه « المعالم » على أنه من علماء السنة ٠ وقال « العاملى » : وذكرناه فى كتابنا لذكر بعض أصحابنا له ، وفى كتاب « حلية الأولياء » ما يدل على خلوص ولائه لأهل البيت ٠

وفى كتاب « رياض العلماء » يقول مؤلفه : ان « أبا نعيم » كان من محققى علماء أهل السنة ، ولكن سماعى من الأستاذ « محمد باقر المجلسى » أن الظاهر كونه من علماء أصحابنا ٠ اهـ

وفى كتاب « روضات الجنات » يقول مؤلفه : « وممن اطلعت على تشيعه من مشاهير علماء السنة الحافظ « أبو نعيم » المحدث بأصبهان صاحب كتاب « حلية الأولياء » وهو من أجداد جدى ، وقد نقل جدى العلامة « محمد باقر المجلسى » تشيعه عن والده عن أبيه حتى انتهى اليه ٠ قال : وهو من مشاهير محدثى العامة ظاهرا الا أنه من خلص الشيعة فى باطن أمره ، وكان يتقى ظاهرا على وفق ما اقتضته الحال ٠ ولذا نرى كتابه المسمى بحلية الأولياء يحتوى على أحاديث مناقب أمير المؤمنين « على » عليه السلام ، مما لا يوجد فى سائر الكتب ، ولما كان الولد أعرف بمذهب الوالد من كل أحد لم يبق فى تشيعه شك ٠

وعن المولى « نظام الدين القرشـــى » قال : رأيت قبره فى « أصبهان » مكتوبا عليه : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

مكتوب على ساق العرش لا اله الا الله وحده لا شريك له ، محمد بن عبد الله عبدى ورسولى ، وأيدته بعلى بن أبى طالب ــ رواه الشيخ الحافظ المؤمن الثقة العدل « أبو نعيم أحمد بن محمد بن عبد الله » سبط «أحمد بن يوسف البنا» الأصفهانى رحمه الله ، ورضى عنه ورفع فى أعلى عليين درجته ·

وقال « العاملى » بعد أن أورد هذه الأخبار : ومع ذلك فدخوله فى موضوع كتابنا غير متحقق ، وان كان فيه انصاف فى ذكر المناقب، واستظهار تشيعه ليس الا لذلك الا أنه لا يصلح دليلا للجزم على تشيعه » اهـ ·

أقول : وحديثه عن الامام « على » ومناقبه فى كتابه « حلية الأولياء » ليس دليلا على التشيع ولا نصا فيه ، فانه كما تحدث عن فضائل الامام « على » فى كتابه تحدث كذلك عن الخلفاء الثلاثة السابقين ــ رضوان الله عليهم ــ باسهاب ، وأبان عن مناقبهم وأشاد بفضائلهم ·

ولكن المتيقن منه أنه صوفى ، وليس هناك مجافاة بين السنة والتصوف عند من يدرك حقيقة التصوف ، لأن التصوف مشـــيد بالكتاب والسنة كما يقول الامام الجنيد رضى الله عنه ·

والمعروف أن هناك تعاطفا بين الصوفية وأهل البيت ، وهذا التعاطف ليس مبعثه السياسة كما هو عند الشيعة ، ولكن مبعثه الدين الذى يدعو الى مودة أهل البيت وحبهم لأن الله تعالى يقول « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » ــ الشورى ٢٣

والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله وأحبوا أهل بيتى لحبى ·

وكان « أبو بكر الصديق » رضى الله عنه يقول : ارقبوا محمدا فى أهل بيته ٠

فأبو نعيم كما يبدو فى تآليفه وآرائه ينزع عن قوس أهل السنة والصوفية وهو غير شيعى فقد نفى عنه ذلك « العاملى » وهو المتخصص فى هذا الشأن وصاحب الكتاب الضخم الذى يضم عشرات الأجزاء عن أعيان الشيعة ، ولكنه متعاطف مع أهل البيت محب لهم ، وعنايته بأخبار الامام « على » كرم الله وجهه ليست دليلا على تشيعه ، لأن هناك مؤلفات كثيرة حول الامام « على » وأهل البيت رضوان الله عليهم ، كتبها علماء سنيون أو صوفيون ، ومبعث كتابتهم هو الحب الخالص للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأسرته المطهرة التى أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيرا ٠

وما كتب على قبر « أبى نعيم » لا يدل على تشيعه ، فمن المؤكد أنه كتب بعد وفاته ، وكاتبه لا يعرف أن جده المدفون معه اسمه « محمد » وليس « أحمد » ٠

وعلى كل فالتشيع المعتدل الذى لا يخرج على نص ولا يجافى المنطق ليس جريرة تنفى أو تهمة تدرأ ٠ وهناك أئمة شيعيون لهم من الفضل المذكور والعلم المشهور ما تتحدث به الأخبار وتشيد به التراجم والآثار ٠

وحب أهل البيت سمة كل فاضل من العلماء الذين تلقوا هذا الحب عن التابعين فالصحابة المكرمين ـ جاء فى كتاب « أدب الاختلاف فى الاسلام » للدكتور طه جابر فياض : رأى « ابن عباس » رضى الله عنهما « زيد بن ثابت » يوما يركب دابته فأخذ بركابه يقود به ٠ فقال « زيد » تنح يابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم٠ فقال : « ابن عباس » : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا ٠ فقال

« زيد » : أرنى يدك ، فأخرج « ابن عباس » يده ، فقبلها « زيد » وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا(١) ٠

وقد أثر عن الامام « الشافعى » رضى الله عنه وهو من أئمة السنة أنه قال :

يا راكبا قف بالمحصـــــب من منى
واهتف بقاعد خيفهـــا والنـــاهض

ســـحرا اذا فاض الحجيج الى منى
فيضــا كملتطم الفـــرات الفـــائض

ان كان رفضـــا حب آل محمـد
فليشـــهد الثقلان أنى رافضى(٢)

والمعـــروف أنهم كانوا يطلقون على كل محب لأهل البيت أو متشيع لهم لقب : الرافضى ٠

---

(١) ص ٦٧ ٠

(٢) ديوان الشافعى ص ٨٩ ٠

مجـالات التفـوق

نبغ « أبو نعيم » فى مجالات مختلفة من العلوم ، ولكن هناك علوما بعينها كان له فيها قصب السبق من ذلك :

الحـــــــــديث :

ولأبى نعيم الأصفهانى مؤلفات متعددة فى الحديث ، بل اذا قلنا: ان تآليفه كلها عمادها الحديث لا نجافى الواقع ، لأنه يتخذ الحديث محور كتبه التى يؤلفها ..

ومن مؤلفاته فى الحديث :

كتاب الأربعين فى الحديث

كتاب أطراف الصحيحين أعنى البخارى ومسلم

كتاب الطب النبوى ـ أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ـ فى الطب .

كتاب دلائل النبوة .

كتاب المستخرج على البخارى ، والمستخرج على مسلم

وله فى رجال الحديث والرواية كتاب معجم الشيوخ وكتاب معرفة الصحابة ٠

وهى كتب ذات دلالة على مدى ما وصل اليه « أبو نعيم » من حفظ وضبط وفهم واستنباط ، ومعرفة بالجرح والتعديل ٠

هذا عدا كتاب « حلية الأولياء » الذى روى فيه من الأحاديث مالا حصر له واعتنى فيه بالأسانيد ٠٠

وقد ظفر « أبو نعيم » بتوثيق العلماء ، فقد قال عنه « الذهبى » فى « تذكرة **الحفاظ** » : الحافظ الكبير محدث العصر ٠٠ تفرد بالسماع من خلق كثير ورحلت الحفاظ الى بابه لعلمه وحفظه وعلو أسانيده ٠

وقد مر بنا قول « الخطيب » البغدادى عنه : لم أر أحدا أطلق عليه اسم الحفظ غير « أبى نعيم وأبى حازم العبدوى » ٠

وقال « الذهبى » عنه فى « ميزان الاعتدال » : أحد الأعلام ، صدوق تكلم فيه بلا حجة ، ولكن هذه عقوبة من الله لكلامه فى « ابن منده » بهوى ٠

وقد مر بنا بيان وجه كلام كل من « أبى نعيم » و « ابن منده » فى الآخر ٠٠

فاذا كان هناك نقد وجه الى « أبى نعيم » من « ابن منده » وجاء من بعده من قبل هذا النقد ، فليس ذلك بقادح فى « أبى نعيم » لأنه كما قال « الذهبى » من فعل الخصومة بينهما ، والتحاسد بين العلماء قديم ، والمنافسة بينهم شديدة ، والغيرة قد تشتط ببعضهم الى غايات حرجة ، وقد أورد « الكسائى » « سيبويه » حتفه بسبب ذلك ، وقصتهما مشهورة فى تاريخ العلم والأدب ٠

هذا و « أبو نعيم » بشهادة نقاد الحديث جميعا حجة ثبت ، وكما لا يقبل كلام « ابن منده » فى « أبى نعيم » فكذلك لا يقبل كلام « أبى نعيم » فى « ابن منده » وكلاهما عالم ثقة ٠

والذى يقوله « الخطيب » عن « أبى نعيم » : « رأيت لأبى نعيم أشياء يتساهل فيها ، منها أنه يطلق فى الاجازة أخبرنا ولا يبين » وقد رد « الذهبى » على ذلك فى ميزان الاعتدال بقوله : هذا مذهب رآه « أبو نعيم » وغيره ، وهو ضرب من التدليس ٠

ـ والتدليس عند علماء الحديث معناه كما جاء فى « لسان العرب » : أن يحدث المحدث عن الشيخ الأكبر وقد كان رآه الا أنه سمع ما أسنده اليه من غيره من دونه ، وقد فعل ذلك جماعة من الثقات ـ

ثم يقول صاحب « ميزان الاعتدال » : وكلام « ابن منده » فى « أبى نعيم » فظيع لا أحب مكاتبته ، ولا أقبل قول كل منهما فى الآخر ، بل هما عندى مقبولان ، ولا أعلم لهما ذنبا أكثر من روايتهما الموضوعات ساكتين عنها ٠

وعلى كل فهذا نقد سديد ، لأنهما اذا كانا يعلمان بالوضع فعليهما التنبيه عليه حتى لا يغتر به غيرهما ويعتقد صحته ٠ الا اذا كان هذا قد حدث منهما على سبيل السهو ، أو لشهرة المروى بأنه موضوع فسكتا عن تبيانه اتكالا على عدم اغترار أحد به لشهرته فى الوضع ٠

ولم يسلم « أبو نعيم » من نُقد « الذهبى » مع دفاعه عنه ، فقد قال : قرأت بخط « يوسف بن أحمد الشيرازى » الحافظ : سخن الله عين « أبى نعيم » يتكلم فى « أبى عبد الله بن منده » وقد أجمع الناس على امامته وسكت عن « لاحق » وقد أجمع الناس على أنه كذاب ٠

ثم قال الذهبى : قلت : هذا كلام الأقران بعضــــهم فى بعض لا يعبأ به ، لاسيما اذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد ، وما ينجو منه الا من عصم الله ، وما علمت أن عصرا من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصـــديقين اللهم لا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ؛

و « الخطيب » الذى قال عن « أبى نعيم » رأيت له أشــــياء يتساهل فيها هو نفسه الذى يقول : لم أر أحدا أطلق عليه اسم الحفظ غير رجلين هما « أبو نعيم » الأصبهانى » و « أبو حازم العبدوى الأعرج » ٠

وهذا اعتراف من « الخطيب » بمكانة الرجل ٠

وقد وجه نقد للخطيب لأنه لم يخص « أبا نعيم » بترجمة ضافية فى كتابه « تاريخ بغداد » ٠ ذكر ذلك النقد « تاج الدين السبكى » فى كتابه « طبقات الشافعية » حـ ٤ ص ١٨ عند حديثه عمن رووا عن « أبى نعيم » فقد قال : وممن رووا عنه الحافظ « أبو بكر الخطيب » وهو من أخص تلاميذه ، وقد رحل اليه وأكثر عنه ، ومع ذلك لم يذكره فى « تاريخ بغداد » ولا يخفى عليه أنه دخلها ولكن النسيان طبيعة الانسان ٠ وكذلك أغفله الحافظ « أبو سعد السمعانى » فلم يذكره فى الذيل ٠

وما رواه « البغدادى » عن « أبى نعيم » نجد له مثالا فى حـ ١٢ ص ٤٠٧ عند حديثه عن كتاب « الغريب » فى الحديث لأبى عبيد « القاسم بن سلام » قال : وكان مؤدبا لآل هرثمة ، وصار فى ناحية « عبد الله بن طاهر » وكان ذا فضل ودين وستر ومذهب حسن ٠ روى عن « أبى زيد الأنصارى وأبى عبيدة والأصمعى واليزيدى » وغيرهم من البصريين ، كما روى عن غيرهم ، وروى الناس من كتبه

المصنفة بضـــعة وعشرين كتابا فى القرآن والفقه وغريب الحديث وغيرها ٠ قال الحافظ « أبو نعيم » ســـمعت « سليمان بن أحمد الطبرانى » يقول : ســـمعت « عبد الله بن أحمد بن حنبل » يقول : عرضـــت كتاب غريب الحديث لأبى عبيد على أبى فاســـتحسنه وقال : جزاه الله خيرا ٠

وفى ص ٤١٢ من الجزء نفسه يقول : أخبرنا « أبو نعيم » الحافظ حدثنا « سليمان بن أحمد الطبرانى » حدثنا « عبد الله بن محمد المروزى » حدثنا « أبو سعيد الضرير » قال : كنت عند « عبد الله بن طاهر » فورد عليه نعى « أبى عبيد » قال لى : يا أبا سعيد ، مات « أبو عبيد » ثم أنشأ يقول :

يا طالب العـلم قد مات ابن ســـلام
وكان فارس علم غـــير محجـــام

مـــات الذى كان فيكم ربع أربعـــة
لم يلف مثلهم اســـــناد أحـــكام

حـــبر الـــبرية عبـد الله أولهم
وعـــامر ولنعم الثاو يا عـــامى

همـــا اللذان أنافا فوق غـــيرهما
والقاســـــمان ابن معن وابن ســلام

قال : وكان يقول : علماء الناس أربعة : عبد الله بن عباس فى زمانه و « الشعبى » فى زمانه ، و « القاسم بن معن » فى زمانه ، و « القاسم ابن سلام » فى زمانه ٠وهم الأربعة الذين عناهم « عبد الله ابن طاهر » فى أبياته ٠

فليس من المعقول أن يروى « الخطيب » عن « أبى نعيم » وهو

يظن أنه غير ثقة ، وقد رأينا فى هذين المثلين - وما أكثر الأمثلة فى الكتاب - كيف اعتنى « أبو نعيم بالسند فى روايته ، وهى أخبار أدبية علمية ، فما بالك اذا كانت الروايات فى الحديث ؟

ومازلنا مع شهادة الأعـــلام التى تؤكد ثقة « أبى نعيم » و « تثبته » فقد قال « أحمد بن مردويه » - فيما يرويه صاحب طبقات الشافعية : كان « أبو نعيم » فى وقته مرحولا اليه ، ولم يكن فى أفق من الآفاق أسند ولا أحفظ منه ، وكان حفـــاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده ..

وهذا التقرير يشير الى صحة اسناده وقوة حفظه كما يشير الى أستاذيته التى شهد له بها الحفاظ . وكلمة الحافظ متى أطلقت انصرفت الى حفظ الحديث ، وهى وصف لازم الكثيرين من علماء الحديث الذين شهر عنهم قوة الحفظ وكثرة الرواية - وسيأتى تعريف لمفهوم هذه الكلمة .

ويشير أيضا الى همته التى لم تعرف الكلل فى طلب العلم وتعليمه والحرص على مذاكرته .

ومما يدل على علو كعبه فى الحديث قول « حمزة بن العباس العلوى » عنه : كان أصحاب الحديث يقولون : بقى « أبو نعيم أربع عشرة سنة بلا نظير لا يوجد شرقا ولا غربا أعلى اسنادا منه ولا أحفظ منه .

وقال « على بن المفضل المقدسى » المتوفى سنة ٦١١ هـ وصاحب كتاب « تحقيق الجواب عمن أجيز له طرقاته من الكتاب » وكتاب « طبقات الحفاظ »(١) .

---

(١) معجم المؤلفين حـ ١ ص ٧٠٤ .

قال عنه : قد جمع شيخنا « السلفى » أخبار « أبى نعيم » وذكر من حدثه عنه وهم نحو ثمانين رجلا ·

وقال عنه : « ابن النجار » : هو تاج المحدثين وأحد أعلام الدين · وهذه الشهادات التى جمعها « السبكى » فى طبقات الشافعية تؤكد ارتفاع منزلة « أبى نعيم » وعلو قدره فى علوم الحديث ·

رد الطعان الموجهة اليه :

دافع «السبكى» فى طبقاته عن «أبى نعيم» دفاعا مجيدا ، وبدد الشبهات التى أوردها من نالوا من « أبى نعيم » وهذه الشبهات تنحصر فيما يأتى :

أولا : انه كان يتساهل أحيانا فى روايته ، وهذه الشبهة أوردها « الخطيب » ·

وقال : رأيت لأبى نعيم أشياء يتساهل فيها ، منها أن يقول فى الاجازة أخبرنا من غير أن يبين ·

وقال « السبكى » فى دفاعه : هذا لم يثبت عن « الخطيب » وبتقدير ثبوته فليس بقدح ، ثم ان اطلاق أخبرنا فى الاجازة مختلف فيه ، فاذا رآه هذا الحبر الجليل أعنى « أبا نعيم » فكيف يعد تساهلا ؟ ولئن عد فليس من التساهل ، ولو حجرنا على العلماء ألا يرووا الا بصيغة مجمع عليها لضيعنا كثيرا من السنة ·

وقال « الذهبى » : والتساهل الذى أشير اليه كان يفعله فى الاجازة نادرا ، فانه كثيرا ما يقول : كتب الى « جعفر الخلدى » ، كتب الى « أبو العباس الأصم » ، أخبرنا « أبو الميمون بن راشد » قال : ولكن رأيته يقول : أخبرنا « عبد الله بن جعفر » فيما قرئ عليه · والظاهر أن هذا اجازة ·

قال « السبكى » **: قلت :** ان كان « الذهبى » يقول ذلك فى مكان غلب على ظنه أن « أبا نعيم » لم يسمعه بخصوصه من « عبد الله بن جعفر » فالأمر مسلم اليه ·

ثانيا : أوردوا شبهة حول سماعه جزءا من مسند « محمد بن عاصم بن يحيى الأصبهانى » المتوفى سنة ٢٩٩ هـ مع ادعائهم أنه لم يسمعه · واستندوا فى ذلك الى ما ذكره « الخطيب » قائلا : سألت « محمد بن ابراهيم العطار »(١) مستملى « أبى نعيم » عن جزء « محمد بن عاصم » كيف قرأته على « أبى نعيم » وكيف رأيت سماعه ؟ فقال : أخرج الى كتابا وقال : هذا سماعى فقرأته عليه ·

وقد أفرد « السبكى » فى طبقاته لهذه الواقعة والرد عليها عنوانا ، فند فيه هذه التهمة ومما قاله فى ذلك :

ليس فى هذه الحكاية ـ يقصد سؤال « الخطيب » لابن العطار ورده عليه ـ طعن على « أبى نعيم » ، بل حاصلها أن « الخطيب » لم يجد سماعه بهذا الجزء فأراد استفادة ذلك من مستمليه ، فأخبره أنه اعتمد فى القراءة على اخبار الشيخ وذلك كاف ·

ثم قال : وقد دفع « أبو عبد الله بن النجار » قضية جزء « محمد بن عاصم » بأن الحفاظ الأثبات رووه عن « أبى نعيم » ، وحكينا لك نحن أن أصل سماعه وجد ، فطاحت هذه الخيالات ، ونحن لا نحفظ أحدا تكلم فى « أبى نعيم » بقدح ، ولم يذكر بغير هذه اللفظة التى عزيت الى « الخطيب » وقلنا : انها لم تثبت عنه ، والعمل على امامته وجلالته وأنه لا عبرة بهذيان الهاذين ·

---

(١) محمد بن ابراهيم بن على العطار الحافظ وكنيته أبو بكر ، كان عظيم الشأن ببلده عارفا بالرجال والمتون وهو امام ثقة توفى سنة ٤٦٦ هـ ـ الوافى بالوفيات للصفدى حـ ١ ·

قال : على أنا لا نحفظ عن أحد تكلم فيه كلاما صريحا فى جرحه ، ولو حفظ لكان سبة على قائله ، وقد برأ الله « أبا نعيم » من معرته ٠

وأكد « السبكى » دفاعه قائلا : قد حدث « أبو نعيم » بهذا الجزء ورواه عن الأثبات ، والرجل ثقة ثبت وامام صادق ، واذا قال : هذا سماعى جاز الاعتماد عليه ٠ لقد طعن بعض الجهال الطاعنين فى أئمة الدين فقالوا : ان الرجل لم يوجد له سماع بهذا الجزء ، وهذا الكلام سبة على قائله ، فان عدم وجدانهم لسماعه لا يوجب عدم وجوده ، واخبار الثقة بسماع نفسه كاف ٠

واستدل « السبكى » على قوله بما ذكره الحافظ « الذهبى » حين قال : ان الحافظ «أبا الحجاج المزى » ـ محدث الشام وهو جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن القضاعى ت ٧٤٢ ـ حدثه أنه رأى بخط الحافظ « ضياء الدين المقدسى » ـ محمد بن عبد الواحد المقدسى شيخ المحدثين بالشام ت ٦٤٣ ـ انه وجد بخط الحافظ « أبى الحجاج يوسف بن خليل ـ محدث حلب ت ٦٤٨ ـ أنه قال : رأيت أصل سماع الحافظ « أبى نعيم » لجزء « محمد بن عاصم » فبطل ما اعتقدوه ، ريبة ـ اهـ ٠

أقول : وفى « أخبار اصفهان ترجم « أبو نعيم » لمحمد بن عاصم ، وقال عنه ٠ صنف كتبا كثيرة وروى عن المصريين والاصبهانيين ٠

وكانت رواية « أبى نعيم » عنه عن طريق « أحمد بن اسحاق » و « عبد الله بن محمود بن محمد » و « سليمان بن أحمد » ٠

ثالثا : وهناك مسند آخر استراب بعضهم فى سماع «أبى نعيم»

له بتمامه . فقد قال « السبكى » قال « يحيى بن منده » الحافظ : سمعت « أبا الحسين القاضى » ـ ت ٤٦٢ هـ ـ يقول : سـمعت « عبد العزيز النخشبى » يقول : لم يسمع « أبو نعيم » مسند « الحارث بن أسامة » بتمامه ، وحدث به كله .

والرد على ذلك هو ما قاله الحافظ ابن النجار ـ محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود ت ٦٤٣ ـ : وهم « عبد العزيز » فى هذا فأنا رأيت نسخة من الكتاب عتيقة وعليها خط « أبى نعيم » يقول : سمع منى فلان الى آخر سماعى من هذا المسند مع « ابن خلاد » فلعله روى الباقى بالاجازة ثم أنشد « ابن النجار » متمثلا ـ فيما يرويه « الذهبى » ـ

لو رجم النجم جميع الورى لم يصل الرجم الى النجم

فمن هذه الردود التى تولاها « السبكى » فى طبقات الشافعية تتبين منزلة الرجل فى الحديث ، وأنه من الأعلام الذين لا ترقى اليهم الشبهات ، وأن الشبهات التى تثار حوله لا تثبت أمام المناقشة الهادفة .

وعلى الرغم من خصومة« ابن منده » له فان ذلك لم يمنع « أبا نعيم » أن يروى عن عمه « عبد الله محمد بن يحيى بن منده ت ٣٠١ » فى مواضع متفرقة من كتبه . من ذلك على سبيل المثال ما جاء فى كتابه حلية الأولياء فى ترجمة « النعمان بن عبد السلام(١) » من قوله : سمعت « أبا محمد بن حيان » يقول : ثنا « محمد بن يحيى ابن منده » ثنا « محمد بن عاصم » قال : سمعت : أبا سفيان يقول : الورع ورعان ، ورع صواب وورع أحمق ، فالصواب أن تقول

(١) حلية الأولياء حـ ١٠ ص ٣٨٩ .

للرجل : من أين جئت ؟ فيقول : من السوق ، والورع الأحمق أن تقول للرجل : من أين جئت ؟ فيقول : من المسجد ان شاء الله ٠

وهناك روايات عديدة من هذا القبيل تدل على أن الخصومة لا تمنع الرجل من اعطاء كل ذى حق حقه ، ومن استمداد الحكمة من مظانها ، وهذا هو اتساع الأفق وأدب الاختلاف الذى كان سائدا فى العصور الأولى ٠

ولئن كان قد أوذى بسبب التعصب الذى قد وقع عليه فان ذلك لم يمنعه ـ لفقهه ونسكه ـ من التغاضى عما أصابه ونسيان ما وقع عليه ٠

لقب الحـــــافظ :

وقد استحق « أبو نعيم » لقب الحافظ بجدارة ، وألقاب علماء الحديث فى اصطلاحهم تدور بين المسند والمحدث والحافظ والحجة والحاكم ٠

وتعنى كلمة المسند بكسر النون من يروى الحديث باسناده سواء أكان عنده علم به أم ليس له الا مجرد روايته ٠

وتعنى كلمة المحدث من يعرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال ويكثر من حفظ المتون وسـماع الكتب الستة والمسـانيد والمعاجم والأجزاء الحديثية ٠

وتعنى كلمة الحافظ المحدث عن السلف(١) ٠

ولكن « ميرزا محمد باقر » فى كتابه « روضات الجنات » يذكر مدلولا لكلمة الحافظ فيقول : لفظ الحـافظ يطلق ـ فى مصـطلح الحديث ـ على من يحفظ أكثر من مائة ألف حديث بأسانيدها ، ولفظ

---

(١) شذرات من علوم السنة حـ ١ ص ٢٠١ د. محمد الأحمدى أبو النور .

الحافظ مصطلح فى عرف أهل الدراية والمحدثين على من حفظ هذه العدة من الأخبار عن ظهر قلب ٠

كما أن الحجة عندهم من كان يحفظ ثلثمائة ألف حديث ٠

والحاكم من أحاط حفظه بالجميع ٠

وأما عند القراءة والمجودين فاطلاق لفظ الحافظ على من يقرأ جميع القرآن فى أحسن التجويد بالقراءات العشر أو السبع أو الواحدة منها لا أقل[١] ٠

وذكر الدكتور « محمد الأحمدى أبو النور » : قال الشيخ « فتح الدين بن سيد الناس » : المحدث فى عصرنا من اشتغل بالحديث رواية ودراية ، وجمع بين رواته واطلع على كثير من الرواة والروايات فى عصره ، وتميز فى ذلك حتى عرف فيه خطه ، واشتهر فيه ضبطه ، فان توسع فى ذلك حتى عرف شيوخه وشيوخ شيوخه طبقة بعد طبقة ، بحيث يكون ما يعرفه من كل طبقة أكثر مما يجهله فهذا هو الحافظ ٠ وأما ما يحكى عن بعض المتقدمين من قولهم : كنا لا نعد صاحب حديث من لم يكتب عشرين ألف حديث فى الاملاء فذلك بحسب أزمنتهم ٠ قال : وقال الامام « أبو شامة » : علوم الحديث الآن ثلاثة أشرفها حفظ متونه ومعرفة غريبها وفقهها ، والثانى حفظ أسانيدها ومعرفة رجالها وتمييز صحيحها من سقيمها ، والثالث جمعه وكتابته وسماعه وتطريقه وطلب العلو فيه ٠ قال « الحافظ بن حجر » : من جمع هذه الثلاث كان فقيها محدثا كاملا ، ومن انفرد باثنتين منها كان دونه[٢] ٠

و « فتح الدين بن سيد الناس » كان مدرسا للحديث بالمدرسة

---

(١) روضات الجنات حـ ١ ص ٥٨ ترجمة ابن عقدة ٠

(٢) شذرات من علم السنة ٠

الظاهرية فى القاهرة وله كتاب عنوانه « عيون الأثر فى فنون المغازى والشمايل والسير » يتضمن سيرة وافية للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتوفى عام ٧٣٤ هـ وتعريفه للحافظ يبين منزلة « أبى نعيم » فما استحق هذا اللقب من فراغ ولكنه استحقه عن معرفة واسعة بعلوم الحديث مع كثرة وافرة لحفظه ٠

و « أبو شامة » هو « شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى » توفى سنة ٦٦٥ هـ بدمشق وله مؤلفات عدة ٠ وكلامه عن علوم الحديث يضع « أبا نعيم » فى القمة منها لأنه جمع بين حفظ المتون ومعرفة الغريب وتفقه فيها ، وحفظ الأسانيد وعرف رجالها وميز بين الصحيح والسقيم منها ، ثم جمع مما حفظ وكتب مما سمع ، فانطبقت كلمة الامام « شهاب الدين أحمد بن على » المعروف بابن حجر المتوفى سنة ٧٧٣ هـ من أن من جمع هذه الثلاث كان فقيها محدثا كاملا عليه ٠

منزلة أبى نعيم فى الحديث :

ويمكن ادراك منزلة « أبى نعيم » فى الحديث من كثرة من تتلمذوا عليه ، وأخذوا عنه ، فما يصبح العالم مرحولا اليه ـ على حد تعبير « أحمد بن مردويه » ـ الا وقد بلغ الغاية فى الحفظ والدقة وعلو الاسناد والخبرة التامة بأنواع الحديث ٠

ولعلى بن المفضل كتاب فى طبقات المحدثين عد فيه « أبا نعيم » من أهل الطبقة التاسعة ـ على حسب المولد ـ ذكر ذلك « الذهبى » فى تذكرة الحفاظ ، وعد معه فى هذه الطبقة « أبا ذر » و « البرقانى » و « الصورى » ٠

أما « البرقانى » فقد سبق « أبا نعيم » بالوفاة بخمس سنين

وهو الحافظ « أبو بكر أحمد بن محمد البرقانى » الشافعى ت سنة ٤٢٥ هـ ـ قالوا : وكان نسيج وحده ٠

و « أبو ذر » هو « عبد الله بن أحمد الأنصارى الهروى » المالكى نزيل مكة وتوفى سنة ٤٣٤ هـ بعد « أبى نعيم » بأربع سنين ٠

و « الصورى » هو حافظ الوقت « أبو عبد الله محمد بن على الصورى » توفى ببغداد سنة ٤٤١ هـ بعد « أبى نعيم » باحدى عشرة سنة ٠

قال « الذهبى » : وفى عام وفاة « أبى نعيم » مات مسند العراق الواعظ « أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران البغدادى » والمفسر « أبو عبد الرحمن اسماعيل بن أحمد الحيرى الضرير » الذى قرأ عليه « الخطيب » البخارى فى ثلاثة مجالس ٠ كأنه يشير الى عظم الخسارة التى منى بها العالم الاسلامى بوفاة هؤلاء الأعلام فى عام واحد ٠

وقد تفرد « أبو نعيم » برواية بعض الأحاديث الغريبة منها ما رواه عن « نافع » عن « ابن عمر » أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى عن آطام المدينة أن تهدم ٠

واسناده كما يأتى :

أخبرنا « أحمد بن سلام » فى كتابه عن « مسعود بن أبى منصور » ح وقرأت على « أحمد بن محمد » المؤدب انا « ابن خليل »، أنا « مسعود » ، أنا « أبو على المقرىء » ، أنا « أبو نعيم » الحافظ ، نا « أحمد بن جعفر السمسار » نا « أحمد بن عصام » نا « وهب ابن جرير » نا « عبيد الله بن عمر » عن « نافع » عن « ابن عمر » أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم نهى عن آطام المدينة أن تهدم » ٠

ذكره « الذهبي » فى تذكرة الحفاظ وقال عنه : حديث غريب ٠

وقد سبقت رواية هذا الحديث عند ذكر شيوخه ..

مرويات العلماء عنه :

والحديث الســـابق مثال لمرويات العلماء عنه ، وهناك أمثلة أخرى ، فقد استشهد « الدميرى » فى كتابه « حياة الحيوان » بكثير من أسانيد « أبى نعيم » وأخباره ، و « الدميرى » وهو « كمال الدين أبو البقاء بن محمد بن موسى الدميرى » المصرى الشافعى المتوفى سنة ٨٠٨ هـ كان اماما من أئمة الحديث ــ كما تقول مقدمة كتابه ــ

ففى الجزء الأول ص ٣٥ يروى هذا الخبر قائلا : وفى الحلية لأبى نعيم فى ترجمة « وهب بن منبه » قال : لما أمر « نوح » عليه السلام أن يحمل من كل زوجين اثنين . قال : يارب ، كيف أصنع بالأسد والبقر ؟ وكيف أصنع بالعناق والذئب ؟ وكيف أصـــنع بالحمام والثعلب ؟ فأوحى الله تعالى اليه : من ألقى بينهم العداوة ؟ فقال : أنت يارب . قال ــ عز وجل ــ : فانى أؤلف بينهم فلا يتضررون .

وفى ص ٨٠ : يروى عن « أبى نعيم » أنه قال : سمعت « معروفا الكرخى » يقول : لما اجتمعت اليهود على قتل « عيسى » ــ عليه السلام ــ أهبط الله تعالى « جبريل » ــ عليه السلام ــ مكتوبا فى بطن جناحه : اللهم انى أعوذ باسمك الأحد الأعز ، وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعال الذى ملأ الأركان كلها أن تكشف عنى ضر ما أمسيت وأصبحت فيه ، فقال ذلك « عيسى » فأوحى الله ــ عز وجل ــ الى جبريل ــ عليه السلام ــ أن ارفع عبدى الى .

وفى ص ١٧٥ : روى الحافظ « أبو نعيم » بسنده الى « حمزة ابن أسد الحارثى » قال : خرج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى جنازة رجل من الأنصـــار الى بقيع الغرقد ، فاذا ذئب مفترش

ذراعيه ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : هذا أويس فافرضوا له ٠ فلم يفعلوا ٠

وفى ص ٢٣٦ روى « الطبرانى » و « أبو نعيم » من طـــرق صحيحة عن « خزيمة بن أوس قال : هاجرت الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقدمت عليه عند منصرفه من تبوك ، فأســـلمت ، فسمعته يقول : هذه الحيرة قد رفعت الى وانكم ستفتحونها وهذه « الشيماء بنت نفيل الأزدية » على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود ٠٠ فقلت : يارسول الله ، ان نحن دخلنا الحيرة فوجدناها على هذه الصفة فهى لى ؟ قال ــ عليه الصلاة والسلام ــ : هى لك ٠ فأقبلنا مع « خالد بن الوليد » نريد الحيرة ، فلما دخلناها كان أول من تلقانا « الشيماء بنت نفيل » كما قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على بغلة شهباء ومعتجرة بخمار أسود ، فتعلقت بها ، وقلت : هذه وهبها لى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فطلب منى « خالد » البينة ، فأتيته بها فسلمها لى ، ونزل الينا أخوها « عبد المسيح » فقال لى : أتبيعنيها ؟ فقلت : نعم ٠ فقال : احتكم ما شئت ، فقلت : والله لا أنقصها عن ألف درهم ، فدفع الى ألف درهم ٠ فقيل لى : لو قلت مائة ألف درهم لدفعها اليك ، فقلت : لا أحسب مالا أكثر من ألف درهم ٠

قال « الطبرانى » : وبلغنى أن الشاهدين كانا « محمد بن مسلمة » و « عبد الله بن عمر » رضى الله عنهما ٠

ولم يقتصر « الدميرى » على روايات « أبى نعيم » فى الحلية ، ولكنه « أخذ عنه فى «دلائل النبوة » و « أخبار أصبهان » ٠

فمما أخذه عما رواه فى « دلائل النبوة » قوله فى حـ ١ ص ٢٩٢ : كان لرجل صنم وكان يأتي بالخبز والزبد فيضعه عند رأسه ويقول

له : اطعم ، فجاء ثعلبان فأكل الخبز والزبد ثم عصل ــ بال ــ على رأس الصنم ــ والثعلبان ذكر الثعالب ــ فقام الرجل فضرب الصنم فكسره ، ثم جاء الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأخبره بذلك ، وقال فيه شعرا وهو :

لقد خاب قوم أملوك لشـــدة	أرادوا نزالا أن تكون تحـــارب
فلا أنت تغنى عن أمور تواترت	ولا أنت دفاع اذا حـــل نائب
أرب يبول الثعلبان برأســــه	لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم قال « الدميرى » عقب ذلك : والرجل المذكور « راشد بن عبد ربه » وحديثه مشروح فى كتاب « دلائل النبوة » لأبى نعيم الأصفهانى ٠

وفى حـ ٢ ص ٥٨٧ قال : روى الحافظ « أبو نعيم الأصبهانى » و « أبو بكر البيهقى » من حديث « يعلى بن مرة » قال : بينما نحن نسير مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذ مررنا بناضــــح يستقى عليه ، فلما رآه البعير جرجر ووضع جرانه وخطامه ، فوقف رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقال : أين صاحب هذا ؟ فجاءه ، فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : بعنيه **فقال :** بل نهبه لك ، وانه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره ٠ فقال ــ صلى الله عليه وسلم : انه شكا الى كثرة العمل وقلة العلف ، فأحسنوا اليه ، قال : وذكر نحوه « الحاكم » فى المستدرك من طريق ، يعلى » وقال : صحيح ٠

ومما أخذه عنه فى « أخبار أصفهان »

قال : روى « الحـــافظ أبو نعيم » فى تاريخ أصـــــفهان ، و « المستغفرى » فى الدعوات و « البيهقى » فى الشعب عن « على » رضى الله عنه ٠ قال : لدغت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ عقرب وهو فى الصلاة ، فلما فرغ من صلاته قال « لعن الله العقرب ما تدع

مصليا ولا غيره ولا نبيا ولا غيره الا لدغته ، وتناول نعله فقتلها به ، ثم دعا بماء وملح فجعل يمسح عليها ويقرأ : قل هو الله أحد والمعوذتين ـ جـ ٢ ص ٢٤٣ ·

وفى ترجمة « أحمد بن الحسن » عن « ابن عمر » رضى الله تعالى عنهما أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : أول نعمة ترفع من الأرض العسل · جـ ٢ ص ٦٠٩ ·

فاعتماد العلماء عليه من أمثال « ابن الأثير » الذى اعتمد عليه فى أسد الغابة ، والنبهانى الذى اعتمد عليه فى جامع كرامات الأولياء و « الدميرى » فى حياة الحيوان له دلالته على مكانة الرجل ومنزلته ·· هذا وكتاب « الجامع الكبير » للسيوطى يستمد كثيرا أحاديثه من مرويات أبى نعيم فى الحلية وغيرها ·

وهل ترك الحافظ « أبو نعيم » مسندا يجمع أحاديثه التى رواها وحفظها ؟

لقد ترك مصنفات عدة فى ذلك الى جانب كتابه الجامع « حلية الأولياء » وهو كتاب يجمع بين الترجمة والرواية · وكذلك كتابه « أخبار اصفهان » يتجه هذا الاتجاه ·

وقد سبقت الاشارة الى مؤلفاته فى الحديث ، وعد له «بروكلمان» كتيبين يشتملان على أحاديث ، وذكر له كتابا أسماه « المسند » المستخرج على صحيح مسلم ومسندا آخر لم يعرفه ·

ومسنده على صحيح مسلم محفوظ فى مخطوطات الهيئة المصرية للكتاب برقم ٤١٧ ـ وسيأتى عرض بعد لهذا المسند ان شاء الله ـ وله مخطوط آخر بعنوان الأربعين حديثا فى النهى عن الظلم برقم ٥٤٤ مجاميع ·

واشار صاحب كشف الظنون الى أن لأبى نعيم كتابا اسمه : المستخرج على البخارى أسانيده ومتونه ، لأنه يبحث فيه عن كل منهما • وعلق على هذا بقوله : المستخرجات كثيرة ، كالمستخرج على سنن أبى داود لمحمد بن عبد الملك بن أيمن ، وكالمستخرج على الترمذى لأبى على الطوسى ، واستخرج « أبو نعيم » على التوحيد لابن خزيمة • قال « ابن حجر » : اذا اجتمع المستخرج مع صاحب الأصل فيمن فوق شيخه لا يسمى مستخرجا الا اذا لم يجد طريقا يوصله الى شيخه ، وحاصله أن يشترط ألا يصل الى الأبعد مع وجود السند الى الأقرب الا لعذر ، وربما أسقط المستخرج أحاديث لم يجد لها سندا يرضيه وربما ذكرها عن طريق صاحب الكتاب •

ويفيد هذا الكلام اهمية المستخرجات لأن فيها اضافة أو توضيحا أو تعديلا • ولم يشر صاحب كشف الظنون الى مستخرجه على صحيح مسلم ، كما لم يشر الى كتاب الأربعين مع شهرته •• كما أشار كتاب أعيان الشيعة الى أن له كتاب الأربعين حديثا فى أخبار المهدى •

ولأن كتاب « حلية الأولياء » يتضمن احاديث لا حصر لها تفرقت بين أبواب الكتاب وحسب تراجم الرجال الواردة به ، فقد وجدت هذه الأحاديث – كما يقول بروكلمان – من يعتنى باستخراجها ويضمها مرتبة فى كتاب مستقل اسمه : « تقريب البغية فى ترتيب احاديث الحلية » لأبى الحسن بن على بن أبى بكر الهيثمى الشافعى المتوفى سنة ٨٠٧ هـ •

ولا يشك احد فى سعة دراية ورواية « أبى نعيم » وهو ابن اصفهان التى اشتهرت برواية الحديث وحفظه • واذا تتبعنا كتب التاريخ وجدنا اعلاما كثيرين من اصفهان نبغوا عبر العصور فى علوم الحديث وتركوا فيه آثارا مشهودة • و « أبو نعيم » ابن هذه البيئة الخصبة وقد تهيأت له الظروف المواتية للنبوغ والتفوق •

وليس من شك فى أن أن حظ العراق وفارس من الحديث كان دون حظ الحجاز التى عرف أهلها بأنهم ضبطوا السنة فلم يشذ عنهم منها شىء، فالمدينة كما يقول د٠ طه العلوانى فى كتابه أدب الاختلاف فى الاسلام ـ كان فيها عشرة آلاف من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خلفهم عليه الصلاة والسلام بعد غزوة حنين عاشوا فيها الى وفاته ، وكان « عمر بن عبد العزيز » يكتب الى أهل الأمصار يعلمهم السنن والفقه ولكنه حين يكتب الى المدينة فانه يكتب اليهم يسألهم عما مضى وأن يعلموه ما عندهم من السنة ليرسل بها الى الآخرين ٠

ولكن ذلك لم يمنع ان يكون هناك صحابة أجلاء ذهبوا مع الفتوح وبقوا فى البلاد المفتوحة ، وكتب الطبقات تحدثنا عن كثير من هؤلاء الصحابة الذين أقاموا فى العراق وما وراء النهر ، واستوطنوا تلك الديار ، ونفعوا ، ونشروا العلم والحديث والسنة ، وحيث ان هذه البيئة الجديدة لم تكن لتخلو من بعض الاتجاهات التى يمكن أن تؤثر على نقاء الأحاديث وصحتها ، لذلك اجتهد فقهاء هذه الأقطار فى اتخاذ الاحتياطات الكافية ووضع الشروط الضابطة لقبول السنة والأخبار ، ومن هنا اعتنى علماء الحديث ومن بينهم « أبو نعيم » الأصفهانى وغيره بالضبط والتعديل وصحة الاسناد ونشأ بسبب ذلك ما يعرف بعلم مصطلح الحديث الذى يضع الضوء الكامل أمام المتثبتين لمعرفة درجة الحديث وصحته ٠

عرض كتاب المسند المستخرج على صحيح مسلم ٠

ونقدم فيما يلى كتاب « المسند » المستخرج على كتاب « أبى الحسين مسلم بن الحجاج النيابسبورى » ٠ تأليف الحافظ « أبى

نعيم الأصفهانى رواية أبى على الحسن بن أحمد المقرى الحداد » عنه . وهو محفوظ بقسم المخطوطات بدار الكتب المصرية .

ويتكون من ستة عشــــر جزءا ، وقد اطلعنا على صـــورة « بالميكروفيلم » وهى بخط غير جيد يحتاج الى مجهود فى قراءته ، وحبذا لو توفر بعض الدارسين على اخراجه مطبوعا محققا ليستفيد به الدارسون والمنتفعون بالعلم الشريف .

قال « أبو نعيم » فى مقدمة كتابه : عدنا الى الأصول التى خرجها « مسلم » والأبواب التى لخصها فتتبعنا على كتابه وتراجمه عن شـــيوخنا كتابا يكون عوضا لمن فاته ســماع كتابه ، وذكرت مستعينا بالله على ذلك ومتوكلا عليه فى ذلك ، فنسأل الله العصمة والانتفاع بما أعطى وأولى .

وقد قدم الامام « مسلم » بين يدى كتابه الجامع فصولا يتحدث فيها عن الرواية وأصـــولها ، وعن النهى عن الأخـــذ من الرواة الضعفاء ، وذكر جملة من هؤلاء الرواة المتروكين لأسباب أوضحها علماء الحديث فى كتبهم ، وأشار اليها « مسلم » فى صحيحه حيث تحدث عن المراد بعلم الحديث ، وقسم الأخبار ، وبين حال بعض الرواة ، وقال : ان علامة المنكر فى حديث المحدث اذا ما عرضت روايته للحديث على رواية غيره من أهل الحفظ والرضـــا خالفت روايته روايتهم أو لم تكد توافقها ، فاذا كان الأغلب من حديثه كذلك كان مهجور الحديث غير مقبوله ولا مستعمله .

وأوجب « مسلم » الرواية عن الثقات قائلا : « واعلم ــ وفقك الله تعالى ــ أن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صـــحيح الروايات وسقيمها وثقات الناقلين لها من المتهمين ألا يروى منها الا ما عرف صحة مخارجه والستارة فى ناقليه وأن يتقى منها ما كان

منها عن أهل التهم والمعاندين من أهل البدع ، والدليل على أن الذى قلنا من هذا هو اللازم دون ما خالفه قول الله جل ذكره : « يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » الحجرات ٦ وقال عز وجل : « وأشهدوا ذوى عدل منكم » الطلاق ٢ — فدل بما ذكرنا من هذه الآى أن خبر الفاسق ساقط غير مقبول وأن شهادة غير العدل مردودة » .

وكما ذكر « مسلم » فى مقدمة كتابه أسماء بعض المردودين الذين لا تقبل أحاديثهم كذلك فعل « أبو نعيم » فى مستخرجه ، حيث ذكر فى أول كتابه أسماء الرواة الذين طعن فيهم نقاد الحديث مرتبين على حروف المعجم ، ونذكر أمثلة من ذلك :

فى حرف السين : « سعيد بن سنان أبو مهدى الفلسطينى » يروى عن « أبى الزاهرية » بالمناكير .

— « سعيد بن داود الزنبرى المدنى » يروى عن « مالك بن أنس » بالمناكير .

فى حرف العين :

— « عمران بن مسلم » روى عن « عبد الله بن دينار » يروى عن « يحيى بن سليم » منكر الحديث — قاله « البخارى » .

أقول : وعمران هذا ذكره « ابن حجر » فى « هدى السارى » مقدمة « فتح البارى » وقال عنه : « عمران بن مسلم القصير البصرى » من صغار التابعين ، وثقه « أحمد » و « ابن معين » وغيرهما ، وذكره « العقيلى » فى الضعفاء ، وحكى عن « يحيى القطان » أنه كان يرى القدر وهو مستقيم الحديث ، وأورد له « ابن عدى » فى الكامل أحاديث تفرد بها .

— « عنبسة بن عبيد القرشى » تركوه قاله « البخارى » .

فى حرف الغين

ـ « غالب بن عبيد الله الجزرى » منكر الحديث ٠

فى باب الميم

ـ « محمد بن عمر الكلاعى » روى عن « الحسن » و « قتادة » يروى عنه « سويد بن سعيد » مناكير ٠

ـ « محمد بن ابراهيم الشامى » يروى عن « الوليد بن مسلم » و « شعيب بن اسحاق » و « بقية » و « سويد بن عبد العزيز » موضوعات ٠

ـ « محمد بن الحجـــاج اللخمى أبو ابراهيم » روى عن « عبد الملك بن عمير » منكر ٠

ـ « محمد بن مروان السندى » صاحب « الكلبى » ساقط ٠

فى حرف الياء

ـ « يحيى بن سابق المدنى » حدث عن « موسى بن عتبة » و « أبى حازم » و « ابن المنكدر » موضوعات ٠

وبعد أن استقصى أسماء هؤلاء الرواة على حســـب ترتيبهم الأبجدى من الألف الى الياء ٠ قال : « فجملة من سميته فى هذا الفصل بروايته للمناكير والموضوعات ضعفاء ٠

ثم بدأ فى أبواب الكتاب جزءا جزءا ، وقد اشتمل الجزء الأول على عدة موضـوعات تدور مع الموضـوعات التى تضمنها صحيح « مسلم » فيذكر الحديث الذى رواه « مسلم » برواياته هو عن شيوخه ٠ وهذا من شأنه يعضد أحاديث مسلم ويزيدها توثيقا ٠٠ ولنضرب لذلك مثلا بما ورد فى الباب الأول وهو بعنوان : « باب قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من كذب على متعمدا » ٠

الحديث الذى رواه « مسلم » فى ذلك هو :

حدثنا « أبو بكر بن أبى شيبة » حدثنا « غندر » عن « شعبة »

ح وحدثنا « محمد بن المثنى » و « ابن بشار » قالا : حدثنا « محمد بن جعفر » حدثنا « شعبة » عن « منصور » عن « ربعى بن خراش » أنه سمع « عليا » رضى الله عنه يخطب قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا تكذبوا على فانه من يكذب على يلج النار ٠

أما الأحاديث التى رواها « أبو نعيم » فى هذا الباب فهى :

ـ أخبرنا « عبد الله بن جعفر » قراءة عليه ، نا « يونس بن حبيب » نا « أبو داود » نا « شعبة » أخبرنى « منصور » قال : سمعت « ربعى بن خراش » قال : سمعت « عليا » يخطب وهو يقول : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا تكذبوا على فانه من يكذب على يلج النار ٠

ـ وأخبرنا أيضا « عبد الله بن جعفر » نا « أبو سعود » أنا « أبو داود » عن « شعبة » عن « منصور » عن « ربعى » سمع « عليا » قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا تكذبوا على فانه من كذب على يلج النار ٠

ثم قال : رواه عن « شعبة « غندر » ، و « يحيى بن سعيد » عن « شعبة » عن « منصور » عن « ربعى » ٠

ـ وحدثناه « محمد بن أحمد بن الحسن » نا « عبد الله بن أحمد بن حنبل » حدثنى أبى نا « محمد بن جعفر » نا « شعبة بن منصور » عن أبيه أنه سمع « عليا » يخطب قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا تكذبوا على فانه من كذب على يلج النار ٠

ـ حدثنا « محمد بن جعفر » أخبرنا » ابراهيم بن اسحاق الحربى » نا « عفان » ٠

ـ وحدثنا « أبو بكر بن خلاد » نا « الحارث بن أبى أسامة » نا « يزيد بن هارون » ٠

وحدثنا « فاروق بن عبد الكريم » نا « ابراهيم بن عبد الله » نا « حجاج » ٠

وأخبرنا « الحسين بن محمد بن كيسان » نا «يوسف القاضى» نا « ابن أبى بكر » ٠ نا « يحيى بن سعيد » عن « شعبة » نحوه ٠

ثم قال : رواه « مسلم » عن « محمد بن المثنى » و « بندار ، عن « غندر » وقد استقصى « أبو نعيم » الأحاديث الواردة فى هذا الباب برواياته عن شيوخه ٠ كما استقصاها « مسلم » عن شيوخه قبل أن ينتقل الى باب الضعفاء والكذابين ومن ترك حديثهم ، ذاكرا أسماءهم والأسباب التى استنكروا من أجلها ٠

ثم انتقل « أبو نعيم » الى باب آخر بعنوان باب « الايمان » ٠

وسرد الأحاديث التى استخرجها عن رواته كأنه يريد أن يشيد روايات « مسلم » كما فعل فى الباب السابق ٠

ثم انتقل الى باب بعنوان : قصة « وفد عبد قيس » ٠

وقد روى « مسلم » فى ذلك أحاديث منها :

حدثنا « يحيى بن أيوب » حدثنا « ابن علية » حدثنا « سعيد ابن أبى عروبة » عن « قتادة » قال : حدثنا من لقى الوفد الذين قدموا على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من « عبد القيس » ٠ قال « سعيد » وذكر ٠٠ قتادة أبا نضرة » عن « أبى سعيد الخدرى » فى حديثه هذا أن أناسا من « عبد القيس » قدموا على رسول الله

ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا : يا نبى الله ، انا حى من ربيعة ، وبيننا وبينكم كفار مضر ، ولا نقدر عليك الا فى أشهر الحرم ، فمرنا بأمر نأمر به من وراءنا وندخل به الجنة اذا نحن أخذنا به . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع .

اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة وصوموا رمضان ، وأعطوا الخمس من الغنائم ، وأنهاكم عن أربع : عن الدباء(١) والحنتم(٢) والمزفت(٣) والنقير . قالوا : يانبى الله ما علمك بالنقير ؟ قال : بلى جذع تنقرونه فتقذفون فيه من القطيعاء . قال « سعيد ».أو قال : من التمر ، ثم تصبون فيه من الماء ، حتى اذا سكن غليانه شربتموه ، حتى ان أحدكم أو ان أحدهم ليضرب ابن عمه بالسيف . قال : وفى القوم رجل أصابته جراحة كذلك ، قال : وكنت أخبؤها حياء من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت : ففيم نشرب يا رسول الله ؟ قال : فى أسقية الأدم(٤) التى يلاث(٥) على أفواهها . قالوا : يارسول الله ان أرضنا كثيرة الجرذان ولا تبقى بها أسقية الأدم . فقال نبى الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وان أكلتها الجرذان ، وان أكلتها الجرذان ، وان أكلتها الجرذان . قال : وقال نبى الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأشج(٦) عبد القيس : ان فيك لخصلتين يحبهما الله : الحلم الأناة

---

(١) الدباء بضم الدال وبالمد : القرع اليابس أى الوعاء منه

(٢) الحنتم ـ بحاء مهملة فنون فتاء مثناة : نوع من الجرار الخضر ، وقيل : هى جرار يجلب فيها الخمر من مصر أو الطائف ، وقيل : هى جرار كانت تعمل من طين وشعر ودم .

(٣) المزفت : المطلى بالقار وهو الزفت .

(٤) الأدم : جمع أديم وهو الجلد تم دباغه .

(٥) يلاث : يلف الخيط على أفواهها ويربط به .

(٦) الأشج : اختلف فى اسمه والمشهور أنه المنذر بن عائذ .

هذه احدى روايات « مسلم » وهناك روايات غيرها مذكورة فى مسنده ·

وأخذ « أبو نعيم » يستقصى مروياته فى هذا الحديث قائلا :

حدثنا « ابراهيم بن محمد بن يحيى النيسايورى » و « محمد ابن محمد الجرجانى » أملانا « محمد بن اسحاق السـراج » ثنا « قتيبة بن سعيد » ثنا « عباد بن عباد » و « حماد بن زيد » ح وحدثنا « أبو حفص الخطابى » ثنا « أبو مسلم الكتبى » ثنا « حجاج» ثنا « حماد بن زيد » ثنا « أبو حمزة » قال : سمعت « ابن عباس » يقول : قدم وفد عبد القيس · ح وحدثنا « أبو أحمد » ثنا « المنيعى أبو الربيع » و « القواريرى » و « خلف بن هشام » قالوا : ثنا « حماد بن زيد » ثنا « أبو حمزة » عن « ابن عباس » قال : قدم وفد عبد القيس على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقالوا : انا هذا الحى من ربيعة ، ولسنا نصل اليك الا فى أشهر الحرام فمرنا بشىء نأخذه عنك وندعو اليك من ورانا · فقال آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع : الايمان بالله · ثم فسرها : شهادة ألا اله الا الله ·

قال « أبو نعيم » : رواه « مسلم » عن « يحيى بن يحيى عن « عباد بن عباد » لفظ « قتيبة » ورواه أيضا عن « خلف بن هشام » عن « حماد بن زيد » ·

ــ حدثنا « حبيب بن الحسن » ثنا «عمر بن حفص السدوسى» ثنا « عاصم بن على » نا « شعبة » نا « أبو جمرة » قال : كان ابن عباس يقعد على سريره ··

ــ وحدثنا « فاروق بن عبد الكريم » نا « ابراهيم بن عبد الله » ثنا عمرو بن حكام » ثنا « شعبة » عن أبى جمرة » قال : كنت مع

« ابن عباس » على سريره أترجم بينه وبين الناس ، فقال : أن وفد عبد القيس أتوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٠٠

ثم أخذ يستقصى مروياته الواردة فى ذلك ٠

ثم انتقل الى باب آخر بعنوان : باب « من شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وأن عيسى عبده وكلمته دخل من أى الأبواب شاء ٠

ولفظه عن « عبادة بن الصامت » قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى « مريم » أدخله الله الجنة على ما كان من عمل ٠

ـ رواه مسلم عن أحمد بن ابراهيم الدورقى عن مبشر ـ ٠

واستقصى « أبو نعيم » مروياته فى ذلك الباب ٠

ثم انتقل الى باب **قوله :** لا يشهد أحد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله فيدخل النار ٠

ثم باب قوله ـ عليه السلام ـ : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ٠

ثم باب قوله ـ عليه السلام ـ : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ٠

ثم باب ـ قوله ـ عليه السلام ـ : الايمان يمان والجفا فى أهل المشرق ٠

ثم باب قوله ـ عليه السلام ـ : لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ٠

ثم باب قوله ـ عليه السلام ـ : اذا كفر الرجل أخاه ٠٠

ثم باب بعنوان : فيمن ادعى الى غير أبيه .

ثم باب بعنوان : فى الطعن فى النسب ..

ثم باب بعنوان : ما ذكر فى العبد اذا أبق

ثم باب بعنوان : فى حث النساء على الصدقة .

ثم باب بعنوان : أى الذنب أعظم عند الله .

ثم باب بعنوان : من قتل نفسه .

ثم باب بعنوان : من غل وما جاء فى الغلول .

وهو آخر الجزء الأول .

وتناول الجزء الثانى بعض الآداب التى يجب أن يتحلى بها المسلم .

ففيه : ما ذكر « الطفيل بن عمرو الدوسى » .

وما ذكر فى رفع الصوت فوق صوت النبى ـ صلى الله عليه وسلم .

وباب : من أحسن فى الاسلام لم يؤاخذ بما كان عليه فى الجاهلية .

وباب : فى قوله ـ تعالى ـ : الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم .

وباب : اذا هم العبد بحسنة أو سيئة .

وباب : فى الوسوسة .

وباب : من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه .

وباب : من قتل دون ما له فهو شهيد .

وباب : بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا ·

وباب : لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض : الله ·

وباب : فى قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : نحن أحق بالشك من ابراهيم ·

وباب : فى قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : لا يسمع بى أحد من هذه الأمة لا يؤمن بى ··

وباب : ثلاثة يوفون أجرهم مرتين ··

ثم أبواب تشير الى علامات الساعة · كباب ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم ·

وباب : ذكر طلوع الشمس من مغربها ·

وباب : فى الشفاعة ··

وينتهى الجزء الثانى ليبدأ الجــزء الثالث ببقية الأحاديث الواردة فى الشفاعة ··

ثم بعض الأبواب التى تتناول الموضوعات الآتية :

موضوع : لكل نبى دعوة يدعو بها ·

موضوع : قوله تعالى : وأنذر عشيرتك الأقربين ·

موضوع : عن « أبى طالب » وهو فى ضحضاح ·

موضوع : عن قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ·

ثم بدأ فى العبادات متقدما بباب الطهارة وما يتعلق بها ·

فموضوع الوضــوء ، ثم موضـــوع : الجمعة الى الجمعة والصلوات الخمس كفارات لما بينهن ·

وموضوع : صفة وضوء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وموضوع : ويل للأعقاب من النار ·

وموضوع : قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنتم الغر المحجلون ·

وموضوع : ما ذكر فى اسباغ الوضوء ·

وموضوع : ما ذكر فى السواك ·

وموضوع : خمس من الفطرة ·

وموضوع : من قال : عشر من الفطرة ·

وموضوع : ما ذكر أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يحب التيمن ·

وموضوع : اتقوا الملاعن ··

وموضوع : الاستنجاء ·

وموضوع : المسح على العمامة ·

وموضوع : اذا استيقظ أحدكم من منامه ·

وموضوع : اذا ولغ الكلب ·

وموضوع : النهى عن أن يبال فى الماء الراكد ·

ويمضى الجزء الرابع فى اكمال أبواب الطهارة ثم يبدأ بعد ذلك فى الصلاة متقدما بالأذان ، وما يقال عند سماعه ··

ثم أورد ـ كالمعتاد ـ مروياته من أحاديث تدور حول الأبواب الآتية :

ـ رفع اليدين فى الصلاة ·

- لا صلاة الا بقراءة ٠

- باب الدعاء ٠

- الصلاة الى القبور ٠

وتستمر الأجزاء الخامس والسادس والسابع وبعض الثامن فى سرد مروياته فى أحاديث الصلاة وما يتعلق بها ٠

أما بقية الثامن ، فيروى فيه الأحاديث المتعلقة بفضل القرآن الكريم ٠ كفضائل سورة البقرة وآل عمران والكهف والمعوذتين وغيرها من السور ٠

ثم يروى الأحاديث الواردة فى فضل حافظ القرآن وقارئه ٠

فيفرد بابا بعنوان : ان الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ٠

وبابا بعنوان : بيان القرآن وأنه أنزل على سبعة أحرف ٠

ثم يعود الى بعض أبواب تتعلق بالصلاة ٠ فيعقد بابا بعنوان : النهى عن صلاة بعد العصر ٠

وبابا عن الجمعة والجماعة

وبابا بعنوان فضل هذه الأمة ٠

وبابا بعنوان قراءة القرآن على المنبر ٠٠

ويتناول الجزء التاسع آدابا تتعلق بالاسلام ، وأحكاما تتعلق بالجنائز وما يتصل بها ٠

فباب بعنوان : ليس منا من ضرب الخدود ٠

وباب : لا يدخل الجنة نام ٠٠

وباب : الصبر عند المصيبة ٠

وباب : غسل الميت ٠٠

كما تناول هذا الجزء بعض الأبواب التى تتعلق بالزكاة ٠

ودار الجزء العاشر حول :

الحث على النفقة ، وأحـــكام أخرى تتعلق بالزكاة وجامع الصدقة وكراهية السؤال ، وحكم الغنى يهدى له ٠ ٠

أما الجزء الحادى عشر فتدور أبوابه حول الصوم وأحكامه

والأجزاء الثانى عشر والثالث عشر وبعض الرابع عشر تدور موضوعاتها حول الحج وأحكامه ، وحرمة مكة والمدينة ، وفضـــل الصلاة فى الحرمين المكى والمدنى ٠

ويتناول بقية الجزء الرابع عشر الى آخر الأجزاء أحكام النكاح ثم الطلاق ٠

هذا عرض سريع لأبواب هذا المسند الضخم ، الذى استقصى فيه « أبو نعيم » مروياته حول الأحاديث التى وردت فى صحيح مسلم ٠٠

وكان هدفه منه تأييد هذه الأحاديث برواياته ، وكأنها تواترت من طرق مختلفة تشهد بصحتها وتؤكد سلامتها ٠٠ فالذين روى عنهم « مسلم » ابتداء غير الذين روى عنهم « أبو نعيم » وان اتفق الرواة فى النهاية فى صحة المتن والصحابى ٠٠

ويدل هذا المستخرج على سعة حفظ « أبى نعيم » وضبطه واتقانه ، وهو شهادة له بعلو باعه فى الحديث ٠

وقد فتح الطريق لمن جاء بعده لينسجوا على منواله ، ويطوروا مؤلفاتهم حتى جاء العلامة « شهاب الدين أحمد بن على بن محمد » المعروف بابن حجر العسقلانى فشرح صحيح البخارى ووضع بين

يديه مقدمة كبرى بعنوان « هدى السارى » تناولت أمورا هامة منها : بيان السبب الباعث للبخارى على تصنيف كتابه ، بيان موضوعه ، والكشف عن مغزاه ، بيان الحكمة فى تقطيعه الحديث واختصاره ، وفائدة اعادته ، وبيان السبب فى ايراد الأحاديث المعلقة والآثار الموقوفة ، وضبط الغريب الواقع فى متونه ، وضبط الأسماء المشكلة والكنى والأنساب ، وتعريف شيوخه ، وسياق الأحاديث التى انتقدها عليه بعضهم ، سياق اسماء جميع من طعن فيه من رجاله على ترتيب حروف المعجم والجواب عن ذلك الطعن بطريق الانصاف ، ثم فهرسة الكتاب المذكور بابا بابا .. وعلى هذا المنوال نسج كثير من العلماء .

وبالجملة فان مستخرج « أبى نعيم » نموذج من نماذج تآليفه فى الحديث يمكن أن تقاس عليه تآليفه الأخرى التى لم تصل الى أيدينا ..

ولنا حديث مع كتابه « حلية الأولياء » فى الموضوع اللاحق لأنه ألصق بالتصوف ..

قال عنه « ابن كثير » فى البداية والنهاية : صاحب التصانيف المفيدة الكثيرة الشهيرة .. دلت على اتساع روايته وكثرة مشايخه وقوة اطلاعه على مخارج الحديث وشعب طرقه .. وهى شهادة من « ابن كثير » لها دلالتها . وتجعله جديرا بأن يسبق اسمه لقب « الحافظ » الذى خلع عليه بحق واستحقه بكفاءة وجدارة ـ رحمه الله ـ

التصوف :

عرف الامام « الشعرانى » امام القرن العاشر الهجرى التصوف بأنه علم انقدح فى قلوب أولياء الله حين استنارت بالعمل بالكتاب

والسنة ، وهو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة اذا خلا عمله من العلل وحظوظ النفس[1] ·

وذكر « ابن خلدون » فى مقدمته أن التصـــوف من العلوم الشرعية الحادثة فى الاسلام وأن طريقته هى طريقة الحق والهداية التى كان عليها سلف الأمة ، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا والإنفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة · اهـ

ونتج للمتصوفة الصادقين نتيجة لقيامهم بذلك مدركات خاصة وذوقية ، وبدءوا يتحدثون عن هذه المدركات ، كما دونها بعضهم فى مؤلفات ، وبذلك تطور التصوف من ممارسة للعبادات الى علم من العلوم الشرعية عرفه الباحثون بقولهم : « علم يعرف به كيفية ترقى أهل الكمال من النوع الانسانى فى مدارج سعادتهم والأمور العارضة لهم فى درجاتهم ، بقدر الطاقة البشرية ، وانما كان بقدر الطاقة البشرية لأن التعبير عن الدرجات والمقامات بما هو حقه غير ممكن لأن العبارات انما وضـــعت للمعانى التى وصــــل اليها فهم أهل اللغات »[2] ·

وكتب « الشيخ مصـــطفى عبد الرازق » فى دائرة المعارف الاسلامية تعليقا طريفا على مادة التصـــوف نقتطف منه الحقائق الآتية :

« أطلق لفظ الصوفى والمتصوف بادىء الأمر مرادفا للزاهد والعابد والفقير ، ولم يكن لهذه الألفاظ معنى يزيد على شدة العناية بأمر الدين ومراعاة أحكام الشـــريعة ، فان الفقر والزهد ولبس

(١) مقدمة الطبقات الكبرى للشعرانى ·
(٢) الوسيط فى تاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٨٥ ·

الصوف مظهر ذلك ، وكانت أحكام الشريعة تتلقى من صدور الرجال لا فرق بين عباداتها ومعاملاتها وعقائدها ، ثم تحدث الناس فى الأمور الدينية على نظام علمى ، ونشأ التدوين فكان أول ما توجهت اليه الهمم علم الشريعة بمعنى الأحكام العملية ، حتى لقد حسب الناس أن الاشتغال بهذا العلم والعمل به هو غاية الدين ۰ هنالك تطور معنى التصوف الى ما يناسب الكمال فى الدين الذى وضع له اللفظ أولا ، وأدى هذا الطموح الى نشـــأة علم دينى الى جانب العلم الفقهى ۰۰

« وقد ذكر « ابن تيمية » فى رسالته ـ الصوفية والفقراء ـ أن الأمور الصوفية التى فيها زيادة فى العبادة والأحوال خرجت من البصرة ، فافترق الناس فى أمر هؤلاء الذين زادوا فى أحوال الزهد والورع والعبادة على ما عرف من رجال الصحابة ، فقوم يذمونهم وينتقصونهم وقوم يجعلون هذا الطريق من أكمل الطرق وأعلاها ، والتحقيق أنهم كانوا فى هذه العبادات والأحوال مجتهدين ، كما كان جيرانهم من أهل الكوفة مجتهدين فى مسائل القضاء والامارة ونحو ذلك ۰

« وزاد » « ابن تيمية » هذا الرأى بيانا فقال : واذن عرف أن منشأ التصوف كان من البصرة وأنه كان فيها من يسلك من طريق العبادة والزهد ماله فيه اجتهاد ، وهؤلاء نسبوا الى اللبسة الظاهرة وهى لباس الصوف ، فقيل فى أحدهم صوفى ، وليس طريقهم مقيدا بلباس الصوف ولاهم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به ، ولكنهم أضيفوا اليه لكونه ظاهر الحال ۰ وكلام « ابن تيمية » هذا يشير الى ما بين التصوف والفقه من صلة » ۰

ومازال التصـــوف ينتشـــر كطريقة متميزة فى ربوع العالم الاسلامى ، وتظهر فيه التآليف المختلفة حتى جاء « أبو نعيم » فأدلى بدلوه التى خرجت غاصة بالفرائد والفوائد ۰

وقد سبق « أبا نعيم » فى التأليف فى التصوف مؤلفون منهم « أبو نصر السراج الطوسى » المتوفى سنة ٣٧٨ هـ وله كتاب « اللمع » الذى تتلمذ عليه علماء كثيرون ويعد الكتاب الأم فى تاريخ التصوف الاسلامى ، بل هو أقدم مرجع صوفى ، ومن مادته الخصبة اقتبس كافة من أرخوا للتصوف ـ كما يقول الدكتور عبد الحليم محمود ـ رحمه الله ـ فى مقدمة تحقيقه لهذا الكتاب ٠

ويعد « الطوسى » معاصـــرا لأبى نعيم ، والتقيا معا بجعفر الخلدى وغيره من أئمة التصوف ، ولكن « الطوسى » سبق « أبا نعيم » بالوفاة ، ومكث « أبو نعيم » بعده فترة تقدر بنصف قرن أو تزيد كانت كافية لأن تترك فى ذهنه وقلبه وذوقه أشياء كثيرة ظهر أثرها فى كتابه الجامع « حلية الأولياء » ٠

شـــــيوخه فى التصـــــوف :

نشأ « أبو نعيم » فى بيئة صوفية ، فهو يحدث فى كتابه « حلية الأولياء » أن جد أبيه لأمه « محمد بن يوسف البنا » رحمه الله أحد من نشر الله به عز رجل ذكر بعض المنقطعين اليه ، وعمر به أحوال كثير من المقبلين عليه ٠

كما حدث عن جده هذا فى كتابه « أخبار أصفهان » فوصفه بأنه عروس الزهاد وقال عنه « سكن هو وأخواه « عبد الرحمن » و « عبد العزيز » محلة « جورجير » وتوفى بالصيصة ودفن الى جنب « مخلد بن الحســين » سنة ١٨٤ هـ وله المناقب المشـــهورة والفضائل المذكورة ٠ توفى ولم يكمل الأربعين من عمره ٠

وروى عن « الأعمش والثورى وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وصالح المرى » ٠

ومن زهده دفن كتبه ، وأقبل على التوحيد والتعبد وآثر الخمول واتباع منهج الرسول وابتغى الدنو والوصول · وحدث عنه كثير من العلماء · قال عنه « يحيى القطان » : ما رأيت رجلا أفضل من « محمد بن يوسف » · وقال « عبد الرحمن بن عمر بن رسته » : لقينى « محمد بن يوسف المعدانى » فى طريق مكة ، فأخذ بيدى فنظر يمنة ويسرة فقال لي :

مـــر بدار المترفـــين وقـــل لهم
أين أرباب المصـــانع والقـرى ؟

ومر بدار العـــابدين وقـل لهم
ألا قطع الموت التنصـب والعنا(١)

وله كلام كثير يدل على بصيرة وذوق ومعرفة وقرب من الله ·

وكان والده صالحا ورعا ·· لذلك تفتحت عينه منذ نشأته على هذا اللون من السلوك الصوفى ، الذى لا شك فى أنه أخذ يترجمه عمليا فى حياته على يد الشيوخ الصـــوفيين الذين كان يلتقى بهم ويتلقى العلم على أيديهم ·

وقد مر بنا أن من بين شيوخه الذين أجازوه « جعفر الخلدى » الصوفى الجليل الذى قال عنه « السلمى » فى طبقاته : انه من أفتى المشايخ وأجلهم وأحسنهم قولا ، ومن أقوال التى تنم عن شخصيته : الفتوة احتقار النفس وتعظيم حرمة المسلمين · وكان « الخلدى » قد لقى « الجنيد » وسمع منه ، ويقول فى ذلك : سمعت « الجنيد » يقول : التصوف العلو الى كل خلق شريف والعدول عن كل خلق دنىء · فسأله سائل : وما تقول أنت ؟ فقال : مثل قوله ·

---

(١) أخبار اصفهان حـ ٢ ص ١٧١ وقد ترجم له النبهـانى فى كتابه : جامع كرامات الأولياء حـ ١ ص ١٧٠ قال عنه : أحد أكابر الصـــوفية لقى ستمائة شيخ وكتب الحديث الكثير ولكنه قال عنه ان توفى سنة ٢٨٦ هـ ·

وأخبر فى « الحلية » أن ممن أجازوه « أبو عبد الله محمد بن خفيف » وترجم له ، وقال عنه : انه الحنيف الظريف له الفصول فى النصول والتحقق والتثبت فى الوصول ، وقد توفى سنة ٣٧١ هـ ٠ ومن مفاريد ما سمع منه ما أخبرنا فى اجازته وكتابه الى ٠ قال : حدثنا « أبو بكر محمد بن أحمد بن شاذ هرمز » ثنا «زيد بن أحزم» عن « أبى داود » قال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : لما عرج بى الى السماء سمعت تذمرا ، فقلت : يا جبريل من هذا ؟ قال : موسى يتذمر على ربه ، فقلت : ولم ذلك ؟ قال : عرف ذلك منه فاحتمله ٠

ثم ذكر طرفا من أقواله الطيبة منها : السكر غليان القلب عند معارضـــات ذكر المحبوب ، والخوف اضطراب القلب مما علم من سطوة المعبود ، التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله ٠

وقد ترجم « السلمى » فى طبقاته لابن خفيف وقال عنه : انه كان شيخ المشايخ فى وقته ، كان يقيم بشيراز وكانت أمه نيسابورية ، صحب « رويما ، والجريرى ، وأبا العباس بن عطاء وطاهر المقدسى» وغيرهم من أجلة العلماء والصـــوفية ، وكان عالما بعلوم الظاهر والحقائق ، وكان أوحد وقته حالا وعلما وخلقا ومن الأحاديث التى أسندها : عن « سهل بن سعد » قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : لو عدلت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما أعطى كافرا منها شربة ٠ وذكر الحديث الذى رواه « أبو نعيم » ولكنه أسنده الى « ابن عمر » ٠

قال : وسئل « ابن خفيف » عن التصوف فقال : تصفية القلب عن موافقة البشرية ومفارقة أخلاق الطبيعة والنصح لجميع الأمة والوفاء لله على الحقيقة واتباع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الشريعة ٠

وفى الحقيقة ان الفترة التى عاش فيها « أبو نعيم » كانت

خصبة بالتصوف وقد ازدهرت فى خلال القرن الرابع الهجرى بطائفة من العلماء الذين جمعوا بين العلم والعمل والشريعة والحقيقة ، من أمثال « السراج الطوسى » الذى سبقت الاشارة اليه ، و « أبى عبد الرحمن السلمى » المتوفى سنة ٤١٢ هـ بنيسابور ، وهو صاحب طبقات الصوفية ، وأحد من لقيهم « أبو نعيم » وقال عنه فى « حلية الأولياء » : هو أحد من لقيناه ممن له العناية التامة بتوطئة مذهب المتصوفة وتهذيبه على ما بينه الأوائل من السلف · مقتد بسمتهم ، ملازم لطريقتهم ، متبع لآثارهم ، مفـــارق لما يؤثر عن المنخرمـين المتهوسين من رجال هذه الطائفة منكر عليهم · وحقيقة هذا المذهب عنده متابعة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيما بلغ وشرع . ثم القدوة بالمتحققين من علماء المتصـــوفة ورواة الآثار وحـكام الفقهاء ·

وهذه العبارة تشير الى مذهب « أبى نعيم » الصوفى والذى تبلور فى كتابه « حلية الأولياء » كما سيأتى بعد ان شاء الله تعالى ·

ومن أمثال « أبى عمرو الزجاجى » المتوفى سنة ٣٤٨ هـ ، ومن كلامه الذى يدل على الصدق : العقل الصحيح هو الذى يستحسن محاسن الشريعة ويستقبح ما تستقبحه ·

ومن أمثال « أبى العباس القاسم السيارى » المتوفى سنة ٣٤٢ هـ ومن كلامه الرائع : الأغنياء أربعة · غنى بالله وغنى بغنى الله ، قال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : الغنى غنى القلب · وغنى باليقين · قال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كفى باليقين غنى · وغنى لا يذكر غنى ولا فقرا لما ورد على سره من هيبة القدرة ·

ومن أمثال « أبى العباس أحمد بن محمد الدينورى » المتوفى بعد الأربعين وثلاثمائة الذى يقول : ليس يبلغ بالانسان الى مراتب

الأخيار الا الصدق ، وكل وقت وحال خلا من الصـــدق فباطل ، وأنشد :

ما أحسن الصدق فى موطنه والصدق فى كل موطن حسن

لقد التقى « أبو نعيم » بأصحاب « الســـراج الطوسى » فى نيسابور ، وقبل عودته الى « أصبهان » ٠

وأصحاب « السراج » هم معاصروه الذين عاشوا فى خلال القرن الرابع الهجرى وأهل الطبقة الخامســـة فى كتاب الطبقات للسلمى ٠

كما التقى بغيرهم فى البلاد الأخرى التى رحل اليها ، ومنهم اكتسب حالا وذوقا ومعرفة ٠ من أمثال « أبى بكر محمد بن الحسين الآجرى » الذى سبق الحديث عنه فى أثناء التعرف على من أجازوه ٠٠٠ والآجرى الى جانب شهرته العلمية له شهرته الصوفية ومعرفته الروحية ٠

ولئن كان قد التقى فى رحلاته بكثير من الشيوخ الصوفية ، فلقد كانت أصبهان مسقط رأس كثير من الصوفية الذين تحدث عنهم فى الحلية وذكرهم غيره من أصحاب الطبقات من أمثال « على بن سهل بن الأزهر » الأصبهانى ٠ قال عنه « السلمى » هو من قدماء مشايخ « أصبهان » وهو من أقران « الجنيد » وكان يكاتبه ، ومن كلامه الرائق : المبادرة الى الطاعات من علامات التوفيق ، والتقاعد عن المخالفات من حسن الرعاية ، ومراعاة الأســـرار من علامات التيقظ ، واظهار الدعاوى من رعونات البشرية ، ومن لم يصـــحح مبادىء ارادته لا يسلم فى منتهى عواقبه ٠

ومن عمله الذى يدل على فتوته أن « عمرو بن عثمان المكى »

قصده فى دين كان عليه بمكة فكتب بديونه سفاتج(١) الى مكة ولم يعلمه بذلك وهو ثلاثون ألف درهم ·

فقد أدى بذلك دين صاحبه متعرضا لحمله عنه · وهذه هى الفتوة الحقة · والايثار الصادق ·

كما ذكر فى الحلية بعض هؤلاء الصوفية الذين سطعوا فى أفق « أصبهان » قائلا فى مقدمة ذلك :

« سألتم عن ايداع ذكر جماعة من نساك بلدنا وعبادهم ليكون الكتاب مختوما بذكرهم ونشر أحوالهم · واعلموا أن طريقة المتقدمين من نساك بلدنا القدوة والاتباع لمتقدميهم من العمال والعلماء الذين لحقوا الأئمة الأعلام ، وقد ذكرت جماعة منهم فى كتابنا : طبقات المحدثين من الرواة من أهل بلدنا ·

منهم « النعمان بن عبد السلام أبو المنذر » كان أبوه يلى أمر السلطان ومات عن ضيعة نفيسة ومال جم ، فترك ذلك كله ورغب عنه زهدا · ومن أقواله : كل عمل لغير الله فهو ذنب على عامله · والاخلاص اليقين ·

وفى أثناء حديثه عن « النعمان » كتب تقريرا عن متصـــوفة « اصبهان » قال فيه : والغالب من أحوالهم اغتنام الوقت وعنايتهم بجمع الهمم · ومحافظة الأوراد والتشمر للارتياد والتســـارع الى الاستباق ، فأما بسط الكلام فى الأحوال والمقامات قولا بلا فعل فيرونه دعاوى لا حقيقة لها يتحرزون منها غاية التحرز ·

ثم قال : وممن أدركناهم وأدركنا أيامهم وصحبوا « محمد بن

---

(١) السفاتج جمع سفتجة ـ كلمة فارسية · معناها ان تعطى مالا لرجل له مال فى بلد تريد أن تسافر اليه فتأخذ منه خطابا لمن عنده المـال فى ذلك البلد ان يعطيك مثل مالك الذى دفعته اليه قبل سفرك ·

يوسف » وسمعوا منه : « محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سياه » و « محمد بن جعفر بن حفص المعدل المغاربى » و « أبو بكر محمد بن عبد الله بن ممشاز المعروف بالقنديل القوال » و ، أحمد بن بندار بن اسحاق الفقيه الشعار » و « أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن الكسائى المقرىء » و « عبد الرحمن بن محمد بن ششتاه القرطمى المؤذن » وسمعت « أبا بكر محمد بن حيان » يقول وحكى لى عنه حكايات وذكر أنه كان يزوره مع والده « محمد بن جعفر » فى الجمعات وقال : سمعته يروى عن « سليمان بن شبيب » و «عبدالله بن يزيد » أخى « رستم » و « أبى مسعود » ولم أكتب عنه ·

ثم قال : وختم التحقيق بطريقة المتصوفة بأبى الحسن بن ماشاذة لما أولاه الله من فنون العلم والسخاء والفتوة وسلوكه مسلك الأوائل فى البذل والعطاء والانفاق والتبرى من التملك والامساك ، وكان عارفا بالله عالما وفقيها عاملا ، عالما بالأصول وبارعا فى الفروع ، وله من الأدب الحظ الجزيل والخلق الحسن الجميل · رزقنا الله ما رزقهم من الاقبال عليه والانقطاع اليه ، وجمعنا واياهم فى سائر أرضه وبحبوحة جنته انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل ·

واذا كان التصوف لا يكتسب بالتعلم ، ولكنه يكتسب بالعمل ـ كما يقول شيوخ التصوف ـ فلابد أن يكون « أبو نعيم » قد خاض تجربته بعزم وصدق نتج عنهما ذلك الفيض العلمى الغامر ·

ولا نعلم طريقته فى جهاد نفسه وتزكيتها ، حتى أثمرت هذه المعارف الصوفية التى استطاع أن يضمنها كتابه الجامع « حلية الأولياء » ولكنه ـ حتما ـ سار على نهج من سبقوه من وجوب تحرى الاخلاص فى العبادة والصدق فى الجهاد ومقاومة الآفات النفسية · حسبما أشار اليه فى كتابه الذى نحاول استعراض ما فيه بقدر الجهد المتواضع والعجز الظاهر وبالله التوفيق ·

فى صحبة حلية الأولياء :

لقد قرظ كثير من العلماء هذا الكتاب وتحدثوا عنه بما هو أهله • ومما قاله « حاجى خليفة » فى كشف الظنون جـ ١ ص ٦٨٩ ما يلى : حلية الأولياء للحافظ « أبى نعيم » مجلد ضخم أوله الحمد لله محدث الأكوان ، وهو كتاب حسن معتبر يتضمن أسامى جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الائمة الأعـــلام المحققين والمتصوفة والنساك ، وبعض أحاديثهم وكلامهم ، وصـــدره بذكر الخلفاء العشرة فى الترتيب ثم جعل من سواهم أرسالا ، لئلا يستفاد منه تقدم فرد على فرد ، لكنه أطال فيه الأسانيد وتكرير كثير من الحكايات •

قال : ولذلك اختصره « ابن الجوزى » اختصارا حسنا وسماه « صفة الصفوة » ويبدو أنه أوجز فى الاختصار بحيث لم يبق الا رسومه • ثم ان صاحب « مجمع الأخبار » « محمد بن الحســـن الحسينى » سلك فى اختصاره مسلكا وسطا مع زيادة تراجم •

وجاء الامام العلامة الزاهد العابد « أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد الرقى الحنبلى » المتوفى سنة ٧٠٣ هـ فاختصره فى كتاب سماه « أحاسن المحاسن » حققه أخيرا السيد « محمد علوى المالكى » ونشرته المكتبة السلفية بمكة سنة ١٣٩٠ هـ •

وقال عنه الحافظ « السلفى » : لم يصنف مثل كتاب « حلية الأولياء » •

وقال « محمد أمين الخانجى » ناشر الكتاب : هو أكبر موسوعة فى تاريخ نساك هذه الأمة وزهادها ، يشتمل على زهاء ٨٠٠ ترجمة فى ٤٠٠٠ صفحة مقسمة الى عشرة مجلدات ••

سبب تأليف الكتاب :

انشغل ذهن الغيورين من هذه الطريقة بالأحوال التى أوشك التصوف الحق أن يتردى فيها بسبب بعض من اختلط بهم وما أضيف اليه من أقوام لم يحسنوا القيام بآدابه ، ولم يتمرسوا تماما بأخلاقه ، وقد اندس بين صفوف الصوفية من حاولوا أن يشوهوا صورة التصوف ويغيروا طريقته ·· وهذا هو الذى حدا بالسراج الطوسى أن يؤلف كتابه « اللمع » ويقول فى مقدمته : وينبغى للعاقل فى عصرنا هذا أن يعرف شيئا من أصول هذه العصابة وقصودهم وطريقة أهل الصحة والفضل منهم ، حتى يميز بينهم وبين المتشبهين بهم والمتلبسين بلبسهم والمتسمين باسمهم ، حتى لا يغلط ولا يأثم ، لأن هذه العصابة ـ أعنى الصوفية ـ هم أمناء الله جل وعز فى أرضه وخزنة أسراره وعلمه ·· ثم قال : واعلم أن فى زماننا هذا قد كثر الخائضون فى علوم هذه الطائفة ، وقد كثر أيضا المتشبهون بأهل التصوف والمشيرون اليها والمجيبون عن مسائلها ، وكل واحد منهم يضيف الى نفسه كتابا قد زخرفه وكلاما ألفه ، وليس بمستحسن منهم ذلك ، لأن الأوائل والمشايخ الذين تكلموا فى هذه المسائل وأشاروا الى هذه الاشارات ونطقوا بهذه الحكم ، انما تكلموا فى هذه المسائل بعد قطع العلائق واماتة النفوس بالمجاهدات ·

وهذا الاحتراس أيضا هو الذى حدا بالامام « ابى القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى » المتوفى سنة ٤٦٥ هـ الى وضع رسالته المشهورة باسم « الرسالة القشيرية » التى يقول فى مقدمتها : اعلموا رحمكم الله أن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم ، ولم يبق فى زماننا هذا من هذه الطائفة الا أثرهم كما قيل :

أما الخيام فانها كخيامهم ... وأرى نساء الحى غير نسائها

حصلت الفترة فى هذه الطريقة ، لا بل اندرست الطريقة

بالحقيقة ، مضى الشيوخ الذين كان بهم اهتداء ، وقل الشباب الذين كان لهم بسيرهم وسنتهم اقتداء ، وزال الورع وطوى بساطه . واشتد الطمع وقوى رباطه ، الى أن يقول : فعلقت هذه الرسالة اليكم أكرمكم الله ، وذكرت فيها بعض سير شيوخ هذه الطريقة فى آدابهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وعقائدهم .. لتكون لمريدى هذه الطريقة قوة ، ومنكم لى بتصحيحها شهادة ولى فى نشر هذه الشكوى سلوة ، ومن الله الكريم فضلا ومثوبة .

وهذا هو الهدف نفسه الذى حرك البواعث لدى « أبى نعيم » ليحرر كتابه « حلية الأولياء » ويقول فى مقدمته :

أما بعد . أحسن الله توفيقك ، فقد استعنت بالله عز وجل وأجبتك الى ما ابتغيت من جمع كتاب يتضمن أسامى جماعة وبعض أحاديثهم وكلامهم من أعلام المتحققين من المتصوفة وأئمتهم ، وترتيب طبقاتهم من النساك ومحجتهم من فرق الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم ، ممن عرف الأدلة والحقائق ، وباشر الأحوال والطرائق ، وساكن الرياض والحدائق ، وفارق العوارض والعلائق ، وتبرأ من المتنطعين والمتعمقين ، ومن أهل الدعاوى من المتسوفين ، من الكسالى والمثبطين ، المتشبهين بهم فى اللباس والمقال ، والمخالفين لهم فى العقيدة والفعال ، وذلك لما بلغك من بسط لساننا ولسان أهل الفقه والآثار ، فى كل القطر والأمصار ، فى المنتسبين اليهم من الفسقة والفجار ، والمباحية والحلولية الكفار ، وليس ما حل من الوقيعة والانكار بقادح فى منقبة البررة الأخيار ، وواضع من درجة الصفوة الأبرار ، بل فى اظهار البراءة من الكذابين نزاهة للصادقين .

اوصاف الصادقين من الصوفية :

وقد وضع فى مقدمة كتابه خلاصة وافية عن التصوف ، كما كان

الأعلام الذين ترجم لهم بعد ذلك تطبيقا عمليا فى سلوكهم للمعارف الصوفية التى تحدث عنها ٠

لقد أخذ يوضح نعوت الصادقين من الصوفية ويشهر مناقبهم وقال فى ذلك :

اعلم أن لأولياء الله نعوتا ظاهرة وأعلاما شاهرة ينقاد لموالاتهم العقلاء والصالحون ، ويغبطهم بمنزلتهم الشهداء والنبيون ، مصداقا للحديث الشريف : « ان من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله ـ عز وجل ـ قال رجل : من هم وما أعمالهم لعلنا نحبهم ٠ قال : قوم يتحابون بروح الله ـ عز وجل ـ من غير أرحام بينهم ولا أعمال يتعاطونها بينهم ، والله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور ، لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ، ثم قرأ : ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ٠

وخلاصة هذه الصفات التى ذكرها « أبو نعيم » هى :

١ ـ أنهم المورثون جلاسهم كامل الذكر والمفيدون خلانهم بشامل البر ، واستشهد بالأثر القدسى : ان أوليائى من عبادى وأحبائى من خلقى الذين يذكرون بذكرى وأذكر بذكرهم ٠

٢ ـ أنهم المسلمون من الفتن مصداقا للحديث الشريف : ان لله عز وجل ـ ضنائن من عباده يغذيهم فى رحمته ويحييهم فى عافيته ، اذا توفاهم توفاهم الى جنته ، أولئك الذين تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها فى عافية ٠

٣ ـ أنهم المضرورون فى الأطعمة واللباس ، المبرورة أقسامهم عند المنازلة والبأس ، مصداقا للحديث الشريف : كم من ضعيف

متضعف ذى طمرين لو أقسم على الله لأبره منهم « البراء بن مالك » ٠

ثم استطرد الى ذكر شاهد يؤيد هذا الحديث من سـيرة « البراء » فقال : لقى « البراء » زحفا من المشركين ، وقد أوجع المشركون فى المسلمين ، فقالوا له : يا براء ان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : لو أقسمت على الله لأبرك ، فأقسم على ربك ، فقال : أقسمت عليك يارب لما منحتنا أكتافهم فمنحوا أكتافهم ، ثم التقوا على قنطرة السوس ، فأوجعوا فى المسلمين فقالوا : أقسم يا براء على ربك ـ عز وجل ـ فقال : أقسم عليك يارب لما منحتنا أكتافهم وألحقتنى بنبيك ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمنحوا أكتافهم وقتل « البراء » ٠

٤ ـ ان ليقينهم تنفلق الصخور وبيمينهم تنفتق البحور ٠ قال « سهم بن منجاب » : غزونا مع « العلاء الحضرمى » فسرنا حتى أتينا « دارين » والبحر بيننا وبينهم ، فقال « العلاء » : يا عليم يا حليم يا على يا عظيم ، انا عبيدك وفى سبيلك نقاتل عدوك ، اللهم فاجعل لنا اليهم سبيلا ، فتقحم بنا البحر فخضنا ما يبلغ لبودنا الماء ، فخرجنا اليهم ٠

وروى « أبو هريرة » ما يشبه هذا فى البحرين ، وزاد : فلما رآنا « ابن مكعبر » عامل كسرى قال : لا والله لا نقاتل هؤلاء ، ثم قعد فى سفينة فلحق بفارس ٠

٥ ـ هم سباق الأمم والقرون وباخلاصهم يمطرون وينصرون ، واستشهد على ذلك بالحديث الشريف : لكل قرن من أمتى سابقون ، وبحديث : خيار أمتى فى كل قرن خمسمائة ، والأبدال أربعون ، فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأربعون ، كلما مات رجل أبدل الله ـ عز وجل ـ من الخمسمائة مكانه وأدخل من الأربعين مكانهم ٠ قالوا :

يا رســـول الله ، دلنا على أعمـــالهم · قال : يعفون عمن ظلمهم ويحسنون الى من أساء اليهم ويتواسون فيما أتاهم الله عز وجل ·

٦ ـ انهم نظروا الى باطن العاجلة فرفضـــوها والى ظاهر بهجتها وزينتها فوضعوها ، وروى حديث « وهب بن منبه » : قال الحواريون : يا عيسى ، من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ قال « عيسى بن مريم » عليه السلام : الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها ، والذين نظروا الى آجل الدنيا حين نظر الناس الى عاجلها ، فأماتوا منها ما يخشون أن يشينهم وتركوا ما علموا أن سيتركهم ·

٧ ـ هم المصونون عن مرامقة حقارة الدنيا بعين الاغترار ، المبصـــرون صـــنع حبيبهم بالفكر والاعتبار · عن « ابن عباس » ـ رضى الله عنهما ـ : قال : لما بعث الله ـ عز وجل ـ موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ الى فرعون قال لهما : لا يغرنكما الذى ألبسته فان ناصيته بيدى فلا ينطق ولا يطرف الا باذنى ·

٨ ـ وهم الشغفون به وبوده ، والكلفون بخطابه وعهده · عن « عائشة » ـ رضى الله تعالى عنها ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أن « عيسى » ـ عليه السلام ـ قال : يارب أخبرنى بأكرم خلقك عليك · قال : الذى يسرع الى هواى اسراع النسر الى هواه، والذى يكلف بعبادى الصالحين كما يكلف الصبى بالناس ، والذى يغضب ان انتهكت محارمى غضب النمر لنفسه ، فان النمر اذا غضب لم يبال أقل الناس أم كثروا ·

واستطرد ـ هنا ـ الى وصف « ذى النون » المصرى للصوفية ·

٩ ـ هم مصابيح الدجا وينابيع الرشد والحجا ، خصـــوا بخفى الاختصاص ونقوا من التصنع بالاخلاص · مر « عمر » بمعاذ

وهو يبكى · فقال : ما يبكيك يا معاذ ؟ فقال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسـلم ـ يقول : أحب العباد الى الله الأتقياء الأخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا ، واذا شهدوا لم يعرفوا أولئك هم أئمة الهدى ومصابيح العلم ·

١٠ ـ هم الواصـلون للحبل والعازلون للفضل والحاكمون بالعدل · مصداقا لحديث « عائشة » عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أتدرون من السابقون الى ظل الله ـ عز وجل ـ ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم · قال : الذين اذا أعطوا الحق قبلوه ، واذا سئلوه بذلوه ، وحكموا للناس حكمهم لأنفسهم ·

١١ ـ هم المنبسطون جهرا المنقبضون سرا ، يبسطهم روح الارتياح والاشتياق ويقلقهم خوف القطيعة والفراق · قال « عياض ابن غنم » : سمعت رسول الله ـ صلى عليه وسلم ـ يقول : ان من خيار أمتى فيما أتانى الملأ الأعلى فى الدرجات العلا قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ، ويبكون سرا من خوف شدة عذاب ربهم ـ عز وجل ـ ، أقدامهم فى الأرض وقلوبهم فى السماء ، أرواحهم فى الدنيا وعقولهم فى الآخرة ، ليس لهم هم الا أمامهم ، قبورهم فى الدنيا ومقامهم عند ربهم ـ عز وجل ـ ، ثم تلا : ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد ·

١٢ ـ وهم المبادرون الى الحقوق من غير تسويف والموفون الطاعات من غير تطفيف · فيمايروى عن « جابر » عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ان من موجبات ولى الله ثلاثا ، اذا رأى حقا من حقوق الله لم يؤخره الى أيام لا يدركها وأن يعمل العمل الصالح العلانية على قوام من عمله فى السريرة ، وهو يجمع مع ما يعمل صلاح ما يأمل ·

اشـــــتقاق كلمة التصـــــوف :

وتحدث « أبو نعيم » فى مقدمة كتابه عن اشتقاق كلمة التصوف فقال :

اشـــتقاقه عند أهل الاشـــارات والمفتين عنه بالعبارات من الصفاء والوفاء ٠

واشتقاقه من حيث الحقائق التى أوجبت اللغة ، فانه تفعل من أحد أربعة أشياء :

١ ـ من الصوفانة وهى بقلة وغباء قصيرة ٠

٢ ـ من صوفة وهى قبيلة كانت فى الدهر الأول تجيز الحاج وتخدم الكعبة ٠

٣ ـ من صوفة القفا وهى الشعرات النابتة فى المؤخرة ٠

٤ ـ من الصوف المعروف على ظهر الضأن ٠ وتعليل ذلك :

أخذه من الصوفانة وهى البقلة ، فلاجتزاء القوم بما وجدوا وبما من الله به عليهم من غير تكلف ٠ عن « قيس بن أبى حازم » عن « سعد بن أبى وقاص » قال : والله انى لأول العرب رمى بسهم فى سبيل الله ـ عز وجل ـ ، ولقد كنا نغزو مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مالنا طعام نأكله الا ورق الحبلة وهذا السمر حتى قرحت أشداقنا ، وحتى ان أحدنا ليضع كما تضع الشاة ، ماله خلط ٠

وأخذه من « صوفة » التى هى القبيلة ، فلأن المتصوف فيما كفى من حاله أحد أعلام الهدى ، لعدولهم عن الموبقات واجتهادهم فى القربات ٠ ـ جاء فى دائرة المعارف الاسلامية : صوفة أبو حى من مضر وهو « الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس مضـــر »

كانوا يخدمون الكعبة فى الجاهلية ويجيزون الحاج ، أى يفيضون بهم ، وكانت العرب اذا حجت وحضرت عرفة لا تدفع منها حتى يدفع بها صوفة » ، وسمى « الغوث » بصوفة لأن أمه جعلت فى رأسه صوفة وجعلته ربيطا للكعبة يخدمها ـ

وأخذه من صوفة القفا ، فمعناه أن المتصوف معطوف به الى الحق ، مصروف به عن الخلق ٠

وأخذه من الصوف لاختيارهم لباس الصوف لأنه لا كلفة للآدميين فى انباته وانشائه ، وان النفوس الشاردة تذلل بلباس الصوف ، وتكسر نخوتها وتكبرها به لتلتزم المذلة والمهانة وتعتاد البلغة والقناعة ٠ قال « جعفر بن محمد الصادق » : من عاش فى ظاهر رسول الله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو سنى ، ومن عاش فى باطنه فهو صوفى ٠ وأراد بباطنه أخلاقه الطاهرة واختياره للآخرة ، فمن تخلق بأخلاق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتخير ما اختاره رغب فيما فيه رغب ، وتنكب عما تنكب ، وأخذ بما اليه ندب ، فقد صفا من الكدر ٠ ومن عدل عن سمته ونهجه ، وعول على حكم نفسه كان من التصوف خاليا وفى التجاهل ساعيا ٠

ثم ان العقل يدعو الى التصوف استنادا الى الحديث الشريف الذى رواه « أبو سعيد الخدرى » ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : قسم الله ـ عز وجل ـ العقل على ثلاثة أجزاء فمن كن فيه كمل عقله ، ومن لم يكن فيه فلا عقل له : حسن المعرفة بالله ـ عز وجل ـ ، وحسن الطاعة لله ـ عز وجل ـ ، وحسن الصبر على ما أمر ـ عز وجل ٠

تذوقات العارفين لمعنى الصوفى :

قال : « أبو نعيم » : كيف ينسب الى التصوف من اذا عورض

فى حقيقة معرفة الله ـ عز وجل ـ كل عنها وخاط فيها ؟ واذا طولب بموجب الطاعة جهلها وتخبط فيها ؟ واذا امتحن بمحنة يجب الصبر عليها وعنها جزع وعجز ؟

وعلى هذا فالصوفى ـ فى نظره ـ هو الذى يجعل معرفة الله وطاعته هدفه الأسمى مستعينا على ذلك بالصبر على ما يعترضه من محن وعلى ما يقابله من عقبات ، وعلى الاستمرار فى الطاعة فلا يقف فيها عند حد ، ولا يفرح بما يقابله دون الوصول الى الغاية من منح .

واستدل « أبو نعيم » على مفهومه ذلك بأقوال العارفين .

فقد قال « **الجنيد** » : التصوف اسم جامع لعشـــرة معان : التقلل من كل شىء من الدنيا عن التكاثر فيها ـ اعتماد القلب على الله ـ عز وجل ـ من السكون الى الأسباب ـ الرغبة فى الطاعات من التطوع فى وجود العوافى ـ الصبر عند فقد الدنيا عن الخروج الى المسألة والشكوى ـ التمييز فى الأخذ عند وجود شىء ـ الشغل بالله ـ عز وجل ـ عن سائر الأشغال ـ الذكر الخفى عن جميع الأذكار ـ تحقيق الاخلاص فى دخول الوسوسة ـ اليقين فى دخول الشك ـ السكون الى الله ـ عز وجل ـ من الاضطراب والوحشة .

أما « ذو النون المصرى » فيقول : الصوفى من اذا نطق أبان نطقه عن الحقائق ، وان سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق .

والتصوف هو قمة الأخلاق الفاضلة . يقول « الجنيد » فى ذلك: التصوف الخروج من كل خلق دنى والدخول فى كل خلق سنى .

والصـــوفى هو العارف بالله ، وعلامة العارف ـ كما يقول « الشبلى » ـ صدره مشروح وقلبه مجروح وجسمه مطروح .

وقد قيل للشبلي : هذه علامة العارف فمن العارف ؟ قال : العارف الذى عرف الله ـ عز وجل ، وعرف مراد الله ـ عز وجل ـ وعمل بما أمر الله ، وأعرض عما نهى الله ، ودعا عباد الله الى الله ·

وحين قيل له : من الصوفى ؟ قال : من صفى قلبه فصـــفا ، وسلك طريق المصطفى ، ورمى الدنيا خلف القفا ، وأذاق الهوى طعم الجفا ·

قيل له : هذا الصوفى فما التصوف ؟ قال : التألف والتظرف والاعراض عن التكلف ·

وقال عنه أيضا : تسليم تصفية القلوب لعلام الغيوب ·

وقال أيضا : التصوف تعظيم أمر الله وشفقته على عباد الله ·

أما الصوفى فحده : من صفا من الكدر ، وخلص من العكر ، وامتلأ من الفكر ، وتساوى عنده الذهب والمدر ·

والتصوف فى رأى « أبى نعيم » ليس عبادة فقط ، ولكنه مع ذلك تصفية للنفس وترقية للفكر ، وسياحة عقلية فى ملكوت الله ترتد على صاحبها بأرقى أنواع المعارف والمشاهدات والأســـرار · وقد أشار الى ذلك بقوله :

يشتمل كلام المتصوفة على ثلاثة أنواع :

١ ـ اشارتهم الى التوحيد ·

٢ ـ كلامهم فى المراد ومراتبه ·

٣ ـ كلامهم فى المريد وأحواله ·

ولكل من هذه الثلاثة مسائل وفروع ·

فأول أصولهم العرفان ثم احكام الخدمة والادمان ، فقد أوصى

النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « معاذ بن جبل » حين أرسله الى اليمن فقال له : انك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم اليه عبادة الله ، فاذا عرفوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم صلوات ، فاذا فعلوا فأخـــبرهم أن الله فرض عليهم زكاة تؤخذ من أموالهم فترد على فقرائهم ٠٠

وهذا الحديث يرسم الطريق للداعية الى الله كيف يضع منهجه فى الدعوة ، وكيف ينتقل بمن يدعوهم الى الله خطوة خطوة ، حتى يجمع همهم ولا يفرق عزمهم ، وبذلك يحكمون الشعائر ويفهمون أسرارها بعد التحقق بها ٠

وقد ذهب رجل الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يطلب منه أن يدله على غرائب العلم ٠ فقال له : ماذا فعلت فيما علمته ؟ اعمل بما علمت ، ثم تعال أعلمك من غرائب العلم ٠

وهذا أصل من أصول الطريق الصوفى ، وهو العمل ، والعمل يورث العلم ، مصداقا **لقوله تعالى** : « واتقو الله ويعلمكم الله » ـ البقرة ٢٨٢ ـ وقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » الأنفال ٢٩ ٠

وقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ٠

المعـــانى الصـــوفية :

وقد أشار « أبو نعيم الى أن المعانى الصوفية تدور حول أركان أربعة هى :

١ ـ معرفة الله تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله ٠

٢ ـ معرفة النفوس وشرورها ودواعيها ٠

٣ ـ معرفة وساوس العدو ومكائده ومضاله ٠

٤ ـ معرفة الدنيا وغرورها وتفتينها وتلوينها وكيفية الاحتراز منها والتجافى عنها ٠

وقد ألزموا أنفسهم بعد توطئة هذه الأبنية دوام المجاهدة وشدة المكابدة ، وحفظ الأوقات واغتنام الطاعات ٠ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ان الله يحب العبد التقى الغنى الخفى ٠

ان هذا المنهج فى رأى « أبى نعيم » لابد أن يثمر الأحوال الشريفة والأخلاق اللطيفة ٠

ولهم فى تعليم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه قدوة طيبة ، فقد روى عن « ابن عباس » ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له : يا غلام ، ألا أحبوك ؟ ألا أنحلك ؟ ألا أعطيك ؟ قال : قلت : بلى ، بأبى أنت وأمى يارسول الله ـ قال : فظننت أنه سيقطع لى قطعة من مال ـ فقال : أربع تصليهن كل يوم وليلة ، فتقرأ أم القرآن وسورة ، ثم تقول : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ٠ ثم تركع فتقولها عشرا ، ثم تفعل فى صلاتك كلها مثل ذلك ٠ فاذا فرغت فقل بعد التشهد وقبل التسليم : اللهم انى أسألك توفيق أهل الهدى ، وأعمال أهل اليقين ، ومناصحة أهل التوبة ، وعزم أهل الصبر ، وجد أهل الخشية ، وطلبة أهل الرغبة ، وتعبد أهل الورع وعرفان أهل العلم حتى أخافك ، اللهم انى أسألك مخافة تحجزنى عن معاصيك وحتى أعمل بطاعتك عملا أستحق به رضاك ، وحتى أناصحك فى التوبة خوفا منك ، وحتى أخلص لك النصيحة حبا لك وحتى أتوكل عليك فى الأمور حسن الظن بك ، سبحان خالق النور ٠

فاذا فعلت ذلك يابن عباس غفر الله لك ذنوبك صغيرها وكبيرها ، قديمها وحديثها ، سرها وعلانيتها ، وعمدها وخطأها ٠

لقد كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حريصا على تعليم أصـــحابه كيف يأخذون أنفسهم بعزائم الأمور ، وكيف يغتنمون الفرص للتقرب الى الله ومناجاته والتضرع اليه ٠ أما الدنيا فلا حساب لها فى ميزان الفكر السليم ، ولقد كان « ابن عباس » فى واد والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى واد آخر ، حتى أخذ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيده الى الطريق الصحيح والمحجة الواضحة ٠

والمتصوف الحق لا قيمة للدنيا فى نظره ، فهى لا تعدل عند الله جناح بعوضة ٠

ان الصوفية ـ كما يقول « أبو نعيم » هم السفراء الى الخلق والأسراء لدى الحق ، أزعجهم الفرق وأهمهم القلق ٠

حبهم للحق وفى الحق يحييهم ويفنيهم ، وعمن سواه من الخلق يلهيهم ويسليهم ٠

فقــــه التصـــــوف :

لقد وصل « أبو نعيم » الى حقيقة التصوف ، وفقه معناه ، فكانت ترجمته لمن ترجم لهم فى كتابه « حلية الأولياء » ترجمة عملية لروح التصوف وأذواقه ومعانيه ٠

لقد ثبت لديه مما روى فى كتابه من أحاديث وما ترجم من أعلام أن التصوف أحوال قاهرة وأخلاق طاهرة ٠

وبدأ فى تراجمه بذكر من اشتهر من الصـــحابة بحال من الأحوال وحفظ عنه حميد الفعال ، وكان من الســـابقين فى جهاد النفس العارفين بجلال الله وحقه ، حتى يكونوا قدوة للســـالكين والمريدين ٠

ونختار بعض النماذج المترجمة التى استنبط من ســـلوكها الممتاز دقائق التصوف لنقتطف مما كتبه عنها بعض العبارات التى تشهد بقوة استنباطه ودقة فهمه وعمق فقهه · ففى سيرة « أبى بكر » ـ رضى الله عنه ـ يقول :

كان ـ رضى الله عنه ـ يتوصل بعز الوفاء الى أسنى مواقف الصفاء · وقد قيل : ان التصوف تفرد العبد بالصمد الفرد ·

وكان ـ رضى الله عنه ـ لا يفارق الجد ولا يجاوز الحد ، وقيل : ان التصوف الجد فى السلوك الى ملك الملوك ·

وكان ـ رضى الله عنه ـ يقدم على المضار لما يؤمل فيه من المسار ، وقد قيل : ان التصوف السكون الى اللهيب فى الحنين الى الحبيب ·

وكان ـ رضى الله عنه ـ يقدم الحقير مفتادا للخطير ، وقد قيل : ان التصوف وقف الهمم على مولى النعم ·

ويستشهد على هذه الفقرة بالقصة الآتية : أتى « أبو بكر » النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بصدقته فأخفاها ، فقال يا رسول الله : هذه صدقتى ولله عز وجل عندى معاد ·

وجاء « عمر » بصدقته فأظهرها فقال : يارسول الله هذه صدقتى ولى عند الله معاد · فقال الرسول : ياعمر وترت قوسك بغير وتر · ما بين صدقتيكما كما بين كلمتيكما ·

وكان ـ رضى الله عنه ـ فى المصادفات صافيا وفى المؤاخاة وافيا ، وقد قيل : ان التصوف استنفاد الطوق فى معاناة الشوق ، وتزجية الأمور على تصفية الصدور ·

لقد أخذ من سيرة « أبى بكر » ـ رضى الله عنه ـ ما استطاع الصوفية أن يجعلوه منهجا يســـيرون عليه ، ويصـــوغون فى ظله عباراتهم التى توضح مدلول التصوف كمسلك وذوق ·

وفى ترجمة « عمر » رضى الله عنه ـ يقول :

كان ـ رضى الله عنه ـ للدين معلنا ولأعمال الخير مبطنا ، وقد قيل : ان التصوف الوصول بما علن الى ظهور ما بطن ·

وكان مخصصا بالسكينة فى الانطاق ، محذرا من القطيعة والفراق ، ومشهرا فى الأحكام بالاصابة والوفاق · وقد قيل : ان التصوف الموافقة للحق والمفارقة للخلق ·

وكان رضى الله عنه ـ بالحقائق لهجا عروفا وعن الأباطيل عزوفا ، وقد قيل : ان التصوف دفع دواعى الردى بما يرقب من الصدى ·

وكان ـ رضى الله عنه ـ عن فناء الملاذ منتهيا ولباقى المعاد مبتغيا ، يلازم المشقات ويفارق الشهوات ، وقد قيل : ان التصوف حمل النفس على الشدائد الذى هو أشرف الموارد ·

فهذه الصفات التى وصف بها أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» من اخفاء أعمال البر واظهار الجهاد فى سبيل الحق وموافقة الطاعة والميل الى الخفاء والاقبال على الطاعة والعزوف عن الباطل وايثار الاخرة على الأولى هى أخص صفات التصوف ·

وفى حديثه عن « عثمان » ـ رضى الله عنه ـ أيضا يربط التصوف بأخلاقه فيقول :

كان رضى الله عنه ـ ممن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، غالب أحواله الكرم والحياء والحذر والرجاء، حظه من النهار الجود والصيام ومن الليل السجود والقيام، مبشر بالبلوى ومنعم بالنجوى ، وقد قيل : ان التصوف الصبر على مرارة البلوى ليدرك به حلاوة النجوى ·

كما كان ـ رضى الله عنه ـ الى رضاء ربه متوصلا وببذله

للعباد متنفلا . ولحظ نفسه متقللا ، وفى لباسه وطعامه متعللا ، وقد قيل : ان التصوف ابتغاء الوسيلة الى منتهى الفضيلة .

فانظر كيف ربط بين صفات أمير المؤمنين « عثمان » — رضى الله عنه — وبين ما يدعو اليه التصوف من صفات مثلى وسلوك حميد ، وبذلك يكون التصوف مربوطا بسبب وثيق الى الخلافة الرشيدة وصحبة الرسول المجيدة .

وقد أخذت ترجمة الامام « على » — رضى الله عنه — حظها الموفور من حديث « أبى نعيم » ولذلك اعتبار خاص عند الصوفية حيث ينظرون اليه على أنه منبع من منابع علومهم ، فأساس الذكر مروى عنه — كما يقول الشيخ « عبد ربه بن سليمان »(1) — . وهو أول من تكلم فى علم التصوف كما يقول « ابن عجيبة »(2) — وهذا ما يراه « العقاد »(3) نقلا عن « ابن أبى الحديد » .

لعل هذا المعنى راود ذهن « أبى نعيم » فأفاض فى ترجمة الامام « على » وصدرها بقوله : وسيد القوم محب المشهود ومحبوب المعبود ، باب مدينة العلم ، قدوة المتقين وزينة العارفين المنبىء عن حقائق التوحيد المشير الى لوامع التفريد ، صاحب القلب العقول واللسان السؤول ، والأذن الواعى والعهد الوافى ، فقاء عيون الفتن ووقى من منون المحن ، فدفع الناكثين ووضع القاسطين ودمغ المارقين ، الأخيشن فى دين الله الممسوس فى ذات الله ، وقد قيل : ان التصوف مرامقة المودود ومصارمة المحدود .

---

(1) فيض الوهاب فى بيان أهل الحق ومن ضل عن الصواب حـ ٥ ص ٢٣ .

(2) ايقاظ الهمم على شرح الحكم حـ ٦ .

(3) عبقرية الامام ص ٣٠ — سلسلة اقرا .

وكان الاستسلام والانقياد شأنه والتبرؤ من الحول والقوة مكانه ، وقد قيل : التصوف اسلام الغيوب الى مقلب القلوب ٠

وكان ــ رضى الله عنه ــ على الأوراد مواظبا وللأزواد مناحبا وقد قيل : التصوف الرغبة الى المحبوب فى درك المطلوب ٠

وكان اذا لزمه فى العيش الضيق والجهد أعرض عن الخلق ، فأقبل على الكسب والكد ، وقد قيل : ان التصوف الارتقاء فى الأسباب الى المقدرات من الأبواب ٠

وكان بذات الله عليما ، وعرفان الله فى صدره عظيما ، وقد قيل : التصوف البروز من الحجاب الى رفع الحجاب ٠

واستشهد من كلام « على بن أبى طالب » على ما يفتح الطريق الى التعبير عن مذاقات الصوفية وأحوالهم ، فقد روى عن « خلاس ابن عمر » قال : كنا جلوسا عند « على بن أبى طالب » فسأله رجل من « خزاعة » عن نعت الاسلام ، فقال : بنى الاسلام على أربعة أركان : على الصبر واليقين والجهاد والعدل ٠

وللصبر أربع شعب : الشوق والشفقة والزهادة والترقب ٠

فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات

ومن أشفق من النار رجع عن الحرمات

ومن زهد فى الدنيا تهاون بالمصيبات

ومن ارتقب الموت سارع فى الخيرات

ولليقين أربع شعب : تبصرة الفطنة ، وتأويل الحكمة ، ومعرفة العبرة ، واتباع السنة ٠

فمن أبصر الفطنة تأول الحكمة
ومن تأول الحكمة عرف العبرة

ومن عرف العبرة اتبع السنة

ومن اتبع السنة فكأنما كان فى الأولين

وللجهاد أربع شعب : الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والصدق فى المواطن ، وشنآن الفاسقين ٠

فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمنين

ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق

ومن صدق فى المواطن قضى الذى عليه وأحرز دينه

ومن شنأ الفاسقين فقد غضب لله ، ومن غضب لله يغضب الله له ٠

وللعدل أربع شعب : غوص الفهم ، وزهرة العلم ، وشرائع الحكم ، وروضة الحلم ٠

فمن غاص بالفهم فسر جمل العلم

ومن رعى زهرة العلم عرف شرائع الحكم

ومن عرف شرائع الحكم ورد روضة الحلم

ومن ورد روضة الحلم لم يفرط فى أمره وعاش فى الناس وهو فى راحة ٠

(كذا رواه « خلاس بن عمرو » مرفوعا ، وخالف الرواة عن « على » فقال : الاسلام ٠ ورواه « الأصبغ بن نباتة » عن « على » مرفوعا فقال : الايمان ، ورواه « الحارث » عن « على » مرفوعا مختصرا ، ورواه « قبيصة » عن « جابر » عن « على » من قوله) ــ الحلية حـ ١ ص ٧٤ ٠

ثم ذيل ترجمته عن « علي » بفقرات من وثيق عباراته ودقيق

اشاراته ، وذكر وصيته لكميل بن زياد التى تدل السالكين على الله ، وذكر أمثلة طيبة من زهده وتعبده ، كما أفاض فى أوصاف أصحابه له ، ومن ذلك وصف « ضرار » له فى مجلس « معاوية » وأشار الى أنه أبو العترة الطاهرة التى يحبها الصوفية . ثم عقب « أبو نعيم » على ذلك بقوله : فالمحققون بموالاة العترة الطيبة هم : الذبل الشفاه المفترشو الجباه ، والأذلاء فى نفوسهم الفناة ، المفارقون لمؤثرى الدنيا من الطغاة ، هم الذين خلعوا الراحات ، وزهدوا فى لذيذ الشهوات ، وأنواع الأطعمة وألوان الأشربة ، فدرجوا على منهاج المرسلين والأولياء من الصديقين ، ورفضوا الزائل الفانى ، ورغبوا فى الزائد الباقى فى جوار المنعم المفضال ومولى الأيادى والنوال .

وهكذا يفعل « أبو نعيم » فى تراجمه جميعا ، لا يهمه الا مراعاة الآداب الصوفية التى تميز بها صاحب الترجمة ، فهو يعرض طائفة من أخلاقه وسلوكه وعبادته وزهادته التى تدل على أن المتصوفة انما ساروا فى طريقهم على نهج السلف الصالح ، ولذلك فهم السلفيون بمعنى الكلمة .

يؤيد هذا المعنى ما ذكره فى الجزء الثانى ص ٢٥ ، بعد أن انتهى من ذكر أهل الصفة حيث قال : ان حقيقة هذا المذهب متابعة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيما بلغ وشرع وأشار اليه وصدع ثم القدوة المتحققين من علماء المتصوفة ورواة الآثار وحكام الفقهاء ولذلك ضممت الى ما ذكرهم « السلمى » ما ذكر الأغر الأبلج « أبو سعيد بن الأعرابى » رحمه الله ــ وكان أحد أعلام رواة الحديث والمتصوفة ، وله التصانيف المشهورة فى سيرة القوم والسياحة واقتفاء آثارهم ، وأقتفى فى باقى الكتاب من ذكر التابعين حذوه ، اذ هو شرع فى تأليف طبقات النساك ، وأقتصر ان شاء الله على ذكر جماعة من كل طبقة مستعينا بالله ومعتمدا على جميل كفايته اذ هو الولى والمعين . اهـ .

وهذه مقتطفات من سير بعض من ذكرهم من الصحابة والتابعين :

ـ « فطلحة بن عبيد الله » كان فى الشدة والقلة لنفسه بذولا وفى الرخاء والسعة بماله وصولا · وقد قيل : ان التصوف النزوح بالأحوال والتخفف من الأثقال ·

ـ و « الزبير بن العوام » كان لمولاه مستكينا وبه مستعينا ، قاتل الأبطال وباذل الأموال · وقد قيل : ان التصوف الوفاء بالثبات والتسامح بالمال والجدات ·

ـ و « عثمان بن مظعون » لم تنقصه الدنيا ولم تحطه عن العلياء، تعجل الى المحبوب فتسلى عن المكروب · وقد قيل : التصوف تشوف الصادى الراغب عن الكدر الى صفاء الورد من غير صدر ·

ـ و « مصعب بن عمير » سيد التقاة ، سبق الركب وقضى النحب ، ورغب عن التتريف والتسويف ، وغلب عليه الحنين والتخويف · وقد قيل : التصوف طلب التأنيس فى رياض التقديس ·

ـ « وحبيب بن عدى » الثابت الصابر فى ذات الله المحبوب ، وقيل : التصوف اقامة الدنف المعذب على حفاظ الكلف المهذب ·

ـ و « جعفر بن أبى طالب » فارق الخلق ورامق الحق ، وقيل : التصوف الانفراد بالحق عن ملابسة الخلق ·

ـ و « عبد الله بن رواحة » الذى استشهد بالبلقاء ، كان زاهدا فى البقاء راغبا فى اللقاء · وقيل : التصوف الانفراد بالحق عن ملابسة الخلق ·

ـ و « صهيب بن سنان » أسرع الاجابة لله تعالى ورسوله ، لماله بذول ولنفسه قتول ولدينه عقول · والتصوف الأخذ بالأصول والترك للفضول والتشمير للوصول ·

ـ و « أبو ذر الغفارى » اعتزل مخـــالطة البرايا ، وخـدم الرسول وتعلم الأصول ونبذ الفضـــول • **وقيل :** التصوف التأله والتدله عن عليات التوله •

ـ و « الحســـن بن على ـ رضى الله عنهما ـ له فى معانى المتصوفة الكلام المشرق المرتب والمقام المؤنق المهذب • وقد قيل : التصوف تنوير البيان وتطهير الأركان •

ـ و « مســـروق بن الأجدع » واسمه : « مســـروق بن عبد الرحمن الهمدانى الكوفى » هو الهائم بحبه الذاكر لذنبه • وقد قيل : التصوف التشمر للورد واللحوق ، والتبصـــر فى الوجوث والطروق •

ـ و « الحسن البصرى » هو الفقيه الزاهد المتشمر العابد ، كان لقصد الدنيا وزينتها نابذا ، ولشهوة النفس ونخوتها واقذا ـ الوقذ : الضرب حتى الاضعاف والاشراف على الموت ـ وقيل : التصوف التنقية من الدرن والتوفية من البدن للتبقية فى عدن •

الحقـــائق والأذواق الصـــوفية :

يعد القرن الرابع الهجرى قرن النضج العلمى ، وكان لتشجيع الحكام كما سبقت الاشارة أثر فى نمو الحركة العلمية وازدهارها • كان لقوة الدولة وكثرة جبايتها أثر فى أن يبذل الخلفاء فى ســـبيل العلم ، حتى ألهبوا الهمم بعطائهم الكثير ، وحين ضعف الخلفاء لم يضعف العلم فقد أدى التنافس بين الولايات التى اقتطعت من جسم الدولة العباسية ما كان يؤديه عطاء الخلفاء للعلماء(١) •

ولكن التصوف الذى يدعو الى الزهد ليس منشأ الازدهار فى

---

(١) راجع الأدب العربى وتاريخه فى العصر العباسى ص ١٧٦ •

علومه تشجيع الحكام والخلفاء أو التنافس ، ولكن ازدهاره جاء تبعا لازدهار غيره من العلوم ، فان التقدم يستتبع بعضه بعضا ، والتصوف أحد العلوم الشرعية الحادثة فى الملة كالفقه والتفسير والحديث وغيرها · قال « **ابن خلدون** » : فلما كتبت العلوم ودونت وألف الفقهاء فى الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من أهل هذه الطريقة فى طريقتهم ، وصار علم التصوف فى الملة علما مدونا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط »[1] ·

ولقد سبق « أبا نعيم » مؤلفون ، وجاء بعده مؤلفون ، ولكن عناية « أبى نعيم » كانت متجهة الى اثبات أصول الطريق واستمداد التصوف من الكتاب والسنة ، عن طريق ذكر أخلاق السلف الصالح ومعاملتهم مع ربهم وسلوكهم ومراقبتهم ومحاسبتهم أنفسهم وذكر نبذ من أقوالهم التى تدل على الله وحسن الصلة به والدعوة الى معرفته ·

ويمكن استخلاص المعارف الصوفية التى قننت فيما بعد من خلال ما يمر فى أثناء حديثه عن رجاله المترجم له · هذه المعارف التى أفاض مؤلفو الصوفية بعد « أبى نعيم » فى بيان ما تتضمنه من مجاهدات وأذواق وأحوال ··

ولنكتف فى بيان ذلك بالأمثلة الآتية من خلال كتاب « حلية الأولياء » ·

١ ـ يبدأ المريد ـ عادة ـ طريقه بالتوبة · ونجد أحاديث متعددة عن التوبة منها ما نستخلصه من سيرة « عبد الله بن المبارك » **حين قال :**

---

(١) المقدمة ص ٤٦٩ ·

رأيت الذنوب تميت القـــلوب
ويتبعهـــــا الذل أزمـــانها

وترك الذنوب حيـاة القــلوب
فاختر لنفسـك عصــيانها(١)

وهذان البيتان يشيران الى أن التوبة مقام يبدؤه المريد بالاقلاع عن المعاصى والتوبة منها والندم عليها ، ثم لا تلبث أن تصاحب التوبة السالك فى مسيرته ، وتوبته حينئذ ليست عن الخطايا والذنوب ولا هى بالندم والاستغفار ، انما هى ـ كما يقول الدكتور « ابراهيم بسيونى » : حدوث انتقال نفسى يتم بعده اســتحضار الله فى كل خطرة من الخطرات ، وآية ذلك عصيان النفس أو اماتتها ، وفى هذه الاماتة حياة القلوب وانتعاش الأرواح(٢) ٠

والتوبة أولا تحتاج الى تنبيه يوقظ النفس ويرغبها فى الرجوع الى الله ، وتحرك اليقظة باعث الطلب فى تلافى الوقت وجبر الكسر ، وربما كان الشعر وما يحمله من عاطفة صادقة وقوة بيانية آخذة أحد الأسباب التى تنبه من أراد الله به خيرا ٠ يدل على ذلك ما أورده « أبو نعيم » فى الحلية فى ترجمة « ابراهيم بن أدهم » قال « حذيفة المرعشى » : صحبت « ابراهيم بن أدهم » بالبادية حتى بليت ثيابنا فدخلنا الكوفة وأوينا الى مسجد خراب ، فنظر الى « ابراهيم » فقال : يا حذيفة أرى بك الجوع ٠ فقلت : ما رأى الشيخ ؟ فقال : على بدواة وقرطاس ٠ فخرجت فجئته بهما ، فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم : أنت المقصود اليه بكل حال والمشار اليه بكل معنى ٠

أنا حاضـــر أنا ذاكر أنا شاكر
أنا جائع أنا حاسـر أنا عارى

---

(١) الحليــة جـ ٨ ص ٢٧٩ ٠
(٢) نشأة التصــوف جـ ١٢٠ ٠

هى ستة وأنا الضمين بنصفها
فكن الضمين لنصــفها يا بارى

مدحى لغيرك لفح نار خضــتها
فأجر عبيدك من وجــود النار

ودفع الى بالرقعة وقال : اخرج ولا تعلق ســـــرك بغير الله ، وأعطها أول من تلقاه ، فخرجت فاستقبلنى رجل راكب على بغلة فأعطيته اياها فقرأها وبكى · وقال : أين صاحب هذه الرقعة ؟ فقلت فى المسجد الفلانى الخراب · فأخرج من كمه صرة دنانير فأعطانيها · فسألت عنه فقيل : هو نصرانى ·

فرجعت الى « ابراهيم » فأخبرته فقال : لا تمسها فانه يجىء الساعة ، فما كان بأسرع أن وافى النصرانى ، فانكب على رأس « ابراهيم » فقال : ياشيخ قد حسن ارشادك الى الله ، فأسلم ، وصار صاحبا لابراهيم رحمه الله(١) ·

وكما قلنا سابقا : التوبة تحتاج الى ملازمة وهى حينئذ تصبح مقاما يتحقق به صاحبه ، يجد حلاوته فى قلبه ، ويدل على ذلك قول « عبد الواحد بن زيد » : نمت عن وردى ليلة ، فاذا أنا بجارية لم أر أحسن منها وجها وعليها ثياب حرير خضر ، وفى رجلها نعلان وهى تقول : يا بن زيد جد فى طلبى فانى فى طلبك · ثم جعلت تقول برخيم صوتها :

من يشترينى ومن يكن سكنى   يأمن فى ربحه من الغـــبن

فقلت : يا جارية ، ما ثمنك ؟ فأنشأت تقول :

تودد الله مع محبتـــه   وطول شكر يشاب بالحزن

---

(١) الحليــة حـ ٨ ص ٣٨ ·

فقلت : لمن أنت ياجارية ؟ فقالت :

لمالك لا يرد لى ثمنـــــا   من خاطب قد أتاه بالثمن

فأنتبه وآلى على نفسه ألا ينام الليل(١) ٠

٢ ـ الخوف وهو من مقامات الصوفية أيضا ، ومفهومه كما يقول « القشيرى » فى رسالته : سراج القلب به يبصر ما فيه من الخير والشر(٢) ٠

وصاحب هذا المقام يتمثل جناب الله دائما ، ويفرق عند سماع اى انذار أو وعيد ، وشاهده من الحلية ما يرويه « أبو نعيم » فى ترجمة « أويس القرنى »(٣) من أنه كان يشهق شهقة غاشية حين يسمع « ان يوم الفصل ميقاتكم اجمعين » الدخان ٤٠ ٠

وفى ترجمة « ابراهيم بن أدهم »(٤) الذى كان يفرق حين يسمع قوله تعالى « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون » المؤمنون ١١٥ ٠

لقد كان القرآن الكريم وما فيه من آيات الوعد والوعيد يثير تقلب الصوفية بين حالى الرجاء والخوف وقد تناول « ذو النون المصرى » هذا المعنى فقال :

منع القـــــران بوعده ووعيده

مقـــل العيون بليلها أن تهجعا

فهموا عن الملك الـــكريم كلامه

فهما تذل له الرقاب وتخضعا(٥)

---

(١) الحليــة حـ ٦ ص ١٥٧ ٠

(٢) الرســالة ص ٦٥ ٠

(٣) حـ٢ ص ٨٥ ٠

(٤) الحليــة حـ ٧ ص ٣٦٨ ٠

(٥) الحليــة حـ ١ ص ١٤ ٠

لقد حرمهم الخـــوف من لذة النوم وأوقفهم فى محراب الله متبتلين يرجون رحمته ويخافون عذابه ·

كما أن الخوف أوقفهم أمام باب الله لا يبرحونه ، وألزمهم الورع عن أن يفعلوا شيئا يكون سببا فى اسقاطهم من عين الحق ، وجعلهم يستحضرون صورة الحساب أمامهم ، وما يسجل فى كتبهم من أعمالهم ، وهذه هى يقظة الضمير الحى التى تخلق الانســـان السوى ·

ولئن كان بعض الصوفية شعراء يعبرون عن مواجيدهم بين الفينة والفينة بأبيات من الشعر ، يقولونها بداهة ، أو يستشهدون من شعر غيرهم ، الا أن بعضهم كان الخوف يمنعه أن يقول الشعر أو يستشهد به كالربيع بن خيثم الذى قيل له : ألا تستشهد ببيت من الشعر فقد كان أصحابك يتمثلون فقال : ما من شىء يتمثل به الا كتب ، وأنا أكره أن أقرأ فى امامى بيت شعر يوم القيامة(١) ·

ان استذكار الموت كان من بواعث الخوف عندهم ، لا الخوف من الموت ، بل الخوف من مفاجأته قبل استعداد لما بعده ، والقرآن الكريم يقول : « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله » البقرة ٢٨١ وقد استيقظ « عمر بن عبد العزيز » يبكى ذات ليلة فقيل له : ما شأنك ؟ فقال : رأيت شيخا وقف على فقال :

اذا ما أتتك الأربعون فعندها فاخش الاله وكن للموت حذارا(٢)

٣ ـ ومن المقامات التى يعتنى بها الصوفية : الزهد ـ ولهم فى معانيه دقائق ورقائق من بينها ما قاله « القشيرى » فى رسالته(٣) :

---

(١) الحلية حـ ٢ ص ١١٣ ·

(٢) الحلية حـ ٥ ص ٢٦٩ ·

(٣) الرسالة القشيرية ص ٦١ ·

الزهد من قوله تعالى : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » الحديد ٢٣٠ ·

وهناك ارتباط بين التقوى والزهد يمكن ملاحظته مما رواه « أبو نعيم » : قيل لأبى الدرداء ــ الصحابى الجليل ــ : مالك لا تقول شعرا فانه ليس رجل له بيت من الأنصار الا وقد قال شــــعرا ؟ **قال : وأنا أقول فاسمعوا :**

يريد المــــرء أن يعطى منــــاه
ويــأبى الله الا مـــــــا أرادا

يقول المــــرء فائدتى ومـــــالى
وتقوى اللهأفضل ما استفادا(١)

والزهد قد يستلزم ــ أحيانا ــ التقشف فى الحياة ، وما تستتبعه من ثياب حسنة وطعام جيد وماء بارد ورياش وثناء جميل وشهرة ذائعة · ولهم فى ذلك فلسفة خاصة ، يريدون بذلك اذلال النفس فتنقاد لهم ويأخذون بها الى طريق الكمال · ســـــئل « مطرف بن عبد الله بن الشخير » عن سر ارتدائه الصوف وجلوسه مع المساكين. فقال : ان أبى كان جبارا فأحب أن أتواضع لربى ــ عز وجل ــ لعل الله يخفف عن أبى تجبره(٢) ·

وكان « أويس القرنى » ذا طمرين لا يؤبه له ، يتزر بازار من صوف ورداء من صوف ، مجهولا فى الأرض معروفا فى السماء ، لو أقسم على الله لأبر قسمه(٣) ·

انه مما يزهد فى الدنيا فناؤها ، والموت يطلب كل مخلوق

---

(١) الحليــة حـ ١ ص ١٤٨ ·
(٢) الحليــة حـ ٢ ص ٢٠٠ ·
(٣) الحليــة حـ ٢ ص ٨١ ·

فيها ، وما بعد الموت حساب ، فعلام يستكثر الانسان مما يطيل مناقشته وحسابه ؟ يقول « مسعر بن كدام » :

ومشـــيد دارا ليســكن داره   سكن القبور وداره لم يسكن(١)

وفى القصة التى يقصها « مالك بن دينار » عبرة لمن أراد أن يعتبر ، فقد مر على رجل يغرس فسيلا ، فغبر عنه يسيرا ثم عاد ، فمر بالفسيل وقد اخضـر ، وسأل عن صـــاحبه فقيل له : مات ، فأنشد :

يـــربى فســـيلا ويعنى بـــه   فمات المؤمـــل قبـل الأمـــل
مؤمـــل دنيـــا لتبقى لـــــه   فعاش الفسيل ومات الرجل(٢)

و « مالك » هو الذى يقول : مررت على قبر فاذا مكتوب عليه :

يأيها الركب سيروا ان غايتكم
أن تصبحوا ذات يوم لاتسيرونا

حثوا المطايا وأرخوا من أزمتها
قبل الممات وتضوا ما تقضونا

كنا أناســا كما كنتم فغـــيرنا
دهر،فسوف كما كناتكونونا(٣)

وكان « الحسن البصرى » كثيرا ما يتمثل بقول القائل :

وما الدنيا بباقية لحى   ولا حى على الدنيا بباق(٤)

وان جمال الزهد وصـــدقه يكون ـ كما قال « عبد الله بن

---

(١) الحليـة حـ ٧ ص ٢٢١ .
(٢) الحليـة حـ ٢ ص ٣٨٤ .
(٣) الحليـة حـ ٢ ص ٣٨٥ .
(٤) الحليـة حـ ٢ ص ١٥٤ .

المبارك » ـ بالثقة فى الله تعالى ـ ومصداق ذلك ما يقوله « سفيان الثورى » :

ان كنت ترجـــو الله فاقنع به
فعنده الفضل الكثير البشـــير

من ذا الذى تلـــزمه فـــاقة
وذخـــره الله العلى الكبير(١)

وما أعظم لذة الزهد وأجمل راحته وأحسن عاقبته ! يصدق ذلك ما يقوله « ابن السماك » فى رثاء « داود الطائى » :

« يا داود ، ما أعجب شأنك ، أهنت نفسك تريد كرامتها ، أذللتها تريد اعزازها ، ووضعتها تريد تشريفها ، وأبقيتها تريد راحتها »(٢) ٠

وهل هناك أجمل من أن الزهد فى حقيقة أمره مبعثه الشوق الى الله ووســـيلة الى التعرف عليه ؟ يدل على ذلك ـ كما يقول الدكتور ابراهيم بسيونى (٣) ـ قول « مالك بن دينار » : « خرج أهل الدنيا منها دون أن يذوقوا أطيب شىء فيها ٠ سألوه : وما هو ؟ فقال : معرفة الله »(٤) ٠

٤ ـ ومن المقامات التى يحرص الصوفية على التحقق بها مقام : الرضا ٠ وهو كما يقول « القشيرى » فى رسالته(٥) : نهاية التوكل ، ومعناه ألا يعترض الانسان على الحكم والقضاء ٠

---

(١) الحليـــة حـ ٨ ص ٢٣٦ ٠
(٢) الحلية حـ ٧ ص ٣٣٨ ٠
(٣) نشأة التصوف ص ١٣٢ ٠
(٤) الحليـــة حـ ٤ ص ٣٥٢ ٠
(٥) الرسالة القشيرية ص ٩٧ ٠

وهناك صلة وثيقة بين الزهد والرضا ، فمن معانى الزهد الرضا بالقليل والقناعة بما قسم الله ، قال « مسعر بن كدام » فى هذا المعنى :

وجـــدت الجوع يطرده رغيف ... وملء الكف من ماء الفـــرات
وقل الطعم عون للمصــــلى ... وكثر الطعم عون للسـبات[1]

وقال « عبد الواحد بن زيد » : « من قوى على بطنه قوى على دينه »[2] ·

وليس هناك أصعب من سؤال الناس الذى يسود الوجه ويضيع الحياء ويذهب الكرامة ، وقد نهى ـ النبى صلى الله عليه وسلم ـ عنه الا لضرورة محدودة ، والقناعة هى الغنى وليس الغنى عن كثرة المال ولكن الغنى غنى النفس · قال « **بشر بن الحارث** » ـ **فيما يرويه « أبو نعيم »** :

أقســـم بالله لرضـــخ النوى ... وشــــرب ماء القـــلة المالحة
أعز للانســـان من حرصـــه ... ومن ســـؤال الأوجه الكالحة
فاســـــتغن باليأس تكن ذاغنى ... مغتبطا بالصـــفقة الرابحـــة
اليأس عـــز والتقى ســـؤدد ... ورغبة النفس لها فاضـــــدة
من كانت الدنيـــــا به بـرة ... فانهـــا يوما لـه ذابحـــة[3]

٥ ـ التوكل ، وحقيقته ـ كما يقول « القشيرى »[4] ـ · الاعتصام بالله تعالى ، ويبدو التوكل فى موقف الصـــحابى الجليل خبيب بن عدى » الذى لم يجزع من الموت حـــين عرض عليه فى

---

(١) الحليـة حـ ٧ ص ٢١٩ والسبات المنوم ·
(٢) الحليـة حـ ٨ ص ١٠ ·
(٣) الحليـة ص ٨ ص ٣٤٦ ·
(٤) الرسالة القشيرية ص ٨٣ .

مكة وقد أحاط به المشركون ، وقال ـ فيما يرويه « الاستيعاب ، وأسد الغابة » .

لقد جمع الأحـــزاب حـــولى وألبوا
قبائلهم واســـتجمعوا كل مجمـــع
وقد خـــيرونى الـــكفر والموت دونه
وقد ذرفت عينـــاى من غير مجـــزع
فلســـت أبالى حين أقتل مســـلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى .

ويبدو التوكل فى مجانبة الخلق وترك السؤال والاعتماد التام على الله ، « وابراهيم بن أدهم » **يقول** :

مدحى لغـــيرك لهب نار خضـــتها
فأجر عبيدك من دخـــول النـــار(١)

و « سفيان الثورى » **يقول** :
ابل الرجـــال اذا أردت اخـــاءهم
وتوســـمن أمـــورهم وتفقـــد
ودع التخشـــع والتـــذلل تبتغى
قـــرب امـــرىء ان تدن منه تبعد(٢)

ان التظاهر بالتخشع والتذلل ابتغاء عطف الناس يتنافى تماما مع قوة التوكل على الله فى نظر « سفيان » .

وسؤال الناس أيضا ينافى « التوكل » على الله كما يقول « ابن السماك » : الأصل فى السؤال أن يكون لمن أمرك أن تسأله لا لمن يعر منك اذا سألته(٣) .

---

(١) الحليـــة حـ ٨ ص ٣٨ .
(٢) الحليـــة حـ ٦ ص ٣٧٦ .
(٣) الحليـــة حـ ٨ ص ٢١٠ .

والسؤال الذى لا ينافى التوكل عند الصوفية هو الذى أشار اليه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : ان المسألة لا تحل الا لذى فقر مدقع أو دم مفجع أو دين مفزع ·

وأشار الشيخ « حسن رضــــوان » فى كتاب « روض القلوب المستطاب » الى موضوع السؤال قائلا :

وان دعت ضــــرورة الى الســــؤال
ففيه تفصـــيل لدى أهــل الــكمال
ان كان فى حال يرى فيها الضـــياع
فقــــد أباحـــوه بقـدر الانتفـــاع
وتـــركه التلبيس فى مقـــــــاله
بالصـــــدق فى اخبـــاره عن حاله
وأن يــكون تـــارك التحيـــــل
بأى حيـــــلة مـــع التــــذلل
وتركه الســـؤال فى شـــك وجب
بل تركه رأســـــا هو الأمر الأحب
فأطيب الحــــلال ماله اكتســـب
ذو حـــرفة وليس فيهـــا مجتنب
قد حضـــنا « طه » على ترك السؤال
لعـــلمه بأنه فيه الـــكمال ···

والاجمال فى الطلب عند الضرورة الملحة الى السؤال هو الذى يفهم من كلام « سالم بن ميمون » الذى أورده « أبو نعيم » ·

يا صاحب الرزق تفكر فى العجب فى سبب الرزق وللرزق سبب
كلما تسأل فأجمل فى الطلب[1]

---

(١) الحليـة حـ ٨ ص ٢٧٨ ·

وربما قسا الصوفية على نفوسهم فرفضوا التداوى اتكالا ·
وفى ذلك يقول « مالك بن دينار » فى مرضه : « دعونى من طبكم ،
والله انك تعلم أنى لا أريد البقاء فى الدنيا لبطنى ولا لفرجى »(١) ·

وقد يكون قد نظر الى « أبى بكر الصديق » رضى الله عنه فى
مرض موته حين قيل له : هل دعوت الطبيب ؟ فقال : قد رآنى ·
فقيل : فماذا قال لك ؟ قال : قال لى : انى فعال لما أريد ·

ان التوكل يحتاج الى يقين قوى بالله واعتماد تام عليه ،
فلا ينبغى للمتوكل أن يجزع من قضاء أو يشكو من بلاء ، والمتوكل
الحق لا يقصد غير الله بالسؤال ، بل ربما اعتبر السؤال فى حال
الابتلاء من علامات ضعف اليقين · قال « أبو نعيم » : حدث
« أبو الحسين على بن محمد » أن رجلا كان يسلك البادية على
التوكل ، وكان معودا أن يأتيه رزقه فى كل ثلاثة أيام ، فأبطأ عنه
رزقه فى اليوم الرابع والخامس ، فأحس ضعفا من نفسه ، فقال :
يارب اما قوة واما رزق ، فاذا بهاتف يهتف :

ويزعم أننا منه قريب
وأنا لا نضيع من أتانا

ويسألنا القوى ضعفا وعجزا
كأنا لا نراه ولا يرانا(٢)

وهذه حال خاصة وعزيمة قوية لا يقدر عليها الا أهلها ، ومع
ذلك فلم يسلموا من ألسنة الناس وظلم الناقدين ·

٦ ـ ويمكن ادراك أحوال الصحبة والخلوة والذكر من خلال
الأخبار التى أوردها « أبو نعيم » فيما يأتى :

---

(١) الحلية حـ ٢ ص ٣٦١ ·
(٢) الحلية حـ ٨ ص ٣٣٦ ·

ـ كان « صلة بن أشيم » من التابعين ، وكان يخرج الى الجبانة فيتعبد بها حتى مات ، **وكان فى حياته يصيح بعد دفن كل ميت :**

فان تنج منها تنج من ذى عظيمة والا فانى لا أخالك ناجيا(١)

ـ كان « عروة بن الزبير » يجفو مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويقول : انى رأيت مساجدهم لاهية وأسواقهم لاغية والفاحشة فى فجاجهم عالية فكان فيما هنالك خير عما هم فيه من عافية(٢) .

ـ و « عبيد بن عمير » التابعى ـ وكان يعظ الناس ويذكرهم ـ فسر الأوابين فى قوله تعالى « انه كان للأوابين غفورا » ـ الاسراء ٢٥ ـ بأنهم الذين يتذكرون ذنوبهم فى الخلاء ثم يستغفرون منها(٣) .

ـ و « ابراهيم بن أدهم » يقول :

فخذ الله صاحبا وذر الخلق جانبا(٤)

ـ و « بشر بن الحارث » يأسى لفقد من كان يأنس بهم من خيرة الصحاب فيقول :

ذهب الرجال المرتجى لفعالهم
والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت فى خلف يزين بعضهم
بعضا ليدفع معور عن معور(٥)

كل هذه مبررات للعزلة عن الناس والنفور منهم .

---

(١) الحلية حـ ٢ ص ٢٤١ .
(٢) الحلية حـ ٢ ص ٢٨٠ .
(٣) الحلية حـ ٣ ص ٢٦٦ .
(٤) الحلية حـ ٨ ص ١١ .
(٥) الحلية حـ ٨ ص ٢٣٤ ويقصد بالمعور : المعيب .

اما الصحبة الحقيقية فانها تكون لمثل من وصفه « عبد الله بن محمد بن عبيد » بقوله :

من كان ملتمســـا جليسا صالحا
فليأت حلقة « مســـعر بن كدام »
فيها الســـكينة والوقار ، وأهلهـــا
أهـــل العفـــاف وعلية الأقـــوام(١)

ومن أمثال من وصفه « عبد الله بن المبارك » بقوله :

أيهـــا الطـــالب علمـــا ايت « حمـــــاد بن زيد »
فاطلب العـــلم بحـــلم ثم قيـــده بقيـــد
لا كثـــور وكجـــهم وكعمـــرو بن عبيـــد(٢)

انهم يطلبون صـــحبة من يدلهم على الله ، ويبتعد بهم عن المجادلات الكلامية والمماحكات اللفظية والخلافات الفقهية والمغالاة من شأن العقل كما كان يفعل المعتزلة · انهم لا يريدون تضييع الوقت فيما لا يطالبون بتحصيله ولا يحاسبون على تركه ·

ومن بعدهم جاء من وضع للصحبة آدابا نجدها ظاهرة فى قول « الشاذلى » : أوصانى حبيبى : لا تنقل قدميك الا حيث ترجو ثواب الله ، ولا تصطف لنفسك الا من تزداد به يقينا بالله · وفى قول « ابن عطاء الله السكندرى » فى حكمه : « لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله ·

– والذكر منشور الولاية ، وهو ركن قوى فى طريق الحق ، بل هو العمدة فى هذه الطريق كما يقول « القشيرى » فى رسالته · والخلوة تعين على الذكر ، لأنه لا أنيس للعبد فى خلوته الا ذكر ربه ،

---

(١) الحليــة جـ ٧ ص ٢١٩ ·
(٢) الحليــة جـ ٦ ص ٢٥٨ ·

ومايزال العبد يذكر ربه بلسانه حتى ينتقل الى مرحلة أعظم هى مرحلة الذكر بالقلب ، حينذاك يصبح الله فى وجدان العبد ، ويصبح ذكر الله شغله الشاغل ٠

وقد عبر عن هذه المعانى « أبو عبيدة الخواص » بقوله :

كم قد زللت فـلم أذكـرك فى زللى
وأنت ياسـيدى فى الغيب تذكرنى

كم أكشف الستر جهلا عند معصيتى
وأنت تلطف بى حقا وتسـترنى[1]

٧ ـ وفى مجال المحاسبة ، يمكن الاستئناس بقول « الأسود بن كلثوم » : اللهم ان نفسى هذه تزعم فى الرخاء أنها تحب لقاءك ، فان كانت صادقة فارزقها ذلك ، وان كانت كاذبة فاحملها عليه ، وان كرهت فاطعم لحمى سباعا وطيرا[2] ٠

وقال « الحسن البصرى » : لايزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت المحاسبة من همه ٠٠ حادثوا هذه النفوس فانها طلعة ، وانكم ان أطعتموها تنزع بكم الى شر غاية[3] ٠

٨ ـ أما المذاقات فشأنها فى الطريق الصوفى عظيم ، ويمكن استخلاص بعضها من تراجم الحلية ٠

ـ فالحب ، وهو كما يقول « القشيرى »[4] : حال يجدها المحب من قلبه تلطف عن العبارة ، وقد تحمله تلك الحالة على التعظيم له وايثار رضاه وقلة الصبر عنه ، ووجود الاستئناس به

---

(١) الحليـة حـ ٥ ص ٢٦٨ ٠
(٢) الحليـة حـ ٢ ص ٢٥٤ ٠
(٣) الحليـة حـ ٢ ص ١٥٤ ٠
(٤) الرسالة ص ١٥٨ ٠

بدوام ذكره له بقلبه ، وليست محبة العبد له ــ سبحانه ــ متضمنة ميلا ولا اختلاطا ، وعلامة الحب التسابق فى طاعته والشوق الى لقائه والاستهانة بالموت فى سبيله ٠

يدل على ذلك قول : خليد بن عبد الله البصرى » : يا اخوتاه هل منكم من أحد الا يحب أن يلقى حبيبه ، ألا فأحبوا ربكم وسيروا اليه سيرا جميلا(١) ٠

وحب الله هو الذى أورثهم الزهد والجاهم الى الخلوة ، فهذا « مالك بن دينار » يقول : خرج أهل الدنيا منها دون أن يذوقوا أطيب شىء فيها وهو معرفة الله ٠ ويستبعد أن يعذبه الله وحبه يملأ قلبه ، فيقول : لا أراك معذبى وأنت قرة عينى ياحبيب قلباه(٢) ٠

و « داود الطائى » يراه أحد محبيه فى المنام ينشد ٠

ماذنال عبد من الرحمن منزلة أغلى من الشوق ان الشوق محمود(٣)

وربما كان « ذو النون » جريئا فى تعبيره عن حب الله فى صراحة اذ يقول :

حبك قد أرقنى وزاد قلبى سقما
كتمته فى القلب والأحشاء حتى انكتما
لا تهتك الستر الذى ألبستنى تكرما
ضيعت نفسى سيدى فردها مسلما(٤)

وحب الله أزلى وهو سابق لحب العبد له ٠ يشهد لذلك قوله تعالى « يحبهم ويحبونه » ــ المائدة ٥٤ ــ و « رضى الله عنهم

---

(١) الحلية حـ ٢ ص ٢٣٢ ٠
(٢) الحلية حـ ٦ ص ٢١٢ ٠
(٣) الحلية حـ ٧ ص ٢٦٠ ٠
(٤) الحلية حـ ٩ ص ٢٨٣ ٠

ورضـــــوا عنه » ـ البينة ٨ وقد عبر عن ذلك المعنى « **أبو يزيد البسطامى » فيما يستشهد به** « أبو نعيم » **فى قوله :**

غرســت الحب غرســا فى فؤادى
فــلا أســلو الى يوم التنـــادى
جــرحت القلب منى باتصـــال
فشــــوقى زائد والحب بادى(١)

وقد يغيب المحب من فرط حبه وتولهه عن نفسه ، فيعبر الصوفية عن حالة الغيبة هذه بالسكر ، و « الكلاباذى » فى كتابه « التعرف على مذهب أهل التصوف » يعرف السكر بمعنى أن يغيب الانسان عن تمييز الأشياء ولا يغيب عن الأشياء ، وهو ألا يميز بين موافقه وملاذه وبين أضدادها فى مرافقة الحق ، فان غلبات وجود الحق تسقطه عن التمييز بين ما يؤلمه ويلذه(٢) ٠

والخمرة المسكرة هنا هى الحب أو المعرفة ، ولذلك يختلف أثرها عن الخمر الحسية **يقول « الشبلى » فى ذلك :**

الغيب رطب ينـــــادى يا غــافلون الصــــبوح
فقلت أهـــلا وســـهلا مادام فى الجســـم روح(٣)

هذه أمثلة مما هو مبثوث فى الحلية من المعارف الصوفية ، وغيرها كثير ، ويمكن استنباط كافة المصـــطلحات والمعانى منها ، ولكن « أبا نعيم » لم يكن يعنيه ذلك بقدر ما يعنيه عرض سير أعلامه عرضا يوضح خصائصهم الصوفية ، ولذلك لم يهتم بسنة المولد أو الوفاة ، بل كان يهتم ببيان الأخلاق والعبادات والأحاديث التى رواها عنهم العبارات التى تشهد لهم بالذوق الصوفى ٠

---

(١) الحليـــة حـ ١٠ ص ٧٩ ٠
(٢) التعرف ص ١١٦ ٠
(٣) الحليـــة حـ ١٠ ص ٣٦٩ ٠

ويذكر الامام الأكبر الدكتور « عبد الحليم محمود » فى كتابه « الليث بن سعد » تعليقا على حديث الشيخ « مصطفى عبد الرازق » عن « الليث » فيقول : ان الشيخ « مصطفى عبد الرازق » يتناسق فى رأيه عن « الليث » مع صاحب « حلية الأولياء » الذى عد « الليث » من الصوفية وأرخ له فى كتابه قائلا : كان بعلم الأحكام مليا وببذل الأموال سخيا ، وقيل : ان التصوف السخاء والوفاء . ان صاحب الحلية يعده من الصوفية ويأخذ من حياته وسلوكه وعلمه تعريفا للتصوف كعادته ، فى كل من تحدث عنهم فى الحلية ، انه يلخص حياتهم فى كلمات هى طابعهم العام ، وهى تعـــريف من تعريفات التصوف[1] .

من قصـــــص الصـــــوفية :

لقد اعتنى « أبو نعيم » بعرض الجوانب التى توضح الخصائص الصوفية للمترجم لهم ــ كما قلنا ــ وذكر من ذلك قصصا طريفة تبعث العبرة فى النفوس ، وتثير العظة فى القلوب . نسوق أمثلة منها لعلها تكون ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

١ ــ فى ترجمة « عبد الواحد بن زيد »

صلى « عبد الواحد بن زيد الغداة بوضـــوء العتمة أربعين سنة . قال : نمت ليلة عن وردى ، فاذا أنا بجارية .. الى آخـــر القصة التى وردت قبل ذلك .

٢ ــ فى ترجمة « مالك بن دينار »

ذكر جملة صالحة من كلامه المشرق وعظاته البليغة التى ذاعت عنه . منها :

---

(١) الليث بن سعد ، ص ١٠٢ ــ سلسلة الأعلام .

ـ ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله تعالى ·

ـ يا حملة القرآن ماذا زرع القرآن فى قلوبكم ؟ فان القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض · ان الصديقين اذا قرىء عليهم القرآن طربت قلوبهم الى الآخرة ·

ـ مثل قراء هذا الزمان كمثل رجل نصب فخا ونصب فيه برة ، فجاء عصفور فقال للفخ : ما غيبك فى التراب ؟ قال : التواضع · قال : لأى شىء انحنيت ؟ قال : من طول العبادة · قال : فما هذه البرة المنصوبة فيك ؟ قال : أعددتها للصائمين ·

فقال : نعم الجار أنت ، فلما كان عند المغرب دنا العصفور ليأخذ البرة فخنقه الفخ ، فقال له العصفور : ان كان العباد يخنقون خنقك فما خير فى العباد اليوم ·

ـ مر والى البصرة بمالك بن دينار يرفل ، فصاح به « مالك » اقل من مشيتك هذه ، فهم خدمه به ، فقال : دعوه ، ما أراك تعرفنى؟ فقال له مالك : ومن أعرف بك منى ؟ أما أولك فنطفة مذرة ، وأما آخرك فجيفة قذرة ، ثم أنت بين ذلك تحمل العذرة · فنكس الوالى رأسه ومشى ·

٣ ـ فى ترجمة « أيوب بن أبى تميمة السختياتى »

ذكر شيئا من كراماته فقال : قال « عبد الواحد بن زيد » : كنت مع « أيوب » على حراء فعطشت ، فقال : تستر على ؟ قلت : نعم ، فاستحلفنى فحلفت له ألا أخبر عنه مادام حيا · قال : فغمز برجله على حراء فنبع الماء فشربت وحملت ·

٤ ـ وذكر من كرامات « حبيب الفارسى » ما يأتى :

أتاه رجل فقال : ان لى عليك ثلثمائة درهم ، قال : من أين ؟ قال : لى عليك · قال : اذهب الى غد ، فلما كان الليل توضأ وصلى ،

وقال : اللهم ان كان صادقا فاد اليه وان كان كاذبا فابتله فى بدنه . فجىء بالرجل من غد قد حمل وقد ضرب شقه الفالج . فقال : أنا الذى جئتك بالأمس لم يكن لى عليك شىء ، وانما قلت : يستحى من الناس فيعطينى . قال : أتعود ؟ قال : لا . قال : اللهم ان كان صادقا فألبسه العافية . فقام الرجل كأن لم يكن به شىء .

قال « أبو نعيم » : كان حبيب مجاب الدعوة . حضر مجلس « الحسن » فتأثر بموعظته فخرج عما يملك .

٥ ـ ومن فضليات النساء « رابعة العدوية »

قالت خادمتها : كانت رابعة تصلى الليل كله فاذا طلع الفجر هجعت فى مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر . وكنت أسمعها تقول اذا وثبت من مرقدها وهى فزعة : يا نفس كم تنامين ، يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها الا لصرخة يوم النشور .

٦ ـ ومنهن « عائشة بنت أبى عثمان »

كانت مجابة الدعوة ، قالت ابنتها : قالت أمى : لا تفرحى بفان ولا تجزعى من ذاهب ، وافرحى بالله واجزعى من سقوطك من عين الله ، الزمى الأدب ظاهرا وباطنا ، فما أساء أحد الأدب فى الظاهر الا عوقب ظاهرا ، وما أساء أحد الأدب فى الباطن الا عوقب باطنا .

وقالت : من استوحش من وحدته فذلك لقلة أنســـــه بربه ، من تهاون بالعبيد فهو لقلة معرفته بالسيد ، فمن أحب الصانع أحب صنعته .

نقد « ابن الجوزى » للحلية :

وقد نقد العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ فى مقدمة كتابه « صفة الصفوة » الذى لخص فيه « حلية

الأولياء » « أبا نعيم » فى كتابه ، وقال فى نقده : فانك أيها الطالب الصادق والمريد المحقق ، لما نظرت فى كتاب « حلية الأولياء » أعجبك ذكر الصالحين والأخيار ورأيته دواء لأدواء النفس ، الا أنك شكوت من اطالته بالأحاديث المسندة التى لا تليق به ، وبكلام عن بعض المذكورين قليل الفائدة ، وسألتنى أن أختصره لك وأنتقى محاسنه فقد أعجبنى منك أنك أصبت فى نظرك ، الا أنه لم يكشف لك كل الأمر ، وأنا أكشفه لك فأقول : أعلم أن كتاب الحلية قد حوى من الأحاديث والحكايات جملة حسنة ، الا أنه تكدر بأشياء وفاتته أشياء ·

فالأشياء التى تكدر بها عشرة : ــ أوجزها فيما يلى ــ

١ ــ أن الكتاب وضع لذكر أخبار الأخيار ، وانما يراد من ذكرهم شرح أحوالهم وأخلاقهم ليقتدى بها السالك ، فقد ذكر فيه أسماء جماعة ثم لم ينقل عنهم شيئا ، وانما ذكر عنهم ما يروونه عن غيرهم ·

٢ ــ أنه قصد ما ينقل عن الرجل المذكور ولم ينظر هل يليق بالكتاب أم لا ، مثل ما ملأ ترجمة « مجاهد » بقطعة من تفسيره ، وترجمة « عكرمة » بقطعة من تفسيره ·

٣ ــ أنه أعاد أخبارا كثيرة مثل ما ذكر فى ترجمة « الحسن البصرى » من كلامه ثم أعاده فى تراجم أصحابه ·

٤ ــ أنه أطال بذكر الأحاديث المرفوعة التى يرويها الشخص الواحد فينسى ما وضع له ذكر الرجل من بيان آرائه ·

٥ ــ ذكر أحاديث باطلة وموضوعة فقصد بذكرها تكثير حديثه وتنفيق رواياته ولم يبين أنها موضوعة ·

٦ ــ السجع البارد فى التراجم الذى لا يكاد يحتوى على معنى صحيح ، خصوصا فى ذكر حدود التصوف ·

٧ ـ اضافة التصوف الى كبار الســادات كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن وشريح وسفيان وشعبة ومالك والشــافعى وأحمد ، وليس عند هؤلاء القوم خبر من التصوف ٠ فان قال قائل : انما عنى به الزهد ، قلنا : التصوف مذهب معروف عند أصحابه ، لا يقتصر على الزهد بل له صفات وأخلاق يعرفها أربابه ، ولولا أنه أمر زيد على الزهد ما نقل عن بعض هؤلاء المذكورين من ذمه ، فقد روى « أبو نعيم » فى ترجمة « الشافعى » أنه قال : التصوف مبنى على الكسل ولو تصوف رجل أول النهار لم يأت الظهر الا وهو أحمق ٠

٨ ـ أنه حكى فى كتابه عن بعض المذكورين كلاما لا طائل تحته

٩ ـ أنه ذكر أشياء عن الصوفية لا يجوز فعلها ، فربما سمعها المبتدىء القليل العلم فظنها حسنة فاحتذاها ٠

١٠ ـ أنه خلط فى ترتيب القوم فقدم من ينبغى أن يؤخر وأخر من ينبغى أن يقدم ٠

وأما ما فاته فثلاثة أشياء ٠

١ ـ لم يذكر سيد الزهاد سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ

٢ ـ ترك ذكر خلق كثير نقل عنهم التعبد ٠

٣ ـ لم يذكر من عوابد النساء الا عددا قليلا ٠

قال « ابن الجوزى » : وقد حدانى جدك أيها المريد أن أجمع كتابا يغنيك عنه ويحصل لك المقصود منه ، ويزيد بذكر جماعة لم يذكرهم ، وأخبار لم ينقلها ، وجماعة ولدوا بعد وفاته ، وينقص عنه بترك جماعة قد ذكرهم لم ينقل عنهم كبير شىء ، وحكايات قد ذكرها لا ينبغى التشاغل بها وبعضها لا يليق بالكتاب ٠

ولا تعليق لنا على هذا النقد أولا الا بالاســـــتشهاد بكلمة « العماد الأصفهانى » : انى رايت انه لا يكتب انسان كتابا فى يومه الا قال فى غده : لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر ٠

ثم ان « ابن الجوزى » حين اختصر الحلية لم يسلم من النقد فقد أوجز ـ كما يقول « حاجى خليفة» ـ فى الاختصار بحيث لم يبق منه الا رسومه مما اضطر « محمد بن الحسن الحسينى » الى اعادة اختصاره فاختصره اختصارا حسنا وسلك فى ذلك مسلكا وسطا ٠ وهكذا نرى أن الناقد قد انتقد ٠

ولو أن « ابن الجوزى » ـ رحمه الله ـ عد ما ذكره من العيوبَ المسقطة لصاحبها ما كلف نفســـه عناء تلخيصـــه وتقديمه للقراء لينتفعوا به ، أما وأنه قدجعله مصدرا لتأليف كتابه فقـد اعترف بأهميته ومكانته ٠ وما من مؤلف الا وقد استدرك من جاء بعده عليه أمورا والكمال لا يكون الا لله وحده والعصمة خص الله بها الأنبياء٠

وباب الدفاع عن « أبى نعيم » فى النقاط التى عددها « ابن الجوزى » مفتوح ، وهذه الثغرات يمكن ســـدها من كلام العلماء الذين نظروا فى « الحلية » نظرات فاحصة ، والمؤلفاتالواسعة قلما تخلو من تكرار فى بعضها ، لغلبة السهو على مؤلفها بطول العهد بين الخبرين ، أو لأن التكرار استـــدعاه تغير موقف معين ، فقد يستشهد المؤلف بكلام ثم يعود فيستشهد بالكلام نفسه فى موقف آخر لمناسبة تستدعى ذلك ٠

أما الأحاديث الضعيفة فقد ذكر بعض العلماء أنه يعمل بهـا فى فضائل الأعمال ، وقد يصح حديث عند عالم ولا يصح عند عالم آخر ، ولا نعتقد أن « أبا نعيم » ممن يتباهون بعلمهم ٠

والسجع الذى وصفه « ابن الجوزى » بأنه بارد كان سمة العصر كله ، فقد أغرم الأدباء بالبديع ، وقلما نجد كتابا ألف فى هذه الفترة خلا من السجع وغيره من ألوان البديع · والحكم على المحسنات البديعية والألوان البلاغية يختلف من ذوق لآخر ، فما يحكم عليه « ابن الجوزى » بأنه سجع بارد قد لا يوافقه غيره عليه ، لاسيما اذا كان هذا السجع غير متكلف ، وجاء مفيدا لمعنى ·

ونسب التصوف الى الأئمة السابقين والخلفاء الراشدين ، فالمعروف أن التصوف كسلوك كان مع الاسلام بل هو روح الاسلام ، وهو مقام الاحسان · وقد أراد « أبو نعيم » أن يبين أن مذهب التصوف له سند من سلوك السادة المتقدمين وأخلاق السلف الصالح ــ رضى الله عنهم ــ ، فهو ليس دخيلا على الاسلام أو وافدا الى الأمة نتيجة الاختلاط الناجم عن كثرة الفتوح كما أشار الى ذلك بعض المستشرقين فى كتاباتهم عن التصوف ، وتابعهم فى ذلك من تأثر بهم ·

وأما ما نسبه « أبو نعيم » الى بعض الصوفية من تصرفات يفهم منها المبالغة كما حدث من « أبى حمزة الخراسانى » الذى وقع فى بئر فطمت عليه ولم يستغث لأن عقده التوكل ــ فتلك أحوال نادرة لا يقاس عليها ولا ينبغى أن تتخذ سلوكا عاما يلزم بها المريد ، وقد رد « أبو نعيم » نفسه على ذلك ، وانما ذكر القصة كواقعة حال تدل على قوة اعتقاد صاحبها فيما ألزم نفسه ، وكان الله عند حسن ظنه فقد نجاه من التلف بالتلف · وقد علق الدكتور « ابراهيم بسيونى » على هذه القصة بقوله : انه زج بالارادة فى امتحان تجريبى كما يدخل المعدن النار للكشف عن أصالته ومدى نقاوته ·· لابد أن يكون الاستسلام تاما مطلقا لا شائبة فيه مهما عظم الخطر ، فان الارادة تدخل تجربة الخطر لتوضع على المحك ، ولو تغاضينا عن الناحية الأسطورية فى القصة وأخذناها كلون من التعبير الرمزى

شفت لنا عن نواح لها بأسها ، لا فى التوكل وحده بل فى الحب أيضا ، ان حب الله قد يسبب للعبد متاعب لأنه حب كبير ، ولكن هذه المتاعب فيها النجاة والانتعاش والبعث ..(1) .

وأما الاخلال بالترتيب فتلك صناعة التأليف فى عصره ، ولم يكن تنظيم الكتب على حسب ما هو معروف قد عرف بعد ، وأمامنا كتاب الكامل للمبرد مثلا نجده قد جرى فيه مؤلفه « المبرد » على غير ما هو معروف فى تبويب الكتب .

وأما استدراكاته على الكتاب فجزاه الله خيرا عنها ، فقد اتم بها الفائدة وسد الخلل .

وقد رد « أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعى اليمنى » المتوفى سنة ٧٦٨ هـ على « ابن الجوزى » ودافع عن « أبى نعيم » قائلا فى كتابه « مرآة الجنان » جـ ٣ ص ٥٢ : كان « أبو نعيم » من أعلام المحدثين وأكابر الحفاظ المفيدين ، أخذوا عنه وانتفعوا به ، وكتابه « الحلية » من أحسن الكتب ، وأما طعن « ابن الجوزى » فيه وتنقصه له فهو من باب قولى :

لئن ذمهـــا جـــاراتها وضـــرائر
وعين جمالا فى حـــلاها وفى الحـــلى

فما ســـلمت حســناء من ذم حاسد
وصـــاحب حق من عـــداوة مبطل

---

(1) نشأة التصوف ص ١٥٤ .

التـــاريخ

لأبى نعيم مؤلفات فى التاريخ تدل على سعة عقل ورجاحة فكر واحاطة فهم . وقد أشار « ابن خلدون » فى مقدمته المشهورة التى قدم بها لكتابه التاريخ الكبير : «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر» الى أهمية التاريخ ومنزلته بين العلوم واعتناء الأمم به خاصتها وعامتها ، ومما قاله فى ذلك : فن التاريخ من الفنون التى تتداوله الأمم والأجيال ، وتشد اليه الركائب والرحال ، وتسمو الى معرفته السوقة والأغفال وتتنافس فيه الملوك والأقيال ، وتتساوى فى فهمه العلماء والجهال ، اذ هو فى ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول ، وفى باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، فهو لذلك أصيل فى الحكمة عريق ، وجدير بأن يعد فى علومها وخليق ، .. وان فحول المؤرخين فى الاســـلام قد استوعبوا أخبار الأمم وجمعوها وسطروها فى صفحات الدفاتر وأودعوها .. »

واختلف المؤرخون فى اتجاهاتهم ، فمنهم من اعتنى بالتراجم كما فعل « الواقدى » فى طبقاته و « ابن عبد البر » فى الاستيعاب

و « ابن الأثير » فى أسد الغابة وغيرهم · ومنهم من أعتنى بالأحداث والأخبار ، كما فعل « المسعودى » فى مروج الذهب ، ومنهم من جمع بين هذا وذاك كما فعل « ابن العماد » فى شذرات الذهب ، « وابن كثير » فى البداية والنهاية ، ومنهم من اعتنى بترجمة طائفة خاصة كما نرى فى طبقات الحفاظ أو المفسرين أو القراء أو المحدثين أو الشافعية أو الحنابلة وغير ذلك ·

و « أبو نعيم » المؤرخ له اتجاهان ، فقد اعتنى بالتراجم فى كتابه حلية الأولياء وقد تحدثنا عنه فيما سبق ، ونضيف هنا أن الكتاب من الوجهة التاريخية يمثل وجهة نظر صاحبه المعنية بالتصوف والحديث ، ولكنه مع ذلك يتتبع سير التصوف منذ نشأته فى سلوك الصحابة رضوان الله عليهم ومن جاء بعدهم حتى عصره · مع عناية بابراز الخصائص التى رآها ممثلة للاتجاه الصوفى فى كل من ترجم لهم ·

وهذه نظرة نقدية فاحصة · وقد شغل هذا الكتاب ذهن العلماء والناشرين فطبع عدة مرات واختصره بعض العلماء ، كما سبق أن قدمنا ·

فقد اختصره « ابن الجوزى » فى صفة الصفوة فى خمسة مجلدات ، واختصره « الحسينى الواسطى » فى مجمع الأحباب وتذكرة أولى الألباب ·

وانتخب « على الخراط » المتوفى سنة ٧٩٣ من صفة الصفوة كتابا اسمه : النديم والخلوة والمن والسلوى والقهوة المنتخب من صفوة الصفوة ·

وعلى أساس حلية الأولياء ألف « محمد بن جابر سنة ٧٩٣ هـ كتابا اسمه : نظم رجال حلية الأولياء ·

وألف « أبو الحسن على بن أبى بكر الهيثمى الشافعى المتوفى سنة ٨٠٧ هـ كتابا اسمه : تقريب البغية فى ترتيب أحاديث الحلية ٠

وهكذا نجد أن هذا الكتاب قد شغل الأذهان وفتح الطريق الى عدة مؤلفات ٠

وأشارت المصادر المختلفة الى أن لأبى نعيم مؤلفات تاريخية أخرى مثل كتاب معرفة الصحابة وكتاب منتخب من كتاب الشعراء وكتاب فضائل الخلفاء وكتاب دلائل النبوة ، وغيرها ٠

والاتجاه الثانى الذى يعنى بالأحداث والتراجم يمثله الكتاب الذى يتحدث عن تاريخ اصبهان ٠ واسمه الرسمى : أخبار أصبهان ٠

ولم ينفرد « أبو نعيم » بالتأريخ لموطنه ، ولكن هناك من أرخوا لأصبهان غيره ، قبله وبعده ٠

وقد أشار صاحب « كشف الظنون » الى ذلك فقد ذكر ممن كتب فى تاريخ أصبهان غير « أبى نعيم » « أبا زكريا يحيى بن عبد الله المعروف بابن منده الأصفهانى » المتوفى سنة ٤٤٥ هـ ، و « حمزة بن حسين الأصفهانى » و « اين مردويه » «والامام عمر بن سهلان الساوحى » ٠

وصحح كتاب « معجم المؤلفين » اسم « ابن منده » وتاريخ وفاته فقال : « ابن منده الحافظ أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن أبى عبد الله محمد بن اسحاق الاصبهانى » ولد سنة ٤٣٤ هـ وتوفى سنة ٥١١ هـ ألف كتاب تاريخ أصبهان وغيره ٠

ولابن منده المعاصر لأبى نعيم والمتوفى سنة ٣٩٥ هـ كتاب أيضا فى « تاريخ اصبهان » ذكره صاحب كتاب « هدية العارفين » حـ ٢ ص ٥٧ ٠

وليس هذا غريبا فقد جرت عادة العلماء أن يؤرخوا لأوطانهم

اعتزازا بها وشعروا منهم بالانتماء اليها ، وهذه سجية حميدة درج عليها كثير منهم ، ورأينا صورة منها فى علماء مصر من أمثال « السيوطى » فى كتابه : حسن المحاضرة ، و « القلقشندى » فى صبح الأعشى ، و « ابن اياس » فى بدائع الزهور ، و « المقريزى » فى الخطط والآثار و « على مبارك » فى الخطط التوفيقية ٠٠ وغيرهم ٠

ونعود الى « أبى نعيم » فى كتابه « أخبار أصفهان » لنتصفح جزأيه الموجودين بدار الكتب المصرية فى محاولة للتعرف عليه ٠٠

بدأ الكاتب حديثه ـ بعد ذكر سبب تأليفه لكتابه ـ ببعض الآثار الموثقة التى تتحدث عن فضل الفرس والعجم والموالى وأنهم المبشرون بمنال الايمان والتحقق به ٠ **ومن ذلك** :

حدثنا « جعفر بن محمد بن عمـــرو الأحمسى بالكوفة ، ثنا « أبو حصين الوادعى محمد بن الحسين بن حبيب القاضى » ثنا « يحيى بن عبد الحميد الحمانى » ح وحدثنا « ابراهيم بن عبد الله ابن اسحاق المعدل الاصبهانى » بنيسابور ، ثنا « محمد بن اسحاق الثقفى السراج » ، ثنا « قتيبة بن سعيد » ٠ ح وحدثنا « عبد الله بن محمد بن جعفر » ، ثنا « عبد الله بن محمد بن زكرياء » ، ثنا « محرز ابن سلمة العدنى » قالوا : ثنا « عبد العزيز بن محمد الدراونى » عن « ثور بن زيد الديلمى » عن « أبى الغيث » عن « أبى هريرة » قال : كنا عند النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذ نزلت عليه سورة « الجمعة » ، فلما قرأ : وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ٠٠ قيل : من هؤلاء يا رسول الله ؟ فلم يراجعه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرتين أو ثلاثا ٠ قال : وفينا « سلمان الفارسى » قال : فوضع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يده على « سلمان » ثم قال : لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء ٠ وقال : أبو حصين » : لناله هذا وأصحابه ـ « أبو الغيث » : سالم بن مطيع » ٠ والحديث صحيح متفق عليه ٠

وأخرج الحديث من طرق أخرى وبروايات متعددة ، وبمناسبات مختلفة يشيد بعضها بعضا ٠

وروى مثل هذا الحديث عن « سلمان » نفسه زاد فيه تعليلا هو : لرقة قلوبهم ، وفى رواية : يتبعون سنتى ويكثرون الصلاة على ، ياسلمان ، أحب المجاهدين وأحب المرابطين وأحب الغزاة ٠٠

وهكذا نجد « أبا نعيم » لم يغفل عن تخصصه الأول وهو الحديث ، حيث ذكر الحديث مستقصى بكافة رواياته وطرق رجاله وأسانيده التى أيدتها كتب الصحاح المختلفة ٠

وروى كذلك الحديث التالى عن رجاله عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال لأبى بكر : رأيت الليلة غنما سودا تتبعنى ثم أردفتها غنم عفر ٠ فقال « أبو بكر » : تلك العرب اتبعتك ثم أردفتها الأعاجم ٠ فقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : كذلك عبرها الملك بسحر ٠ رواه ــ كعادته ــ بطرقه المختلفة وزاد فى بعضها : ومن دخل هذا الدين فهو عربى ٠

وروى أيضا الحديث التالى عن رجاله : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : فارس عصبتنا أهل البيت ، وزاد فى بعضها من رواية « جعفر » قيل لسعيد ــ أحد الرواة ــ : ما يعنى عصبتنا أهل البيت ؟ قال : هم ولد اسحاق عم ولد اسماعيل ٠

وتأييدا لهذه الآثار التى أوردها « أبو نعيم » بين يدى كتابه سارع أهل فارس لمناصرة دولة العباسيين وأيدوها تأييدا كبيرا ، وقد مرت بنا العبارة التى قالها « محمد بن على بن عبد الله بن عباس » يوصى فيها دعاته ، بعد أن جعل مقر دعوته بلاد خراسان ٠

واتفق تقريره الذى ضمنه عبارته الآنفة مع مضمون الأحاديث

التى رواها « أبو نعيم » والتى تدل على فضـــل فارس وتعميرها الأرض التى يعيش فيها الناس ، كما تدل على أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يثق بهم حيث يقول : « والله لأنا أوثق بهم منكم أو من بعضكم » ذلك لأنهم لا يفرون عند القتال ، « يوشك أن يملأ الله أيديكم من العجم ثم يجعلهم أسـدا لا يفرون فيقتلون مقاتلتكم ويأكلون فيئكم » ·

ولقد صدق هذا الحديث الذى رواه ، فكم قتل الخراسانيون بقيادة « أبى مسلم » فى تأييد الدعوة العباسية من رجالات وكم غنموا من أموال الأمويين التى تقسمت فيئا بين المقاتلين ·

والذى لاشك فيه أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يخص بلدا دون بلد بالاطراء ولكنه خص كل بلد بمزية وآثر كل قوم بتزكية، فتساوى الجميع فى الفضل ، وبقيت كلمة الله العليا فى النهاية هى الفاصلة بين الراجح والمرجوح تلك الكلمة هى قوله تعالى « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ·

جغـــرافية أصـــبهان :

وبعد أن أفاض « أبونعيم » فى سوق أحاديثه تلك ، أخذ فى موضوع كتابه فتحدث عن بدء أصبهان ··

تحدث عن جغرافيتها ، موقعها وحـدودها ، فقال : رقعتها وضعت على مائة وعشرين فرسخا فى مائة وعشـرين فهى مربعة المساحة ، والفرسخ ـ كما يقول لسـان العرب ـ ثلاثة أميال أو ستة ·

وحدودها كانت ما بين أطراف همذان وماه ونهـاوند ، الى أطراف كرمان وما بين أطـراف الرى وقومس الى أطراف فارس وخوزستان ·

قال : وكانت موضوعة على أســــاتين ثلاثة ، وعلى ثلاثين رستاقا ــ الرستق والرستاق : السواد ــ ، ومائة وعشرين طسوجا ــ الطسوج : الناحية ــ وخمسة آلاف قرية ، وسبع مدائن • قال « أبو نعيم » : ذكر ذلك صاحب « كتاب أصبهان » مشروحا بأســـاميها وحدودها •

أما المدن التى اشتملت عليها « اصبهان » فهى : كهنة ، جار ، جى ، قه ، مهرين ، دررام ، ساروية •

وقد خرب من هذه المدن قبل الاسلام أربع ، وخرب فى الفتح مدينتان ، وسلمت مدينة جى •

وحين كور « الرشيد كورة » « قم » اقتطع من « أصبهان » أربعة رساتيق ، وحين كور « المعتصم » كورة « الكرخ » اقتطع أيضا من أصبهان أربعة رساتيق فتقلصت أصبهان نتيجة لذلك ولما أصابها من تخريب قبل الفتح حتى أصبحت على تســـعة عشـــر رستاقا •

لقد تعرضت « أصبهان » لعوامل التخريب والتغيير والتبديل والتعمير ، فمن ذلك أنه كان بجى وهى التى بقيت من المدن السبع رجل من الزبيرية يقال له « محمد بن محمود » قلع أحد أبوابها ، وفتح بابا آخر من سورها وسماه الباب الجديد ، ورد مكانه بابا خشبيا على مصراع واحد •

المســـــجد الجــــامع :

وبنى « أيوب بن زياد » فى خلافة « المنصـــور » ســـنة نيف وخمسين ومائة قصـــرا على شاطىء نهر فرسان ، وبنى بحذائه مسجدا ذا مقصورة ، وهى باقية الى اليوم ــ عهد « أبى نعيم » ــ ووضع فيه المنبر ، وخط سوقا للباعة والتجار والعملة ذات صفوف فى طرف « اليهودية » •

و « اليهودية » محلة فى « أصبهان » ، تسميتها جاءت من أن اليهود سكنوها ، فقد قال « أبو نعيم » : سكنتها اليهود مقبلبن على صناعتهم القذرة كالحجامة والدباغة والقصارة والقصابة ٠ وقال « ياقوت » فى معجمه : لما سار « بختنصر » وأخذ بيت المقدس وسبى أهلها حمل معه يهودها وأنزلهم « أصبهان » ، فبنوا فى طرف مدينة « جى » محلة ونزلوها وسـميت « اليهودية » ثم خربت « جى » وعمرت « اليهودية » فمدينة « أصبهان » اليوم هى « اليهودية » ٠

قال « أبو نعيم » : وظل الأمر كذلك الى أن سخط « المهدى » على « أيوب » فحمـل الى الحضـرة وحبس فاجتمع عرب قرية « طهران » وهم « التيم » على بناء مسجد جامع واسع ، ينقلون اليه مسجد « أيوب بن زياد » ٠

وقيل : ان أول مسجد بنى منسوب الى « الوليد بن ثمامة » وكان أمير « أصبهان » بناه بمحلة « باذانة » ، والصحيح أن مسجد « خشينان » أول مسجد كبير بنى بأصبهان ، بناه « أبو خناس » مولى « عمر بن الخطاب » فى خلافة « على بن أبى طالب » ـ كرم الله وجهه ـ ٠

وكان انشاء الجامع بركة على المحلة التى أنشىء فيها ، فقد قال « أبو نعيم » : اتسـعت محلة « اليهودية » بعد بناء جامعها بصحراء ٠ فأنشئت خمس عشرة قرية أضيفت الى رقعتها ، فاجتمع الناس لتوسيع المسجد وزادوا فيه ، وأضاف اليه « الخصيب بن سلم » الأرض المسماة بخصيب اباذ ، ثم أعيد بناء المسجد فى خلافة « المعتصم » وامارة « يحيى بن عبد الله بن مالك الخزاعى فى المرة الثانية سنة ٢٢٦ هـ ، ثم أضيف اليه زيادات بعد ذلك ، وعمر المسجد عن طريق التبرعات ـ كما تفعل الدول الآن ـ وأما نفقته فمن بيت المال ، وتشمل نفقته أجرة القوام والمؤذنين والحصر والزيت ، وبلغت التكاليف أحيانا ثمانية آلاف ومائتين وتسعين درهما ٠٠ ثم زادت بعد ذلك ٠

ومن جملة القوام على الجامع :

« محمد بن الفرج » وكان أحد الفقهاء مقبول القول طاهر الستر ، وبعده « عبد العزيز بن زباد الكسائي » وكان أحد من شهد وقبلت شهادته ـ ويبدو أن هذه الصفة كانت عزيزة الى أن الذى تتوفر فيه يعد من المرموقين ـ

ثم « الحسن بن عبد الله بن عمر القصار » الفقيه وكان أحد المستورين المتقدمين ·

ثم « محمد بن اسماعيل بن سكين وكان عدلا جائز الشهادة ومقبول القول توفى سنة ٢٧٥ هـ ·

وبعده « محمد بن عاصم بن يحيى » ولاه القيام « أبو بكر احمد بن عمرو بن أبى عاصم » وكتب له به سجلا أشهد فيه على نفسه ·

فتح أصبهان :

وأفاض فى كتابه فى الحديث عن فتح « اصبهان » وهذا أمر ضرورى وتحدث عن الملابسات والظروف التى أحاطت بالفتح ، وتكفى الاشارة فى ذلك الى ما يلى : عن « السائب بن الأقرع » قال : زحف للمسلمين على عهد « عمر بن الخطاب » ـ رضى الله عنه ـ زحف لم يزحف لهم بمثله قط ، زحف لهم أهل « ماه » وأهل « أصبهان » وأهل « همذان » وأهل « الرى » وأهل « قومس » وأهل « أذربيجان » وأهل « نهاوند » فلما جاء عمر الخبر ، جمع الناس فخطبهم وحضهم على الجهاد ، وطلب من خطبائهم الكلام والاشارة عليه ، فقام الخطباء واحدا اثر آخر ، وطلبوا منه جميعا أن يسير الى هذه الجموع بنفسه ، حتى قام « على بن أبى طالب » فأشار عليه برأى عمل به · قال « على » بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

يا أمير المؤمنين ، هذا يوم له ما بعده وانى لا أرى ما رأى هؤلاء القوم فى أن تسير بنفسك وبأهل الحجاز والشام والعراق ، فانما القوم جاءوا لعبادة الشيطان ، والله أشد تغييرا لما أنكر ، ولكنى أرى أن تبعث الى أهل الكوفة فتسير ثلثهم وتدع ثلثا فى حفظ ذراريهم وجمع جزيتهم ، وتبعث الى أهل البصـــرة فليوروا ببعث ، فقال « عمر » : أشيروا على من أستعمل ، فوكلوا اليه الاختيار ، فاختار « النعمان بن مقرن » • وسار الجيش الاسلامى والتقى بجيوش الفرس ، وفتحت « أصبهان » وقد استشهد « النعمان بن مقرن » فى الفتح •

قيل : واســتشار « عمر » الهرمزان فى فتح « أصــبهان » و « فارس » و « أذربيجان » أيها يبدأ بها ، فأشـــار عليه بفتح « أصبهان » أولا لأنها الرأس و « فارس وأذربيجان » الجناحان ، فان بدأت بالرأس سقط الجناحان ، وأن بدأت بأحد الجناحين مال الجناح الآخر الى الرأس •

ونراه يرجع فتح « أصبهان » الى آخر سنة عشرين وقيل سنة احدى وعشرين هجرية •

ورواية « أبى نعيم » هذه تخالف روايات أخرى أشارت اليها مصادر مختلفة ، منها رواية « ياقوت » فى معجم البلدان حيث يقول : فتحت فى عهد « عمر » بعد فتح « نهاوند » فقد بعث « عمر » عبد الله ابن عتبان » أميرا على جيش وجعل على مقدمته « عبد الله بن ورقاء الرياحى » وعلى مجنبتـــه « عبد الله بن الحارث بن ورقاء الأسدى » فبارز « عبد الله بن عتبان » ملكها القادوستان ، فتغلب « عبد الله » عليه ، ثم اصطلحا على أن يدفع أهل « أصبهان » الجزية ، ثم قدم « أبو موسى الأشعرى » من ناحية الأهواز ، بعد أن صالح « عبد الله » القادوستان ، وقال « عبد الله » فى ذلك :

من مبلـــغ الأحيـــــاء عنى فاننى
نزلت على « جى » وفيهـــا تفـــاقم

حصـــرناهم حتى سروا ثمت انتزوا
فصـــدهم عنا القنـا والصـــوارم

وجاد لها القاذوســتان بنفســـه
وقد دهدهت بين الصفوف الجماجم

فثـــاروته حتى اذا مـــا علوته
تفـــــادى وقد صارت اليه الخزائم

وعادت لقـوحا اصـــبهان بأسرها
يدر لنـــا منهـــا القـرى والدراهم

وانى على عمـــد قبلت جـــزاءهم
غداة تفـــادوا والعجـــاج قواتم

ليزكو لنـــا عند الحـــروب جهادنا
اذا انتظمت فى المأزمين الهمـــاهم

وقد ذكر أيضا « أبو نعيم » هذه الأبيات فى كتابه . مع اختلاف يسير فى بعض الكلمات . قال « ياقوت » : قال « البلاذرى » : وكان فتح « أصفهان » سنة ٢٣ هـ ، وقال بعضهم : فتحت سنة ٢٤ هـ . وعلى هذين القولين فقد فتحت بعد « عمر » .

خصـــائص أصـــبهان :

تحدث « أبو نعيم » عن خصائص « أصبهان » وما تحتوى عليه من المنافع والعبر والعجائب ، مستندا فى ذلك الى ما ذكره المتقدمون من المصنفين والى مشاهداته وسماعه ، ونقتطف مما رواه فى كتابه ما يأتى :

١ ــ لوادى « أصبهان » المسمى « زر نروز » مغيض يسمى « هنام » ، ما فى الأرض أعجب منه ، لأن الأودية الكبار انصبابها الى البحار فى سائر المدن ، ولكن مصب هذا الوادى فى هذا المغيض ، ومساحته ثمانية عشر فرسخا فى فرسخين ، لا يعلو الماء فى حافاته عن المعهود ولا ينقص فى سرف المد وقصده ، وللطيور فيه مفرخ ، وغير الطيور يعجز عن مقاربته لأنه يغوص فيه حتى لا يرى منه شىء ٠

ومقدم هذا المغيض ميدان ممتد الى ناحية كرمان كخط ممدود لا يزيد على عرض الميدان نباته الطرفاء والقلام[١] ٠

٢ ــ فى قرية « رزية » من رستاق « رويدشت » رمال عالية كالجبال ، لو دامت عليها الرياح العاصفة أياما لا تتحرك أصلا ولا يدخل الزروع منها شىء ٠

وبقرية « هواسكان » من قرى « أصبهان » خندق حول حصن. بجواره رمال سائلة كالجبال تنتقل حول الخندق من جانب الى جانب ، ولا يسقط فى الخندق شىء منها ، ولو أخذ انسان قبضة رمل فرمى بها فى الخندق هبت من ساعتها ريح فرفعت ذلك فى الهواء وكنست الخندق ٠

٣ ــ وحول هذه القرية صحراء ، فيها مواشى ترعى فتختلط بالسباع مقبلة من البئر ، فلا تتعرض السباع لشىء منها ، ويقال : ان ديكا استوحش من هذه القرية منذ سنيات فبقى بهذه الصحراء اربع سنين لم يتعرض له شىء من الثعالب والسباع ، ويدعى أهلها أن هذه الصحراء مطلسمة ٠

---

(١) الطرفاء ــ جماعة الطرفة من الشجر ، وبه سمى طرفة بن العبد الشاعر ــ يقال : ليس له خشب وانما يخرج عصيا سمحة فى السماء ــ والقلام بتشديد اللام ضرب من الحمض يذكر ويؤنث ٠

٤ - يوجد بقاسان قرية تسمى « قالهر » فيها جبل يرشح الماء منه رشحا كرشح البدن للعرق لا يسيل منه شيء ، ويجتمع كل سنة أهل الرساتيق ، وفي يد كل منهم آنية ، فيدنو الواحد بعد الواحد من ذلك الجبل الندى ، ويقرعه بفهر(١) فى يده ، ويقول بالفارسية : « يا بيد دخت » اسقنى من مائك فاننى أريده لمعالجة علة كيت وكيت ، فيجتمع الرشح من المواضع المتفرقة الى مكان واحد فيسيل قطرا فى آنية المستسقى ٠

٥ - وبقرية « فهروذ » نبت ينبسط على وجه الأرض فيصير زجاجا أبيض صافيا براقا ، وأهل الناحية يستعملون ذلك النبات فى ألوان من الأدوية ، وقد حمل ذلك الزجاج الى كثير من الناس فى أقطاع متشكلة على هيئة الخروب ٠

٦ - ومن خواص « اصبهان » خرزات فى قرى معينة بقاسان ورويدشت ، اذا غشيتهم سحابة برد أخرجوا تلك الخرزات وعلقوها على أطراف حصونها فتنقشع السحابة عنها وعن صحرائها من ساعتها ، وتسمى هذه الخرزة بلغتهم « مهرة تذرك » ٠

٧ - ومن خواصها فى مرج من مروج « حكازة » و « جورجرد » حيات منتشرة ما بين ذراع الى خمسة أذرع يتلاعب بها الصبيان ولا تؤذيهم ٠

٨ - يوجد ببعض قراها معادن نفيسة من فضة وصفر وذهب، وبها دويبة خلقتها كالخنفساء ، صغيرة فى جرم أقل من الذبابة ، تذب فى الليلة المظلمة فيتقد من ظهرها مثل السراج ، فاذا أخذوا منها واحدة ليلا فرئيت نهارا يرى لون ظهرها مضيئا كالطاووس ، خضرة فى صفرة فى حمرة ٠ وتسمى هذه الدويبة « يراه » ٠

٩ - وبها حجارة تشبه السكر اذا ضرب منها قطعة بأخرى أوردت نارا من بينها ٠

---

(١) الفهر : الحجر الصغير قدر ما يدق به الجوز وغيره ٠

١٠ ـ وفى قرية « كرمند » معين ماء يشربون منه ويسقون زروعهم ومواشيهم ، وما يفضل منه يصب فى جدول فيتحول حجارة ٠ وفيها كهف يقطر من قلته ماء ، فاذا استقر على الأرض تحول الى حجارة ٠

١١ ـ وبرستاق « مهستان » عين فيها ماء صاف لا يشربه أحد من الناس قد علق العلق بحلقه الا سقط من حلقه ومات مكانه ـ أى العلق ـ

١٢ ـ وبها شجرة « الجترساية » تفترش أغصانها فى الهواء أكثر من مقدار جريب أرض مستديرة مجتمعة الأغصان كثيرة الأوراق ، ظلها أكثر من ظل الجبال وتحمل كل سنة خرائط مدورة مملوءة بقا ٠

الى غير ذلك من العجائب التى تتصل بطبيعة هذا الاقليم والتى لا يشترك معه فيها غيره من الأقاليم ٠

هذا الى جانب ما تمتعت به أصبهان من مركز مرموق كفل لها الرواج التجارى والتفوق الصناعى والازدهار الفنى ، الذى أثمر على مر السنين عمارة فائقة ، حتى أحصى ـ كما تقول دائرة المعارف الاسلامية ـ « ابن رسته وهو « أحمد بن عمر » المتوفى بعد عام ٢٩٠ هـ وقد عاش فى اصفهان ـ أحصى أبراجها المائة وأبوابها الأربعة ٠

وأشاد غيره من المؤرخين والجغرافيين بغنى هذه المدينة بالموارد الطبيعية ، التى أشار الى بعضها « أبو نعيم » فقد ذكر ابن الفقيه وهو « أبو بكر أحمد بن محمد الهمذانى » فى كتابه « البلدان » وكان معاصرا لابن رسته ، ذكر أنه كان بجوارها مناجم للفضة والنحاس والاثمد والخارصين وغيرها ٠

ويبدو أن « اصفهان » كانت غاية فى العمران والبهجة والجمال،

حتى جاء مثل فارسي يقول : « اصفهان نصف جهان » أى «أصفهان» نصف العالم ، وما تزال بها آثار تستقطب الزوار وتنتزع اعجاب المشاهدين على الرغم من أفول نجمها بعد انتقال عاصمة الفرس الى طهران ٠

وقد مر بنا قول « ياقوت » فى طبيعة « اصفهان » وجمال نهرها ، الا أن الذى لم تذكره ولم يذكره « أبو نعيم » أيضا فى كتابه ما أشار اليه « ياقوت » من بعض الهنات التى لا تغض من قيمة « أصفهان » بل تثبت أن الكمال المطلق لا يكون لمخلوق ٠

و « أبو نعيم » وطنى مخلص عاشق لوطنه ، وقد نظر الى مسقط رأسه بعين الرضا ، وهى كليلة عن رؤية العيب كما يقول الشاعر الحكيم مولى آل « أبى نعيم » الذى سبق الاستشهاد به ٠

والمتلمس للعيب لا يعز عليه أن يجده ، فان لم يجده اخترعه ، وقد قال « ياقوت » فى معجمه : وجد فى غرفة بعض الخانات التى بطريق « اصبهان » مكتوب هذان البيتان :

قبح السالكون فى طلب الرزق على أيذج الى اصـــبهان

ليت من زارها فعاد اليها قد رماه الاله بالخذلان

ولا يبعد أن يكون كاتب البيتين قد خانه حظه فى العثور على رزقه فى « اصبهان » والعيب ليس عيب المدينة فى ذلك ، بل قد يكون حظه العاثر أو عيب عجزه عن الطلب وقصور همته فى السعى ٠

ولكن اذا التمسنا العذر لأصبهان فى ذلك فكيف نلتمسه فى قول « الحسن البصرى » الذى رواه « ياقوت » أيضا حين قال : « دخل رجل على « الحسن البصرى » فقال له : من أين أنت ؟ فقال له : من أهل « اصبهان » فقال : الهرب من بين يهودى ومجوسى وآكل ربا ؟

أو كيف نلتمسه لها فى قول الشاعر :

لعـــن الله اصـــبهان بـــلادا
ورماها بالســيل والطـــاعون
بعت فى الصـــيف قبة الخيش فيهـا
ورهنـت الـــكانون فى كانـــون

يقول « ياقوت » : ان هواءها وخاصيتها يبخلان فلا ترى بها كريما ، وحكى عن « الصاحب بن عباد » أنه كان اذا أراد الدخول الى « أصـــبهان » قال : من له حاجة فليسألنيها قبل دخولى الى « أصبهان » فاننى اذا دخلتها وجدت بها فى نفسى شحا لا أجده فى غيرها ٠ اهـ

ولا تخلو أخبار البخل من المبالغة ، فان البخل طبيعة فى أهل المدن يكاد يكون عاما ، على عكس أهل الريف الذين يتســـمون بالسماحة والبذل ، وقد لا يكون مايراه الناس بخلا ، بل هو عارض من عوارض الكثرة الكاثرة والتكاليف الباهظة والتبعـات الثقيلة التى ابتليت بها المدن الكبيرة ، وفصمت بسببها العلائق الوثيقة بين الناس وانصرف كل منهم الى نفسه وشئونه وعمله ، وذلك الانصراف لا يمنع المقيم فى المدينة عن أداء واجب الضيافة لمن يزوره من أهل وأصدقاء بالقدر الذى تسمح به ظروفه فى المدينة التى لا يوجد بها المسكن الواسع والاستعداد التام الذى يتوفر فى الريف ٠

وفى بعض الأخبار أن الدجال يخرج من « أصبهان » ٠ ذكر « أبو الفرج بن الجوزى » فيما ينقله عنه « ابن اياس » فى تاريخه أن الدجال يخرج من بلاد أصفهان ، وذكر أن طوله عشرة أذرع واحدى عينيه ممسوحة من أصل الخلقة ، كأنه نزل بعين واحدة ، مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل قارىء عن قرب وعن بعد ، ومكتوب تحت ذلك سعيد من خالفه وشقى من أطاعه ، ويظهر للناس أن له جنة ونارا ، فجنته نار وناره جنة ، فيطوف البلاد ويقتل العباد ،

ويقول : أنا ربكم الأعلى ، فيجتمع عنده من العساكر نحو ألف ألف وستين ألفا ، فيزحف بهم من أصفهان الى دمشق فى أربعين يوما ٠

ســـر اختيار أصبهان فى مكانها :

قال : أبو نعيم » : ان « فيروز بن يزدجرد » كتب الى بعض ملوك الروم يستهديه كبيرا من حكمائهم وحاذقا من أطبائهم فاختار له رجلا ، فلما وفد على « فيروز » قال له : أيها الحكيم قد أنهضناك الى أرضنا لتختار من بلدان مملكتنا لنا بلدا تصـــح به الأركان الأربعة التى بسلامتها يطول بقاء الحيوان وباعتدالها تصح الأجسام، ويعنى بالأركان الأربعة : الأرض والماء والهواء والنار ٠ فاستقر الرومى فترة فى بلاد فارس وطاف بأرضها حتى وقع اختياره على أصـــبهان ، فأقام فيها وكتب للملك يقول له : انى طفت فى مملكتك فانتهيت الى بلد لا يشوب شيئا من أركانه فساد ، وقد نزلت أنا منه فيما بين حصـــنى قرية بوان ، فاذا أراد الملك أن يقطعنى ما بين الحصـــنين ويطلق لى بناء كنيســـة ودار فليفعل ، فأطلق الملك له مسألته ، وموضع أحد الحصنين هو موضع المسجد الجامع فى عهد « أبى نعيم » ٠

وأمر الملك بتسوير هذه البقعة التى اختارها الحكيم الرومى ، وأطلق عليها اسم « جى » وهى أصل « اصبهان » وعزم الملك على التحول من العراق اليها ، ثم انتقض عزمه بســـبب الحروب ثم وفاته ٠

وتولى بعده ابنه « قباذ » فطلب من ذلك الحكيم أن يختار له مكانا يجمع الأوصاف الطيبة للحياة فاختار له « أصفهان » ٠

ثم أخذ « أبو نعيم » يثنى على طبيعة « أصفهان » مستشهدا بما سطره ذلك الحكيم الرومى فى مذكرته التى أرسلها الى الملك قوباذ » قبل الاسلام ، ومستشهدا برسالة « الحجاج بن يوسف

الثقفى » فى ظل الاسلام ، التى أرسلها الى « وهزاز بن يزداد الأنبارى » وكان « الحجاج » قد ولاه على « أصبهان » ، وكان « وهزاذ » ابن عم لكاتبه « زاذان بن فروخ المجوسى » ٠٠ كتب « الحجاج » اليه يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ٠ أما بعد ، فانى استعملتك يا وهزاذ على « أصبهان » أوسع المملكة رقعة وعملا ، وأكثرها خراجا بعد فارس والأهواز ، وأزكاها أرضا ، حشيشها الزعفران والورد ، وجبلها الفضة والاثمد ، وأشجارها الجوز واللوز والكروم الكريمة والجلوز والفواكه العذبة ، طيرها عوامل العسل وماؤها فرات ، وخيلها الماذيانات الجياد ، أنظف بلاد الله طعاما وألطفها شرابا وأصحها ترابا وأوفقها هواء وأرخصها لحما وأطولها أهلا وأكثرها صيدا ٠٠٠ الخ ٠٠

قال « أبو نعيم » : وحكى « أبو معشر » أن الملوك طلبوا لمستودع العلوم من الظروف أصبرها على الأحداث وأبقاها على الدهر وأبعدها من التعفن والدروس فاختاروا لها لحاء شجر التوز ، واقتدى بهم أهل الهند والصين ، فاختاروها أيضا لقسيهم التى يرمون عنها لصلابتها وبقائها على الدهر ، فلما كتبوا مستودع علومهم فى أجود ما وجدوه من الظروف طلبوا لها من أنواع الأرض وبلدان الأقاليم ، أصحها تربة وأقلها عفونة وأبعدها من الزلازل والخسوف وأعلكها طينا فلم يجدوا تحت أديم السماء أجمع لهذه الأوصاف من أصبهان » ثم فتشوا عن بقاع هذا البلد فلم يجدوا فيها أفضل من رستاق « جى » ٠

ومن أعجب ما وصفت به « أصفهان » فى عهد « المأمون » ما رواه « أبو نعيم » قال : دخل « أيوب بن زياد الأصفهانى » على « المأمون » فقال له : صف لى « أصفهان » وأوجز ، فقال : يا أمير المؤمنين ، دواؤها طيب وماؤها عذب وحشيشها الزعفران وجبالها العسل ، غير أنها لا تخلو من خلال أربع : جور السلطان وغلاء الأسعار وقلة الأمطار وفقد المياه ٠

فأطرق « المأمون » ساعة وبيده قضيب ينكت به الأرض فرفع رأســـه وقال : يا أيوب لعل قراءها منافقون وتجـــارها مربئون وتناءها(١) شربة خمور وفى أطرافها لا يصلون · قال « أبو نعيم » : وهم المحدث لأن « أيوب » كان فى عهد « المنصور » والصحيح أنه « محمد بن سليمان » صاحب ميدان « سليمان الأصبهانى » ·

وفى فضل « أصبهان » روى « أبو نعيم » مرفوعا الى « سعيد ابن المسيب » عنه قال : لولا أنى من قريش لأحببت أن أكون من فارس ثم أكون من أهل « أصبهان » ، وذكر ذلك من طرق متعددة وروايات مختلفة ·

ويروى مرفوعا الى « وهب بن منبه » قال : كتب « نمروذ بن كنعان » يستمد الرجال والأموال والأنفس ليحاربوا رب العالمين ، فكتبوا اليه من كل البلدان : نعم نعم ، ما خلا « أصبهان » فانهم قالوا : لا طاقة لنا بالله السماء ونحارب من شئت من أهل الأرض · فشكر الله لهم ذلك ، فعذب ماؤهم وطاب هواؤهم وكثرت فاكهتهم وصحت تربتهم فى الشتاء والصيف ·

وقال : سمعت « أبا محمد بن حيان » يقول : سمعت من يحكى عن « ابراهيم بن محمد النحوى » **قال** : خرج من أهل « أصبهان » قوم الى ذى الرياستين فى حوائج لهم ، فقال لهم : من أين أنتم ؟ قالوا : من أهل « أصبهان » قال : أنتم من الذين لايزال فيهم ثلاثون رجلا مستجابى الدعوة · قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : ان « نمروذ بن كنعان » لما أراد أن يصعد الى الســـماء كتب فى البلدان يدعوهم فأجابوا كلهم الا أهل « أصبهان » ، فحمل منهم ثلاثين رجلا مقيدين ، فلما نظروا الى وجه « ابراهيم » ــ صلى الله عليه وسلم ــ آمنوا

---

(١) من التناوة أو التناءة وهى الفلاحـــة ، فالتناءون هم الفلاحـــون ــ لسان العرب ·

به ، فقال « ابراهيم » : اللهم اجعل أبدا بأصبهان ثلاثين رجلا يستجاب دعاؤهم · فلايزال بأصبهان ثلاثون رجلا كذلك ·

قال : أبو نعيم » : « اصبهان » فم الدنيا ولسانها راويا فى ذلك عن « حماد بن سلمة » فى قوله تعالى لما قال للسموات والأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين : أن الذى أجابه من الأرض : أرض « أصبهان » ·

ولكن « أبا نعيم » رغم حبه لموطنه فانه لم يسلمه من كافة العيوب ، فقد روى قول « محمد بن يوسف » : خيار « أصبهان » خيار الناس وشرارهم شرار الناس · وكأنه يريد أن يجعل منها قمة هبوطا أو نزولا · فأهلها رأس على أى حال ·

وروى أيضا عن شيخه « أبى محمد بن حيان » قوله : سمعت بعض أهل العلم يقول : ان « ذا القرنين » طاف فى الدنيا حتى انتهى الى « اصبهان » فدخل مدينتها ولم ينزل فيها ، وخرج عنها ، حتى اذا بلغ بابها الشرقى ، ودعا بالفعلة أمرهم أن يحفروا حفرة حتى بلغوا الماء فى ساعة وهو واقف على دابته ، ثم أمرهم أن يردموا الحفرة بما أخرجوه منها ، ففعلوا ولم يبق ممـــا أخرجوه شىء واحتاجت الحفرة الى زيادة ، ولم ترجع كما كانت · فقال : هذه مدينة قحطة ، لا تخلو من قحط المطر والسعر الغالى ، ثم ارتحل عنها من ساعته ·

وفى هذه الأخبار اشارة الى قدم مدينة « أصبهان » وأنها لم تنشأ فى عهد « فيروز بن يزدجرد » كما ذكر قبل ذلك · بل أنشئت فى عصور أقدم من ذلك بكثير ··

قدوم الصـــحابة الى « اصــبهان » :

ثم أخذ فى ذكر من قدم « أصبهان » من الصحابة · وترجم لهم قائلا فى مقدمة ذلك : بدأنا بعون الله بذكر من قدم « أصبهان » من

الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وتســميتهم مجردا من أخبارهم ليسهل حفظهم ومعرفة أساميهم على ما أرادها ، ثم نذكرهم بأنسابهم وأســنانهم وبعض أحوالهم مقرونا بما يقرب ويســهل من بعض أحاديثهم ان شاء الله ٠

ومن هؤلاء : ريحانة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « الحسن بن على » و « عبد الله بن الزبير » و « أبو موسى الأشعرى » وابنه « موسى » الذى استشهد بأصبهان ، وحافر الآبار وبانى الحياض للحجيج والعمار « عبد الله بن عامر بن كريز » و «أهبان بن أوس الأسلمى » مكلم الذئب ٠٠ و « سلمان الفارسى » ٠

وعدد هؤلاء الصحابة عشرون صحابيا ٠٠

أولهم « سبط رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وآخرهم المرأة التى قيل انها أسلمت قبل « سلمان الفارسى » وهى من فارس ٠ واسمها « أمة الله » قال « سلمان الفارسى » : لما قدمت المدينة رأيت امرأة أصبهانية كانت قد أسلمت قبلى ، فسألتها عن رســول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهى التى دلتنى عليه ٠

وفى رواية : قال : كنت رجلا من أهل « جى » فذكر اسلامه ، قال : فطفت فى مكة ، فاذا امرأة من أهل بلادى ، فسألتها وكلمتها ، فاذا بمواليها وأهل بيتها قد أسلموا كلهم ، وســألتها عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : يجلس فى الحجر ، اذا صاح عصفور مكة مع أصحابه ، حتى اذا أضاء له الفجر تفرقوا ٠

وهذه الرواية تشير الى أن اسلام « سلمان » كان فى مكة ولم يكن فى المدينة كما تشير الى ذلك رواية أخرى ذكرها أيضا تقول : عن « أبى الطفيل البكرى » أن « سلمان الخير » حدثه قال : قلت لبعض تجار يثرب : تحملنى الى المدينة ؟ قال : ما تعطينى ؟ قلت : ما أجد شيئا أعطيك غير انى لك عبد ، فحملنى ، فلما قدمت معه

المدينة جعلنى فى نخله ، فكنت أسقى كما يسقى البعير ، حتى دبر ظهرى وصدرى من ذلك ، ولا أجد أحدا يفقه كلامى ، حتى جاءت عجوز فارسية تستقى فكلمتها ، ففهمت كلامى ، فقلت لها : أين هذا الرجل الذى خرج ؟ دلينى عليه ، قالت : سيمر بك بكرة اذا صلى الصبح ..

ثم أخذ « أبو نعيم » يتحدث عن أعلام « أصبهان » من فقهاء ومحدثين ومؤرخين بادئا بمن وافقت أسماؤهم أسماء الأنبياء ..

وفى ذكر هؤلاء دليل على نجابة « أصفهان » فقد نبغ فيها أعلام لا حصر لهم فى مختلف الفنون ، فى الحديث والتفسير والفقه واللغة والتصوف والشعر والتاريخ والقضاء ، وغير ذلك من مختلف ميادين السبق والتفوق ، وقد تحدث « أبو نعيم » عن هؤلاء جميعهم فى كتابه المطبوع فى مجلدين .

وهو فى تراجمه هنا مؤرخ يعتنى بالتاريخ ، فهو يذكر نسب المترجم له ومولده ووفاته ان تعين ذلك ، ثم يذكر طرفا من نشاطه وشيوخه ومن روى عنهم ومن رووا عنه ان وجد ، ويذكر بعض ما أثر عنه وما قيل فيه .

كتاب معرفة الصحابة :

ولأبى نعيم كتاب آخر تاريخى اسمه « معرفة الصحابة » اعتمد عليه « ابن الأثير عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن الجزرى » المتوفى سنة ٦٣٠ هـ فى كتابه : أسد الغابة . وأخذ عنه فى مواضع أكثر من أن تحصر ، وقد ذيل تراجمه ببيان المرجع الذى أخذ عنه ، وهو أحيانا يذكر « أبا نعيم » وحده ، وكثيرا ما يذكر معه « ابن منده » أو « أبا موسى » أو « أبا عمر » .

ومن أمثلة ما تفرد به « أبو نعيم » فى أخذ « ابن الأثير » عنه

عنه قوله فى ترجمة « بشير بن عرفطة » : شهد فتح مكة مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال شعرا فى الفتح منه :

ونحن غداة الفتح عند محمد   طلعنا أمام الناس ألفا مقدما(١)

وأحيانا يذكر معه فى الرواية أبا موسى وهو « محمد بن عمر ابن أحمد الأصفهانى توفى سنة ٥٨١ هـ ، ومن أمثلة ذلك ما أورده فى ترجمة « حنظلة بن النعمان » قال : حدثنا « أحمد بن عبد الله الأصفهانى » أخبرنا « سـليمان بن أحمد » ، أخبرنا « محمد بن عثمان » ، أخبرنا « ضرار بن صرد » ، أخبرنا « على بن هاشم » عن « محمد بن عبيد الله بن أبى رافع » عن أبيه فى تسمية من شهد مع « على » ـ رضى الله عنه ـ من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « حنظلة بن النعمان » . ثم قال : أخرجه « أبو نعيم » و « أبو موسى » .

ولا يستغرب أن يكون « أبو نعيم » و « ابن منده » و « أبو موسى » الذين كان جل اعتماد « ابن الأثير » عليهم أبناء وطن واحد هو « أصبهان » فهى التى عرفت بتخريج كثير من العلماء والأدباء وبخاصة فى الحديث والتاريخ .

ومن المفيد هنا أن نذكر سبب تأليف « ابن الأثير كتابه « أسد الغابة ، ففى مقدمته التى يشير فيها الى عناية « أبى نعيم » بالحديث وغلبته عليه حتى فى تأليف كتابه المعروف « بمعرفة الصحابة » وهو كتاب تراجم يقول « ابن الأثير » : ورأيت « ابن منده » و « أبا نعيم » قد أكثرا من الأحاديث والكلام عليها وذكر عللها ولم يكثرا من ذكر نسب الشخص ولا ذكر شىء من أخباره ، فهو يريد أن يجعل كتابه جامعا للأخبار والأنساب والأحاديث ، ولا يجعله يغلب عليه الحديث كما فعل كل منهما ، أو تغلب عليه الأخبار والأنساب كما فعل « أبو عمر بن عبد البر » فى كتاب « الاستيعاب » .

---

(١) أسد الغابة حـ ١ ص ٢٣٢ ط دار الشعب .

وتهمنا هنا أيضا اشارة « ابن الأثير » التى تفيد غزارة « أبى نعيم » فى علوم الحديث وروايته ومعرفة علله الى درجة أنه غلب عليه ذلك فى أثناء كتابه فى التاريخ ·

لقد كان وهو يكتب فى التاريخ ينظر الى الحديث بعين والى التصوف بعين ، ولذلك تجىء تراجمه فى كتابه حافلة بروايات الحديث ـ وقد ظهر ذلك واضحا فى كتابه معرفة الصحابة ـ أو ببيان حظ الرجل من الأخلاق التى يعتبرها الصوفية منهجا لسلوكهم ـ وقد ظهر ذلك واضحا فى حلية الأولياء كما قدمنا ·

ولكن كتابه أخبار اصفهان ، وان كان يحفل بمرويات تراجمه فانه لم يخل من الاشارات التاريخية المفيدة التى تعين المستفيد وترشد المستزيد ·

وقد دلت المعلومات الوافرة التى حفلت بها كتب « أبى نعيم » التاريخية على شخصية واعية ، تتمتع ببصيرة نافذة وأحكام ناقدة كما تدل على احاطة كان المعين عليها عمر مديد ورحلات متعددة واستفادة يقظة بما يقرأ أو يسمع ، ومن حسن حظه أنه توفر فى صباه على شيوخ من أقطار مختلفة ، ولكل منهم ذخيرة لا تنفد من العلم والأخبار والروايات والمشاهدات التى صادفت عقلا واعيا ، وذاكرة لاقطة وحافظة أمينة معينة وقلما سيالا ، وموهبة تسجيلية · ثم هو أولا وأخيرا حالفه التوفيق الذى يهبه الله لمن يشاء من عباده ، الذين شاء أن يجعلهم منارات هداية ومراكز اشعاع فى الكون ، وأدلة على الخير ومنابعه وأصحابه ليقتدى بهم الناس ويهتدوا بهداهم ويقتفوا آثارهم ·

ومعرفة التاريخ اضافة ضافية على حياة الدارس ، فما بالك بالمؤلف والمستفيد ؟ وقديما قال شاعر كلمة حق :

ومن وعى التاريخ فى صدره   أضاف أعمارا الى عمره

ولكن يجب أن تكون الاضافة ـ كما يقول العقاد ـ اضـــافة مقدار من أخبار الوقائع وعدد السنين التى وقعت فيها • ذلك أن السنين مهما بلغت فمصيرها فى النهاية الى الفناء ، وكم من معمرين طالت أيام حياتهم فى الأرض دون أن يفيدوا شيئا ، وكم من لحظات خاطفة تترك أثرا لا يمحى وزادا لا يفنى وعطاء لا يبيد •

وفلسفة التاريخ تبدو فيما يحفل به من عظات وعبر تترك أثرها فى النفوس لتتحرك الى الأفضل وتتقدم الى الأمام وتحلق فى الأجواء، لا فيما يقصه علينا من أحداث أو يسرده علينا من سير الناس • ومن هنا كانت عناية الأمم بدراسة التاريخ وتقريره مادة رئيسية فى مناهج التعليم ، ولا تقتصر المناهج على دراســـة التاريخ المحلى للدولة بل تتناول دراسة تاريخ العالم من أقصاه الى أقصاه لتكون الفائدة أتم وأشمل •

وهذا هو الهدف الماثل أمام مقدم المادة التاريخية للأجيال ، وعلى القارئين بعد ذلك أن يحققوا هذا الهدف فى نفوسهم وأوطانهم ، وينسجوا على منوال النافعين الذى صاغت التراجم سيرهم وحكت لنا قصصهم وقدمت لنا أعمالهم •

وقد كان باعث « أبى نعيم » فى مؤلفاته التاريخية حفز الهمم الى تتبع آثار النابهين ، ففى حلية الأولياء أراد أن يقدم لنا صورة من التصوف الحقيقى المثالى ، الذى يضـــعه أمام عينيه من أراد التخلق بهذا المذهب • وحتى لا يحسب الناس أن التصوف قشور بالية ورسوم خاوية ومظاهر خادعة •

وفى أخبار اصفهان أراد أن يقدم للناس صـــورة من المثل العليا فى الشخصيات التى حفلت بها هذه الرقعة من الأرض ، ليسير الناس فى حياتهم على ضوئها ، وفى كتاب معرفة الصحابة أراد أن يقدم لنا صورة كريمة لهؤلاء الأبطال الذين أحاطوا بالمثل الكامل

ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونفخ فيهم من روحه فأقاموا صرح الدولة الاسلامية الشامخ ٠

وهذه أهداف نبيلة مازالت تنتظر ـ على الرغم من مرور مئات السنين على تسطيرها ـ من يعمل على تحقيقها ٠

لقد أدى « أبو نعيم » كما أدى غيره من الكتاب الأماثل أدوارهم ٠

وبقيت شعوب الأمة الاسلامية فى شتى بقاعها تنتظر أداء دورها فى اعادة تشييد هذا الصرح من جديد ، وتعيده كما كان مشرقا وضاء شامخا خاليا من الخلافات والنزاعات والعصبيات والاضطرابات ، خالصا خيره لنفسه ، مستقلا من السيطرة الأجنبية التى تجثم فوق أرضه أو فكره أو تصرفاته ٠

ليت الذين يقرءون أخبار أصفهان يدركون ماذا قدمت فارس للاسلام ، ويعملون على رأب الصدع ولم الشمل وحقن الدماء ، ويسيرون مع غيرهم من أبناء الاسلام فى كل مكان اخوة متحابين متآلفين ذاكرين نعمة الله التى أمرنا الله بتذكرها فى قوله ـ تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » آل عمران ١٠٣ ٠

آثـــار خـــالدة

لقد تعددت معارف « أبى نعيم » وتعددت كذلك آثاره ، وترك من بعده ثروة سخية فى مختلف الفنون والعلوم ، وقد سبقت الاشارة الى أن العلماء قديما قل منهم من يتخصص فى فرع من الفروع ، ولكنهم كانوا يطلبون العلم بأنواعه المختلفة ، ورأينا رجـــالا من العلماء بزغ نجمهم فى آفاق كثيرة ، وكان الطالب يجلس فى حلقة أستاذه فيجد عنده طلبته فى الفقه والنحو واللغة والتفسير والحديث وغيرها من العلوم ..

واذا طبقنا ذلك على « أبى نعيم » وجدناه قد فرض تدوين اسمه فى مختلف الطبقات ، فله فى معجم الأطباء اسم وله فى طبقات الصوفية اسم وله بين المحدثين مقام ، وله بين الحفاظ رتبة علية وبين رجال الفقه منزلة سنية ، وله بين القراء مكان ..

وليس هذا الكلام من فراغ ، ولكن قائمة مؤلفاته تشهد بذلك . وثبت المراجع التى يمكن الرجوع اليها يؤيد ذلك .

فمن مؤلفاته التى تدل على تضلعه فى الحديث ما سبق أن أشرنا اليه فى مكانه · يضاف اليه كتاب لم تشر اليه المصادر المختلفة ، ولكنه أشار هو اليه فى كتابه « حلية الأولياء » حيث قال فى نهايته : سألتم عن ذكر جماعة من نساك بلدنا ، وقد ذكرت جماعة منهم فى كتابنا طبقات المحدثين من الرواة من أهل بلدنا ·

وربما كان هذا الكتاب هو كتاب أخبار اصفهان · لأن أيا من المصادر التى تحدثت عن مؤلفاته وبخاصة كشف الظنون ومعجم المؤلفين وهدية العارفين لم يذكره ·

كما أشار « كشف الظنون » الى تعليق لأبى نعيم على كتاب ألفه « أبو عبيد القاسم بن سلام » المتوفى سنة ٢٢٤ هـ اسمه « الغريب المصنف » قال : وقد رده « أبو نعيم » ويفيد هذا نقده للكتاب وبيان رأيه فيه قال : كما رده أيضا « على بن حمزة البصرى » المتوفى سنة ٣٧٥ هـ وشرحه « أبو العباس أحمد بن المديسى » المتوفى سنة ٤٦٠ هـ ، وشـــرح أبياته « يوسف بن حسن بن السيرافى » المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ·

ومن مؤلفاته فى الطب ـ التى جعلت بعض المعنيين بالطب يضمن معجمه اسمه ـ كتابان أشار اليهما صاحب كتاب كشـــف الظنون ·

أحدهما : الشفاء فى الطب المسند عن المصنف عن المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ جمعه « أحمد بن يوسف بن أحمد التيفاشى » أوله : اللهم يا من لطف حتى دق عن الأوهام والظنون · حرره من السند ورتبه على ترتيب كتب الطب ، وســـماه : الوافى فى الطب الشافى ·

والثانى : « الطب النبوى » وأشار اليه « بروكلمان » وذكر

أنه عن أحاديث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المتعلقة بالطب ، اختصره مجهول وطبع بالقاهرة بمطبعة المنار سـنة ١٣٤٤ هـ ، واختصره عبد الوهاب بن أحمد بن محمود الرومى » وحذفت منه الأسانيد وأضيفت اليه زيادات بعنوان : الوافى بالطب الشافى .

ومن هذا القول يفهم أن الكتابين كتاب واحد ، ولكن اختلف العنوان فيهما .

ولعل صاحب معجم الأطباء الذى رجع اليه « عمر كحالة » فى كتابه معجم المؤلفين عند كتابته عن « أبى نعيم » راعى تأليف « أبى نعيم » لهذا الكتاب فتحدث عنه فى معجمه الذى لم أعثر عليه .

وعنه فى طبقات الشافعية حديث ضاف يدل على أنه كان صاحب باع طويل فى الفقه الشافعى ، ولو لم تكن له مؤلفات فيه ، فالمعبرة ليست بالتأليف ، والمعروف انه كان أستاذا يفد اليه الطلاب من مختلف الأقطار ليأخذوا عنه ، وكان الذى يأخذه هؤلاء ليس الحديث وحده ، ولكنهم يأخذون عنه كافة المعارف التى يجيدها ومن بين ذلك الفقه الشافعى ، الذى جعل « الاسنوى » فى طبقات الشافعية يذكره ، وصاحب كتاب مناقب الشافعى وطبقات أصحابه من تاريخ الذهبى يذكره ، و « السبكى » فى كتاب طبقات الشافعية يذكره ويثنى عليه ويدافع عنه .

أما « ابن الجزرى » فى كتابه طبقات القراء فقد عده من بين القراء الذين ترجم لهم فى كتابه ، ذكر ذلك أيضا معجم المؤلفين .

أما التاريخ فكما حدثتنا مؤلفاته فيه تشهد له ، وقد ذكرنا بعض مؤلفاته فيه ، وما لم تشر اليه وأشار اليه « البغدادى » فى « هدية العارفين » كتاب : « معجم الشيوخ » تحدث فيه عن شيوخه ، وكذلك أشار اليه « حاجى خليفة » فى كشف الظنون .

وله مؤلفات أخرى تدل على خبرته بالتربية والأخلاق وسياسة النفس ، فله كتاب « رياضة المتعلم » وهو كما يدل عليه اسمه يتحدث فيه عن سياسة النفس ومعالجتها والأخذ بيدها الى مدارج الكمال ، وربما يتعلق بهذا اللون كتاب آخر أشار اليه كشف الظنون عنوانه : فضل العالم العفيف ، فهو يتحدث بغير شك عن أثر العلم فى اكساب صاحب العفة والاعراض عما فى أيدى الناس وبيان فضل من تحقق بهذا الأدب العالى من العلماء ليكونوا قد انتفعوا بما علموا ٠ وما أصدق كلمة قالها » الجرجانى » فى ذلك ٠

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه فى النفوس تعظما

وكتاب آخر أشار اليه أيضا « حاجى خليفة » عنوانه : الرياضة والأدب ٠ وله كتاب « الأموال » ذكره بروكلمان ، وقال انه يشك فى مؤلفه وقد طبع بالقاهرة سنة ١٣٣٧ هـ ٠

وله كتاب « الامامة » وكتاب « فضائل الخلفاء » ولا شك أن هذه الكتب الثلاثة الأخيرة تتعلق بالسياسة العامة وما يتصل بها من تدبير أمور الرعية وما يتطلبه ذلك من النظر فى مصالحهم المعاشية والاجتماعية والاقتصادية ٠ وهذا يدل على أن « أبا نعيم » لم يكن بعيدا عما يهم الناس ٠

وله كتب أخرى منها كتاب « المهدى » و « أبو نعيم » له اتجاه شيعى وان لم يكن شـــيعيا ـ كما قال ذلك « العاملى » فى أعيان الشيعة ٠ والشيعة يؤكدون ظهور « المهدى » فى آخر الزمان ٠ ولابن خلدون فى مقدمته ص ٣١١ حديث مستفيض عن « المهدى » قال فيه : ان المشهور بين الكافة من أهل الاسلام على ممر الأعصار أنه لابد فى آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ، ويستولى على الممالك الاسلامية ، ويسمى بالمهدى ، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة

فى الصحيح على أثره ، وأن « عيسى » ينزل من بعده فيقتل الدجال ، أو ينزل معه فيساعده على قتله ، ويأتم بالمهدى فى صلاته ، ويحتجون فى هذا الشأن بأحاديث خرجها الأئمة وتكلم فيها المنكرون لذلك ، وربما عارضوها ببعض الأخبار ٠

ويسرد « ابن خلدون » كل الأحاديث الواردة فى شأن « المهدى » وذكر نقد ائمة الأحاديث لها ورأيهم فيها ، وختم كلامه فى ذلك برأى سديد ومنطق سليم حيث قال : « والحق الذى ينبغى أن يتقرر لديك أنه لا تتم دعوة من الدين أو الملك الا بوجود شوكة عصبية تظهرها وتدافع عنها ، وقد رأينا أن عصبة القرشيين قد تلاشت ووجدت أمم أخرى قد استقلت ٠٠ وان صح ظهور المهدى فلا وجه لظهور دعوته الا بأن يؤلف الله بين قلوب الناس فى اتباعه حتى تتم له شـــــوكة وعصبية وافية باظهار كلمته وحمل الناس عليها ، أما أن يدعو فاطمي الى مثل هذا الأمر فى أفق من الآفاق من غير عصبية ولا شوكة الا مجرد نسبه فى أهل البيت فهيهات أن يتم ذلك ، وما تدعيه العامة ممن لا يرجع فى ذلك الى عقل يهديه لا يعول عليه ٠٠ »

والتاريخ يؤيد كلام « ابن خلدون » فما من رجل ظهر حتى الآن وادعى أنه مهدى آخر الزمان الا باءت دعوته بالفشل ، وآخرها هذه الدعوة التى ظهرت منذ سنوات فى السعودية واستولى أصحابها على الحرم الشريف فى مكة ، وقد عرف العالم أجمع ما حدث من فتن وما آلت اليه هذه الدعوة من خذلان ٠

الدعوة الناجحة لها مقدمات وأسباب قوية تؤيدها وتمكن لها ، وبدونها لا يتم لها أمر ، وهذه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ٠

وكتاب « المهدى » لأبى نعيم فانه ــ كما يقول « العاملى » يتناول ذكره ونعوته وحقيقة مخرجه وثبوته ، وقد نسبه اليه السيد « رضى الدين بن طاووس » فى طرائفه ، ولا يبعد اتحاده مع كتاب

آخر له اسمه : كتاب الأربعين من الأحاديث التى جمعها فى أمر المهدى ، كان عند صاحب كشف الغمة بمقتضى نقله عنه كثيرا ٠

وأشـــار « العاملى » أيضا الى أن لأبى نعيم مؤلفات أخرى منها : كتاب « حلية الأبرار ولكنه قال : لعله كتاب حلية الأولياء ٠ وكتاب « الفتن » ولعله يتضمن الفتن المستقبلة التى أشار اليها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : ستكون فتن كقطع الليل المظلم ٠٠ وكتاب « الفوائد » ٠ قال « العاملى » وقد نسب الكتب الثلاثة اليه السيد « هاشم البحرانى » فى غاية المرام ٠ كما أشار الى أن له كتابا آخر اسمه « مختصر الاستيعاب » ٠ ولكنه يشك فى نسبة هذا اليه ٠ لأن « الاستيعاب » لأبن عبد البر المتوفى سنة ٤٦٣ هـ أى بعد وفاة « أبى نعيم » بما يزيد على ثلث قرن ، فكيف يتم لأبى نعيم اختصاره ؟ وله كتاب أشار أيضا اليه « العاملى » اسمه « صفة الجنة » وكتاب آخر اسمه « المعتقد » ٠

وله كتاب أشار اليه كشف الظنون اسمه « حرمة المساجد » ولعله تحدث فيه عن منزلة المسجد وآدابه وفضله ٠

وأشار ، بروكلمان » الى كتاب له اسمه : المنتخب من كتاب الشعراء ، وهو كما يهدى اليه اسمه يدل على تذوق أدبى ومعرفة بفنون الشعر وأغراضه وأنواعه ٠٠

ولا يخفى أن « أبا نعيم » له موهبته الأدبية التى تظهر فى كتابته والتأنق فيها ، وان لم يؤثر عنه شعر ، ولكنه له نثر هو أقرب الى الشعر ، فميله أحيانا الى السجع والجناس من أنواع البديع غير المتكلف يدل على أنه على حظ غير يســـير من جمال الأســـلوب وحسن البيان ، واذا قرأت مقدمات كتبه وما فى تضاعيفها أدركت ذلك ٠ وان كان « ابن الجوزى » لم يعجبه سجع « أبى نعيم » فان الناس فيما يعشقون مذاهب ٠

انه لم تتح الفرصة أمام مؤلفات « أبى نعيم » كلها لتطبع ، وكثير من المخطوطات التى أشارت اليها المصادر غير موجودة ، ولم تتح الفرصة للاطلاع على كل ما هو موجود · فلعل الله يوفق من يتوفر على اخراج الموجود منها الى عالم النور ويقدمها الى القراء مطبوعة محققة لينتفع بها أهلها ، ويسترشد بها الراغبون فى العلم والمعرفة ، ونحن فى زمن تيسرت فيه وسائل الطباعة وتقدمت فيه أسباب النشر · والله لمن يقدم هذا العمل النبيل خير مثيب ·

خـــــــاتمة

فى يوم الاثنين الحادى والعشــرين من المحرم ســـنة ثلاثين وأربعمائة غربت حياة ذلك النجم الذى ظل مضيئا ما يقرب من مائة عام ·

توفى « أبو نعيم » فى هذا التاريخ ـ كما يقول « ابن خلكان » أو فى صفر من نفس العام ·· بعد حياة مديدة حافلة بالعلم والمعرفة والخير ·· كما عرفنا فى رحلتنا معه التى سطرناها فى خلال هذه الصفحات ·

لقد بارك الله فى عمره كما بارك فى عمر أبيه من قبله فعاش ما يقرب من قرن وثلث قرن ·

واذا كانت الحياة لا تقاس بالأيام ولكنها تقاس بالأعمال ، فان الذى يجمع الله له بين طول العمر وحسن العمل وبقاء الأثر جدير بأن يغبط على ما أفاء الله له من نعمه ووفقه للطيبات ، والأثر الكريم يقول : خيركم من طال عمره وحسن عمله ··

لقد صحبنا « أبا نعيم » بعض الوقت ، ولم نستطع تغطية كل جوانب حياته ، ودراسة سيرته تحتاج الى دراسات أخرى ، ومع

اعترافى التام بالتقصير والعجز فان حسبى أن قدمت خطوة أرجو أن تتبعها من عاشقى العلم ومحبى الخير والمعرفة خطوات ٠

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، ويرزقنا التوفيق الدائم لخدمة العلم والدين ، وهو نعم المولى ونعم النصير ٠

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ٠

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

المـــــــــراجع

١ ـ حلية الأولياء لأبى نعيم .

٢ ـ أخبار اصفهان لأبى نعيم .

٣ ـ المسند المستخرج على صحيح مسلم لأبى نعيم .

٤ ـ مرآة الجنان لليافعى .

٥ ـ صفة الصفوة لأبن الجوزى .

٦ ـ أحاسن المحاسن لأبى اسحاق الرقى .

٧ ـ معجم البلدان لياقوت .

٨ ـ دائرة المعارف الاسلامية .

٩ ـ دائرة معارف الشعب .

١٠ ـ دائرة معارف البستانى .

١١ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان .

١٢ ـ الفهرست لابن النديم .

١٣ ـ معجم الأدباء لياقوت .

١٤ ـ الطبقات الكبرى للشعرانى ٠

١٥ ـ طبقات الصوفية للسلمى ٠

١٦ ـ الأغانى لأبى الفرج الاصفهانى ٠

١٧ ـ حياة الحيوان الكبرى للدميرى ٠

١٨ ـ أسد الغابة لابن الأثير

١٩ ـ الأدب العربى وتاريخه لمحمود مصطفى ٠

٢٠ ـ نشأة التصوف د ٠ ابراهيم بسيونى ٠

٢١ ـ أعيان الشيعة للعاملى ٠

٢٢ ـ روضات الجنات الميرزا محمد باقر ٠

٢٣ ـ تذكرة الحفاظ للذهبى ٠

٢٤ ـ طبقات الشافعية للسبكى ٠

٢٥ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ٠

٢٦ ـ جامع كرامات الأولياء للنبهانى ٠

٢٧ ـ زهر الآداب للحصرى ٠

٢٨ ـ مروج الذهب للمسعودى ٠

٢٩ ـ شذرات الذهب لابن العماد ٠

٣٠ ـ ميزان الاعتدال للذهبى ٠

٣١ ـ دول الاسلام للذهبى ٠

٣٢ ـ طبقات الحنابلة لأبى الحسن يعلى ٠

٣٣ ـ الوسيط فى تاريخ الفلسفة لعبد المتعال الصعيدى ٠
٣٤ ـ حضارة الاسلام دكتور على حسنى الخربوطلى ٠
٣٥ ـ المأمون الخليفة العالم د ٠ محمد مصطفى هداره ٠
٣٦ ـ شذرات من السنة د ٠ محمد الأحمدى أبو النور ٠
٣٧ ـ المقدمة لابن خلدون ٠
٣٨ ـ كشف الظنون لحاجى خليفة ٠
٣٩ ـ الأعلام للزركلى ٠
٤٠ ـ معجم المؤلفين عمر كحالة ٠
٤١ ـ هدية العارفين البغدادى ٠
٤٢ ـ اللمع للطوسى ٠
٤٣ ـ الرسالة القشيرية عبد الكريم القشيرى ٠
٤٤ ـ التعرف على مذهب أهل التصوف للكلاباذى ٠
٤٥ ـ فيض الوهاب للشيخ عبد ربه القليوبى ٠
٤٦ ـ تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٠
٤٧ ـ الليث بن سعد د ٠ عبد الحليم محمود ٠
٤٨ ـ حسن المحاضرة للسيوطى ٠
٤٩ ـ أدب الاختلاف فى الاسلام د ٠ طه جابر فياض العدوانى ٠

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الايداع ۸۷/۷۰۱۹

الترقيم الدولى ٨ ـ ١٥٢٥ ـ ٠١ ـ ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب

يتناول هذا الكتاب سيرة علم من أبرز العلماء الموسوعيين المتقدمين فى الحديث والفقه والتصوف والتاريخ وغيرها .

أثرى المكتبة العربية والإسلامية بالعديد من الكتب التى كان لها أعظم الأثر فى الفكر الإسلامى .

ذلك هو أبو نعيم الأصفهانى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ بعد عمر مديد زاخر بالعمل الصالح والعلم المفيد . .

ويكفى كشاهد على أعماله كتابه الذى لاغنى لمفكر أو عالم عنه : كتاب حلية الأولياء .

مطابع الهيئة الم

١٧٥ قرشـــا